جامعة قاريونس

كلية الآداب

الدراسات العليا

قسم : التاريخ

شعبة :التاريخ الإسلامي

تاريخ طب الأطفال عند المسلمين " 2 – 656 هـ / – 1258م

قدمت هذه الدراسة استكمالاً لمتطلبات درجة الإجازة الدقيقة " الدكتوراه "

بكلية الآداب قسم التاريخ بتاريخ 2010/10/05ف

إعداد الطالبة :-

دلال مفتاح علي الفيتوري

إشراف الأستاذ الدكتور :

بشير رمضان التليسي

أستاذ مشارك في التاريخ الإسلامي

كلية الآداب – جامعة الفاتح

تاريخ المناقشة

2010/10/05ف

جامعة قاريونس

كلية الآداب

الدراسات العليا

قسم : التاريخ

شعبة :التاريخ الإسلامي

تاريخ طب الأطفال عند المسلمين

" 2 ـ 656هـ / 623 ـ 1258 م

قدمت هذه الدراسة استكمالاً لمتطلبات درجة الإجازة الدقيقة "الدكتوراه"

بكلية الآداب قسم التاريخ بتاريخ 2010/10/05 ف

إعداد الطالبة :

دلال مفتاح علي الفيتوري

لجنة المناقشة :

الاسم	الصفة	التوقيع
أ.د. بشير رمضان التليسي	مشرفاً	....
أ.د . علي حسين الشطشاط	ممتحناً داخلياً	
أ.د. صالح الصادق السباني	ممتحناً خارجياً	....
أ.د. المبروك أغنية الأسطى	ممتحناً خارجياً	....
أ.د. عبدالرحمن حسين العزاوي	ممتحناً خارجياً	

يعتمد أ. د. محمد عبدالله لامه

أمين اللجنة الشعبية بكلية الآداب

....

تاريخ المناقشة 05/ 10/ 2010 م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ
يُخْرِجُكُمْ طِفلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُواْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ
شُيُوخاً وَمِنكُم مَّنْ يُتَوَفَّى مِن قَبلُ وَلِتَبْلُغُواْ أَجَلاً مُسَمًّى
وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

صدق الله العظيم

سورة غافر الآية (67)

الإهداء

إلى من عجزت الكلمات عن شكره ودقت النبضات عند ذكره

إلى من يشعرني بأن مساعدته لي تُعلي من قدره

زوجي / عبد الحكيم محمد بالكريعات.

إلى ابنتي عائشة ودانا اللاتي كلما نظرت إليهما شعرت بصفاء الحياة ونقائها.

الشكر والتقدير

من لا يشكر الناس لا يشكر الله، فبعد حمدي وشكري لله على إنجاز هذا العمل أتقدم بخالص شكري وامتناني إلى كل من ساعدني حتى وصلت إلى هذه المرحلة وهي التخصص الدقيق "الدكتوراه" وهي ليست بالمرحلة السهلة خاصة وأن أعباء الحياة كانت ثقيلة عليَّ، فلولا هؤلاء لما استطعت الاستمرار والوصول، فلهم كل الشكر وجزاهم الله ألف خير.

فوالدي كان على رأس هذه القائمة، فعندما أتذكر مساعدته لي والتنقل بي في جميع الأماكن التي تخص دراستي حتى خارج مدينة بنغازي أشعر بأنني مقصرة معه أمام جميع ما قدمه لي.

كما أشكر والدتي التي لم تكف عن دفعي بكلامها الطيب والمحفز على الدراسة، فكانت فخورة بي في كل مكان مما جعلني أسعى دائماً بأن أكون عند حسن ظنهما، كما أشكر جميع أخواني أحمد وسليمان، واخص منهم طارق الذي ساعدني في تنظيم الآيات القرآنية، وأخي عوض الذي لم ينقطع عني بفيض عطائه حتى بعد زواجي، فعند سفري إلى جمهورية مصر العربية للاطلاع على الكتب هناك لم يتوقف عن الاتصال بي ومتابعة ما توصلت إليه في دراستي، وأختي نجاة التي وقفت معي في مرضي حتى تخطيت هذه المرحلة، كما أتقدم بالشكر للأستاذة زكية بن ناصر القعود والتي كانت تمدني بأي كتاب يقع بين يديها يخص موضوعي، كما أشكر الأخت أمينة مكتبة الأوقاف بسيدي يونس نوال علي الورفلي، والشيخ نوري العلواني الذي راجع معي الفصل الثاني لتوضيح الآيات القرآنية الخاصة بخلق الجنين.

كما أشكر المرحوم أ. د. امراجع عقيلة الغناي على جهده معي قبل وفاته فأتمنى من كل من يقرأ هذا العمل أن يدعو له بالرحمة والمغفرة، كما أتمنى من الله أن يكون هذا العمل البسيط في ميزان حسناته.

ولن أنسى أن أشكر الدكتور سالم الزناتي الذي ساعدني على اختيار هذا الموضوع.

كما أشكر طفلتي الحبيبة عائشة التي شعرت معها كيف تكون مراحل خلق الجنين، وأنا أشكر الله على هذا الشعور، فقد تحملت معي أعباء الدراسة منذ أن كانت في أحشائي، كما تحملت معي عناء التنقل بين المكتبات والسفر داخل وخارج الجماهيرية خاصة عندما كنت في معرض كوتة للكتاب بمدينة الإسكندرية وهي ذات الأربعين يوم من عمرها وأمطار الشتاء والرياح الباردة في تلك الأيام كانت قاسية، فسامحيني يا فلذة كبدي وأتمنى أن ألقاك في أعلى المراتب يا رب.

وأشكر الدكتور بشير التليسي الذي قبل الإشراف على هذا العمل بعد أخذ ورد لعدة سنوات منذ وفاة مشرفي الأول د. مراجع الغناي، وكل الشكر للدكتورة هنية القماطي التي ساعدتني على تخطي المشاكل الإدارية فأتمنى أن أكون عند حسن ظنها وظن د. بشير رمضان التليسي ود . عايدة عبدالعزيز ازواوة على شرح الأمور الطبية الواردة في الرسالة .

أخيراً أتقدم بخالص حبي وشكري وامتناني إلى زوجي عبد الحكيم محمد بالكريعات وأقد جعلته في آخر الشكر قصداً ليكن ختامها مسك، فلم يجعلن أشعر بأعباء الحياة بل حملها عني، فأنا أشكر الله عليه كل يوم حيث تعجز كل كلمات الشكر والثناء عن إيفاءه حقه، لذلك اخترت أن أعطيه حياتي كلها لتكن نقطة شكر في بحر عطائه وحبه.

أخيراً أتمنى من الله التوفيق.

الباحثة

المقدمة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُم فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمَّىً ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُم ... ﴾ [1]

الطفل جزء مهم في الأسرة فهو سعادة حاضرها وأمل مستقبلها، والطفولة فئة حساسة محتاجة للرعاية المستمرة ينعكس عليها أثر العوامل التي تتعرض لها سواءً سلبياً أم إيجابياً ، وصحة الطفل هي لا شك رصيد مؤكد لسعادة حياته خاصة وأن الطفل يتأثر مبكراً بالعوامل الخارجية كالهواء والغذاء.. إلخ منذ اللحظة الأولى لتكوينه ويستمر معه بنسب مختلفة خلال حياته الرحمية ، ثم يتدرج معه في مراحل وجوده التالية منذ أن يستنشق نفسه الأول وحتى يعبر طفولته وصباه إلى فتوة الشباب ، لذلك يجب توفير الرعاية الصحية الكاملة للأطفال ، والاعتناء بهم من النواحي الصحية والتربوية والتكوينية والتي دعا لها الله سبحانه وتعالى في بعض آياته من القرآن الكريم ، وأشارت له السنة النبوية ، وعلى هذا الهدى نهج المسلمون في تربية أولادهم على نهج نبي الإنسانية جمعاء محمد صلى الله عليه وسلم فقد وردت آيات قرآنية وأحاديث كثيرة عن الرسول في هذا المضمار.

ومع بداية اهتمام العرب المسلمين بالطب معتمدين في ذلك على الحضارات السابقة والتي طورّوها وقدموها بطابعها المنفرد وأسلوبها المعروف، فتميز الأطباء العرب المسلمين في جميع الفروع الطبية في العصور الوسطى ، فأعطوا الصحة مفهوماً متكاملاً سواءً في شمولية محتواها ، حيث أنها تجمع بين الأبعاد الجسمية والنفسية والخلقية والروحية ، أما في تدبيرها التطبيقي ، حيث أنها تجمع بين الجانب الوقائي والجانب العلاجي ، ولم تكن مؤلفات أطبائنا العرب قاصرة على ناحية معينة وإنما شملت جميع النواحي الطبية ، فقد حظي الأطفال باهتمام كبير من قبل الأطباء العرب المسلمين فوضعوا مؤلفات خاصة بهم كالبلدي ، في كتابه تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم وابن جزار ، في

---

[1] سورة الحج ، الأية (5) .

كتابه سياسة الصبيان وتدبيرهم أو بأبواب عديدة في كتبهم كالزهراوي في كتابه التصريف لمن عجز عن التأليف ، وابن سينا في كتابه القانون في الطب ، وغيرهم كثير .

وقد أوصوا بالأطفال خيراً وطالبوا الآباء والأمهات بالعناية بهم صحياً ونفسياً وتربوياً، كما وصفوا في مؤلفاتهم الأمراض التي تصيبهم وطرق علاجها، وهذا ماميّز طب الأطفال عند العرب المسلمين عن غيره ، فهم لم يهتموا بالناحية الصحية فقط وإنما انصب اهتمامهم على جميع الجوانب التي تختص بالأطفال في مختلف أيام حياتهم منذ أن كانوا في أرحام أمهاتهم حتى سن الشباب فأصبح طب الأطفال علم قائم بذاته وأحد الفروع الطبية عن العرب المسلمين ، وسأحاول توضيح ذلك من خلال موضوع دراستي متمنية من الله توفيقي ومساعدتي على تقديم مادة علمية تفيد كل من يطلع على تاريخ الحضارة الإسلامية .

أهمية الموضوع :

إن معظم الدراسات وكتب التاريخ اهتمت بتاريخ الطب العربي بشكل عام، رغم وجود التخصصات الطبية في كافة المجالات، لذلك تناولت إحدى هذه التخصصات وهي طب الأطفال للدعوة إلى الاهتمام بدراسة تاريخ العلوم الطبية العربية من أجل التأكيد للعالم على مدى الدور الذي قدمه العرب في تطوير وتقديم نظريات مهمة في تاريخ الطب بصفة عامة وإظهار هذه التخصصات التي وجدت في صفحات كتب الطب العربي والتي لم تهمل أي جانب من الجوانب الطبية.

أهداف الدراسة :

1- إبراز مآثر أجدادنا العرب في مجال الطب وتنبيه كل من يظن بأن أوروبا هي أساس التطور العلمي متناسين فضل العرب عليهم وهو ما سأحاول تأكيده في هذه الأطروحة وذلك بالرجوع إلى المصادر الطبية العربية والتي تعود إلى مئات السنين.

2- موضوع طب الأطفال جاء على شكل معلومات متفرقة في الكتب العربية، فحاولت جمعه وتقديمه للمهتمين بالطب العربي.

3- لم ينحصر هدفي في هذه الدراسة على معرفة ما قدمه العرب المسلمون في هـذا المجال فقط ، وإنما للتأكيد على أن ما وصل إليه الطب الحديث ما هو إلا امتـداد للطب العربي .

أسباب اختيار الموضوع:

1- الاهتمام بدراسة الطب العربي، وهذا ما جعلني اهتم بهذا العلم والبحث فـي أدق وأهم فروعه وهو طب الأطفال.

2- تسليط الضوء على أهم مرحلة في حياة الإنسـان ومـدى اهتمـام العـرب المسلمين بها .

3- البحث فيما وصل إليه الأطباء العرب المسلمين في هذا المجـال مـن أجـل التأكيد للعالم بأن العرب المسلمين أصحاب نهضة منذ القدم .

المنهج المتبع في الدراسة .

أما المنهج المتبع في دراسة هذا الموضوع فهـو المـنهج التـاريخي السـردي والتحليلي القائم على جمع المادة التاريخية من مصادرها ومن ثم تحليلها بهدف إبـراز الإيجابيات والسلبيات المتعلقة بموضوع الدراسة إلى جانب المقارنة وربط المعلومـات التي وصل إليها العرب المسلمون بالمعلومات الطبية الحديثة .

المصادر والمراجع .

أما المصادر فهي الدليل الذي يسترشد به الباحث فيمهد له الطريق ويرسـم لـه الخطوات التي توجّه مسار البحث إلى ما هو أفضل، لذلك قمت بالإطلاع على مجموعة من الدراسات السابقة التي لها علاقة بالموضوع سواءً كانت بطريقة مباشـرة أو غيـر مباشرة ولعل أهم المصادر التي يمكن أن نوجزها على سبيل المثال لا الحصر:-

1- كتاب سياسة الصبيان وتدبيرهم لأحمد بـن الجـزار القيروانـي المولـود سـنة (285هـ/895م) والمتوفي سنة (377هـ/ 987م) ، ويعتبر هذا الكتاب أكبر تأليف مستقل في طب الأطفال يحتوي على 22 باباً منها ستة تتحدث عن صـحة الأطفال وتدبيرهم عند الولادة وشروط المرضعة والأمراض التي تعرض للأطفال ومداواتها حسب ترتيب أعضاء جسم الإنسان إلى أن يصل إلى الباب الأخير والذي

أفرده للحديث عن طباع الصبيان وتربيتهم ولم يغفل ابن الجزار عن ذكر أهم المصادر التي اعتمد عليها في كتابه.

2- كتاب كامل الصناعة الطبية لعلي بن العباس المجوسي الأهوازي المتوفى سنة (353هـ/ 964م) ، فقد خصص في الجزء الثاني من كتابه ثلاثة أبواب لطب الأطفال ، الباب العشرون في تدبير أبدان الأطفال ويبحث فيه عن كيفية العناية بالمولود حديث الولادة وبعض الأمراض التي يُصاب بها ومعالجتها، والباب الحادي والعشرون بحث فيه عن شروط المرضعة وكيفية العناية بصحتها، وفي الباب الثاني والعشرون أشار إلى تدبير الصبيان ممن تجاوزوا حد الرضاع وكيفية العناية بالطفل وتربيته حتى سن اثني عشر سنة.

3- كتاب القانون في طب لابن على الحسين ابن سينا المتوفى (428هـ/1036م) في الجزء الأول منه قسم خاص عن تربية الأطفال وأمراضهم وهو أربعة فصول ، الفصل الأول في تدبير المولود مند الولادة إلى أن ينهض ، والفصل الثاني تكلم فيه عن كيفية الرضاعة وعن اللبن وشروط المرضعة الجيدة والفطام ، و الفصل الثالث تحدث فيه عن أمراض الأطفال وعلاجها، والفصل الرابع خصصه لتدبير الصبيان إلى سن الصبّا ، كما استعرض فيه أصول التربية الخلقية والنفسية للأطفال، كما وجدت بعض الملاحظات الأخرى عن أمراض الأطفال في صفحات متفرقة من هذا الكتاب.

أما عن المراجع التي تختص بهذا الموضوع فقد كانت كثيرة وهي مرفقة في قائمة المراجع وقد خصصت هذه الأسطر للحديث عن البعض منها:

1- كتاب تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية لمؤلفه فرج الهونى ، مطبعة الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، 1986م، وقد أشار المؤلف فيه إلى العديد من الأمور الطبية من بينها طب الأطفال والذي تناوله تحت عنوان طب النساء والأطفال، فكان حديثه عن طب النساء أكثر لأن معلوماته عن طب الأطفال كانت قليلة تناولها في صفحتين من كتابه، إلا أنها كانت ذات أهمية.

2- كتاب تاريخ طب الأطفال عند العرب لمحمود الحاج قاسم، مركز إحياء التراث العلمي العربي، بغداد 1989م، وقد شمل الكتاب سته فصول تحدث في الفصل

الأول عن طب الأطفال عند الأمم السابقة ، ولكن عند قراءتي لهذا الفصل وجــدت أنه قد تحدث عن الطب بصفة عامة دون الإشارة إلى ما توصلت إليــه الشــعوب القديمة في مجال طب الأطفال، وهذا ما يتضح للقارئ عند الإطــلاع علــى هــذا الكتاب، أما الفصل الثاني فقد تحدث فيه عن الإسلام والطفل فذكر فيه بعضاً مــن الأمور التي اهتم بها الإسلام بالنسبة للطفل من ناحية رضاعته وألعابه وتربيته، أما الفصل الثالث فأوجز فيه مساهمات الأطباء العرب في طب الأطفال وقد أورد فيــه معظم الأطباء العرب ولم يحدد أهم الأطباء الذين اشتهروا وعرفوا بطب الأطفال، وكان الفصل الرابع عن أمراض الأطفال فلم يذكر فيــه عــلاج هــذه الأمــراض بالتحديد بمعنى ما يستدعي العلاج بالدواء وطرق علاجه ومدى صحة العلاج وما يتطلبه نوع المرض من تدخل جراحي وتحديد الآلات الجراحية الخاصة بالأطفال ، كما ذكرت عند الأطباء العرب ولم يضع صور توضيحية لهذه الآلات وهــذا مــا أسعى له جاهدة من أجل إعطاء بحثي قيمة أكثر ، ثم ذكر فــي الفصــل الخــامس مؤلفات الأطباء العرب في طب الأطفال للتأكيد على القيمة العلمية لبعض المؤلفات المهمة ، وفي الفصل السادس جمع خلاصة القواعد الأساسية في التربية والتعلــيم للأطباء العرب والمسلمين.

وقد استفدت كثيراً من هذا الكتاب نظراً لارتباطه المباشر بالموضوع إلــى جانب قائمة المصادر والمراجع التي تضمنها الكتاب جعلتني أبحث مباشرة عنهــا للإطلاع عليها من أجل بناء فكر أعمق عن هذا الموضوع .

3- كتاب تاريخ الجراحة في الطب العربي من القرن 3-7هـ/9-13م للدكتور علــي الشطشاط، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1999م، وهو كتــاب تــاريخي طبي مهم وكانت استفادتي من الفصل الحادي عشر كبيرة والذي تناول فيه المؤلف جراحة أمراض النساء والولادة.

إلى جانب العديد من المؤتمرات الطبية التي تناولت هذا الموضــوع فقــد ساعدتني على استيعاب المصطلحات الطبية.

العرض التفصيلي لخطة البحث:

قمت بتقسيم البحث إلى خمسة فصول ومقدمة وخاتمة يكون عملي من خلالها على النحو الاتي :

الفصل الأول: طب الأطفال عند الشعوب القديمة

كالإغريق الذين وضعوا مؤلفات تتعلق بنظريات تكوين الجنين ومراحل نموه، كما سأشير إلى ما توصل إليه الهنود والرومان والعراقيين والمصريين القدامى في هذا المجال، فكانت مؤلفاتهم الدليل الذي استرشد به العرب في هذا المجال فقاموا بتطويره وتقديم نظريات علمية مؤكدة والتي سيتم توضيحها في صفحات هذا البحث.

الفصل الثاني: مراحل نمو الطفل

تحدثت فيه عن الطفل منذ خلقه وتكوينه كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية، إلى جانب الإشارة إلى مراحل نموّه والاهتمام بإرضاعه كما ورد عند الأطباء العرب المسلمون ، وهذا دليل على اهتمامهم بجميع جوانب الحياة وليس الدين فقط، ثم توضيح النظريات الطبية التي توصل إليها العرب معتمدين في ذلك على القرآن الكريم والسنة النبوية والتجربة مما جعلهم يتميزون في هذا العلم.

والفصل الثالث: مؤلفات الأطباء المسلمين

ذكرت في هذا الفصل أهم ما كتبه المسلون في هذا العلم من مؤلفات قيّمة عن طب الأطفال ، ككتاب سياسة الصبيان وتدبيرهم، ولم أغفل عما جاء في باقي مؤلفات الطب العربي عن هذا الموضوع، فقد تناوله الأطباء العرب باهتمام سواءً كان ذلك بالإشارة إليه في فصول أو أبواب داخل مؤلفاتهم.

الفصل الرابع: الأمراض التي تصيب الأطفال وعلاجها

فهناك الكثير من الأمراض التي تصيب الأطفال وهذه الأمراض قد تكون خلقية منذ الولادة أو أمراض مكتسبة يُصاب الأطفال بها بعد الولادة، لذلك سأخصص هذا الفصل للحديث عن هذه الأمراض وطرق علاجها سواءً كانت بالأدوية أو بالجراحة حسب الحالة المرضية التي يُصاب بها الطفل وما تستدعيه من علاج وهذا ما ذكره العرب في مؤلفاتهم.

الفصل الخامس: انتقال طب الأطفال إلى أوروبا

تناولت في هذا الفصل المسالك التي انتقل بها طب الأطفال العربي إلى أوروبا، إلى جانب أثر الطب العربي على أوروبا من خلال وجود أشهر المؤلفات العربية في بعض مكتباتهم والتي اعتمدوا عليها في بناء حضارتهم الطبية، دون أن أنسى الحديث

عن ما ذكره بعض الكتّاب الأوربيين عن طب الأطفال عند المسلمين والثناء عليه فـــي كتاباتهم والاعتراف بفضلهم عليهم.

ختاماً أتمنى من الله أن أكون قد وفقت في إنجاز هذا العمل ليكن عوناً للمهتمـــين بالطب العربي .

الفصل الأول

تاريخ طب الأطفال

عند الشعوب القديمة

المبحث الأول : طب الأطفال الإغريق

المبحث الثاني : طب الأطفال عند الهنود القدماء

المبحث الثالث : طب الأطفال عند العرب قبل الإسلام

أ- عند العراقيين القدماء .

ب- عند المصريين القدماء .

الطب هو أقدم العلوم التي عرفها الإنسان فطرياً، فارتبطت البدايات الأولى له " بالتجربة والخطأ وإعادة المحاولة الناجحة في شفاء الأمراض بالأغذية والدواء ، والسعي لإعادة الجسم الإنساني عندما يعتريه المرض إلى حالته الطبيعية عن طريق ما تزوده به الطبيعة من أشياء نباتية وحيوانية ومعدنية، فالمرض ظاهرة مرافقة للوجود الإنساني، وان البحث عن العلاج لإزالة هذه الظاهرة أو الحالة قد دفع الإنسان منذ القدم إلى تجربة شتى الأنواع من النباتات والإفادة من لحوم الحيوانات والعظام وأنواع الأحجار، وكانت مصادر معرفته الطبية متفرقة ، فقد تعلم بالتجربة الصلة بين نوع معين من المرض ونوع معين من النبات للمعالجة " [1].

وقد قام العديد من المؤرخين بتعريف كلمة طب، فابن خلدون يُعرِّف صناعة الطب " بأنها تنظر في بدن الإنسان من حيث المرض والصحة، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن، وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها ، وما لكل مرض من الأدوية مستدلين على ذلك بأمزجة الأدوية وقواها ، وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنضجه وقبوله الدواء أولا في أنسجته والعضلات والنبض محاذين لذلك قوة الطبيعة، فأنها المدبرة في حالتي الصحة والمرض، وقد سمى العلم الذي يجمع هذا كله بعلم الطب "[2].

بينما عرف طاش كبرى زاده الطب بقوله " هو علم يبحث فيه عن بدن الإنسان من جهة ما يصح وما يمرض لحفظ الصحة وإزالة المرض " [3].

وكان للطب العربي العديد من الفروع كطب النساء والتشريح والجراحة وغيرها كثير وهى من الموضوعات المهمة التي يجب دراستها لمعرفة ما توصل إليه العرب في علم الطب، فكان الطفل من أهم الأمور التي أهتم بها العرب من الناحية الطبية والنفسية والتربوية، ولأن الطفل في المراحل الأولى لنموه في بطن أمه يعرف بالجنين، فلابد من تعريف هذه الكلمة "الجنين الولد في البطن " [4] .

---

(1) خليل، ياسين، الطب والصيدلة عند العرب، منشورات جامعة بغداد، بغداد 1979 م، ص9 .

(2) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2000م، ص 309 .

(3) طاش كبرى زاده، أحمد بن مصطفى ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، القاهرة، 1968 م 12 / 270 .

(4) الفيروز آبادى، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986 م، ص 1532 .

" وكل مستور وجن في الرحم بجن جنا : استتر وأجنته الحامل ... , وعليه جنا وجنوناً وأجنه : ستره ، وكل ما ستر عنك فقد جن عنك " [1] .

وبالتالي فان هذه التسمية تطلق على الولد الذي في البطن جنيناً لأنه مستور عن الأعين ، مما جعل العرب قديماً لا يعلمون الشيء الكثير عن حال الجنين الذي يخلق في رحم المرأة، بل كانت معرفتهم أكثر بالطفل بعد الولادة.

أما الطفل في اللغة فهو" المولود وولد كل وحشيةٍ أيضاً طفل والجمع أطفال " [2].

والطفل " الولد الصغير ، ويبقى للولد هذا الاسم حتى يميز فيقال له صبي ثم يافع ثم مراهق وبالغ ، ويكون الطفل بلفظ واحد للذكر والمؤنث، كما يقال طفلة وأطفال وطفلات ، وأطفلت المرأة بمعنى ولدت " [3].

ومن هنا نفهم المراحل التي يمر بها الإنسان أثناء نموه، فالصبي " الصغير دون الغلام أو من لم يفطم " [4]. بينما اليافع " من شارف على الاحتلام وهو دون المراهق " [5] .

رغم اكتفاء أغلب المصادر على لفظ طفل لجميع المراحل دون تحديد إن كان ذكر أو أنثى ، وقد قسم الأطباء العرب حياة الطفل ونموه تقسيماً لا يختلف عن تقسيمنا اليوم " والطفل هو الذي لم تقو أعضاه ولم يستو للحركات، والصبي هو الذي لم يستوفِ سقوط الأسنان، والمترورع هو الذي قد استوفى سقوط الأسنان ولم يبلغ المراهق، والغلام هو الذي قد راهق وبلغ الحلم وإلى منتهى الوقوف وهو إلى خمس وثلاثين سنة وإلى الأربعين يسمى سن الشباب ، ومن الأربعين إلى الستين سنة يسمى سن الكهولة ، وما بعده فيسمى سن الشيخوخة " [6].

---

(1) الفيروز ابادي , المصدر السابق ص 532 .

(2) الرازي، محمد بن ابى بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1976 م، ص 394

(3) عطية الله، أحمد، دائرة المعارف الحديثة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1951 م، ص 394.

(4) مصطفى ، إبراهيم ، وآخرون، المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت ، المجلد الثاني، ص 509.

(5) المرجع نفسه ، المجلد الثاني ، ص 1065.

(6) محمد، محمود الحاج قاسم، الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، 1987م، ص 247.

وقد عرف هذا الفرع من الطب وهو طب الأطفال منذ القدم إلا أنه كان متصـــلاً بطب النساء لذلك حاولت جمع ما يقع بين يدي من معلومات موجودة فـــي مصـــادرنا العربية لإظهار ما توصلت إليه الشعوب القديمة من معلومات في هـــذا المجـــال، ولـــو كانت قليلة فهي النبراس الذي أضاء للعرب طريقهم والأساس الذي بنو عليه حضارتهم فظهر عندهم طب الأطفال الذي استقل عن طب النساء، وبالتالي كـــانوا هـــم المـــورد الأساسي الذي أخذت منه أوربا ما لا نهاية له من الأفكار العلمية الخاصة بهذا المجال، وبفضل الاتصال الحضاري الذي حدث بينهم انتقلت المعارف عبر ممرات برية وبحرية مما بعث نهضة علمية بين تلك الشعوب فكان من بيـــنهم الهنـــود واليونـــان والفـــرس والرومان .

المبحث الأول طب الأطفال عند الإغريق :

لقد قامت في بلاد الإغريق حضارات عدة والتي يعود بدء ظهورها إلــى القــرن السابع قبل الميلاد، وبتطور هذه الحضارات تقدم الإغريق في جوانب علمية كثيرة فــي حياتهم، فكان علم الطب من بين هذه العلوم التي أمتاز بها الإغريق " فنجــد أن الطــب الإغريقي قد أعتمد على المعارف الطبية الفرعونية والبابلية والفارسية والهندية " [(1)].

والإغريق القدماء ، هم أول من ربط العلم بالمنطق بفضل تعليلهم لما توصلوا إليه عن طريق المنطق العقلي لا بالقوى السحرية الغامضة، ولكن مع كل هذا التقدم الــذي حققوه لم ينسجم منطقهم مع الحقائق الثابتة، فظلت تعليلاتهم بعيدة عن الحقيقــة، وذلــك لأن العقل لا يستطيع وحده الوقوف على الحقائق ، وإلا فإن الظنون تجتاحــه ويصــبح منطقه مملوءاً بالخرافات ، لذلك قاموا بالتجربة من أجل إثبات تلك الحقــائق، فاشــتهر لديهم العديد مــــن العلماء الذين كان لهــم الدور الكبيــــر في تطور الطب ، فأصبح بفضلهم يخطو خطوات واسعة وبشكل ملحوظ، فارتبط الطب عندهم بادئ الأمر بالــدين ، فكان لديهم إله للطب، وأول طبيب ذكر عندهم " في القرن السابع قبل المــيلاد هــو اسقليبوس، وهو أول من عرف الطب عن طريق التجربة " [(2)].

وقد علم اسقليبوس أولاده وأقاربه مهنة الطب " وحرم علــيهم أن يعلموهــا لأي إنسان آخر غير أولادهم أو من هو من غير نسله " [(3)].

وبكتمانه أسرار هذه المهنة وعدم تعليمها إلا لأبنائه كاد أن يقضى على الطب في بلادهم لأنه أصبح محصوراً في عائلاته إلى أن جاء أبقراط (460-370 ق.م) فتــولى رئاسة الطب " وهو أول من أسس التعليم في صناعة الطب ، وقد فصل الطــب عــن الشعوذة، وبنى قاعدة ثابتة للعلاج ورأى أن ينشر تعليم الطب بــين النــاس ، حتــى لا تنقرض هذه الصناعة بانقراض نسل اسقليبوس " [(4)] .

وأول من بوَّب الطب ورتبه وبناه على أسس علمية صحيحة، أطلق عليـــــــه اسم (أبو الطب) وقد فصل الطب عن الخرافات والغيبيات وأقامه على أســاس علمــي

---

(1) كمال السامرائي، المرجع السابق ، 1 / 43.

(2) ابن ابى اصبيعة، موفق الدين ابو العباس أحمد ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الثقافة، بيروت، 1979م ، 1 / 29.

(3) المصدر نفســـه، 1 / 39.

(4) المصدر نفسه، 1 / 43-44.

فكان له أعمق الأثر في تقدمه، ولكثرة مراقبته لأحوال المرضى أصبح يدرك كثيراً من علامـــات الأمراض " كالتعبير المرتسم على الوجه عند دنو الأجل وهو مـــا يعـــرف بالوجــــــه الأبقراطى " [1]

لذلك يرى أن المداواة قياس وتجربة، فإذا داوى الطبيب مريضاً بعلاج معين ثـــم بريء من مرضه فيجب على الطبيب أن يداوى كل من يصاب بذلك المرض بالـــدواء نفسه الذي عالج به المريض الأول " وأما الأمراض التي لم يعرفها الطبيب من قبل ولم يعرف علاجها فانه يجتهد في مداواتها بتجربة بعد تجربة " [2].

واشتهر أبقراط بالقسم أو العهد الذي كان يأخذه على المتعلمين قبل أن يبوح لهـــم بأسرار التطبيب والذي يدل على شعوره بمسئولية الطبيب وبالـــدور الإنســـاني الـــذي يضطلع به ، ولأبقراط مؤلفات كثيرة في الطب وماله علاقة بطب الأطفال :-

1 - كتاب في المولودين لسبعة أشهر .

2 - كتاب في المولودين لثمانية أشهر .

3 - كتاب الأجنة وهو ثلاث مقالات : ــ المقالة الأولى تتضمن في كون المنى ، المقالة الثانية تتضمن في كون الجنين، المقالة الثالثة في كون الأعضاء"[3]

ومن أقواله في تكوين الجنين " من قوة المنى وضعفه يكون الذكر أو الأنثى وإن الجنين له كل ما للمنى الذي كونه منه ، وإن أول عضو يتكون الدماغ وإن الذكر تتبين خلقته في اثنين وثلاثين يوماً وتتبين خلقه الأنثى في اثنين وأربعين يوماً وان ولد المولود في الشهر السابع أو التاسع عاش وإن ولد في الثامن لم يعش وذلك لأن أفضل الأعـــداد الفردي، فأما قصر البدن وصغر المولود فانه يكون من ضيق الرحم أو قله غذاء الجنين وينبغي للحوامل إن احتجن للعلاج أن يتعالجن في الشهر الرابع إلى الشهر السابــــــع فأما قبل ذلك وبعده فلا، أما أسنان الأطفال فإن أبقراط صنفها إلى أربعة أجزاء أولها:-

---

(1) غربال، محمد شفيق، الموسوعة العربية المعاصرة، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة، 1965م، ص 17.

(2) فروخ، عمر، تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم للملايين، بيروت، 1970 م، ص 87.

(3) البابا، محمد زهير، علم الجنيين بين اليونان والعرب، أبحاث الندوة العالمية حول الطفل في الطب العربي ، جامعـــة الفـــاتح ، المنعقدة خلال المدة (20 . جمادى الأولى , 15-20 مارس) 1982م، ص 252 .

وقت خروجهم من الأرحام ومباشرتهم الهواء إلى أربعين يوماً، والفصل الثـــاني هو من بعد استكمالهم إلى وقت نبات أضراسهم، والفصل الثالث بعد نبات أسنانهم إلـــى وقت اثغارهم ، والفصل الرابع من بعد اثغارهم إلى قرب إشعارهم وقرب بلوغهم .

كما أشار إلى العلل التي تصيب الأطفال فقال " إن الأطفال متى يولدون يعرض لهم القلاع والقيء ، والتفرغ ، وورم السرة ، ورطوبة الأذنين ، وإذا قرب نبات أسنانهم عرض لهم ورم ومصيص في اللثة، وحميات، وتشنج واختلاف لاسيما إذا نبتت الأسنان خاصة، وربما عرض لهم ورم الحلق ، وحكة في الإذنين ، ورمد ، والتشنج يعــرض للعليل من الصبيان ولمن كان بطنه معتقلة فقد ينبغي لذلك أن تتفقد هذه العلل والأمراض ويجتهد في جسها " [(1)] .

وكانت مدة حياة ابقراط " خمساً وتسعين سنة منها صبى ومتعلم ست عشرة ســنة وعالم معلم تسعة وسبعين سنة " [(2)] .

إذاً فأبقراط كان له الفضل في تقدم الطب عند اليونان فلما " نظر إلـــى صـــناعة الطب ووجدها قد كادت أن تبيد لقلة الأبناء الوارثين لـــه مـــن آل اســـقليبوس، رأى أن يذيعها في جميع الأرض وينقلها إلى سائر الناس، ويعلمها المســـتحقين لهـــا حتـــى لا تبيد"[(3)].

كما قدم أرسطو (384 ــ 322 ق . م) أبحاث عن " علم الأجنة حيث وصف تطور الصيصان وأجنة أخرى ، فأعتبر بذلك مؤسس علم الأجنة مع أن أفكاره كانــت تدور حول تطور الجنين من الحيض بعد تنشيطه من قبل منى الرجل " [(4)] .

واشار الى العديد من المواضيع التي تتعلق بعلم الجنين منها " أن اجزاء الجنـــين المختلفة تنشأ تباعاً وذلك بالتكوين التراكمي " [(5)].

وهذه من الأخطاء التي وقع فيها مقارنة بما توصل إليه العلماء في علم الأجنة.

والعالم عنده أنواع وأجناس يندرج فيه الأخص تحت الأعم فقال " الإنسان نوع من الحيوان، والحيوان بدوره نوع من الحي، والعلم بنوع معناه العلم بجنسه وفصله الـــذي

---

(1) محمود الحاج قاسم، تاريخ طب الأطفال عند العرب، مركز أحياء التراث العلمي، بغداد، 1989 م، ص 13.

(2) ابن أبى أصيبعة ، المصدر السابق، 1 / 24.

(3) المصدر نفسه، 1/ 43

(4) كريم الأعز، المرجع السابق، ص 24.

(5) جنيد ، موفق شريف ، علم الجنين ، منشورات جامعة عمر المختار ، البيضاء ، 1998م ، ص أ .

يعينه من سائر الأنواع المندرجة معه تحت جنس واحد، والذي يعطى النوع ماهيته هو الصورة التي تجعل المادة نوعاً معيناً، فللعالم مبدآن أزليان هما الصورة والمـــادة، ولا تكون صورة بغير مادة إلا صورة الله وصورة النفس الإنسانية قبل حلولها في الجســم وبعد مفارقتها له ، واتحاد الصورة بالمادة هو سبب الحركة والتغير، فالصورة تحــرك والمادة تتحرك لتأخذ شكلاً ما ، والله هو المحرك الأول للمادة فهو العلة الغائبـــة التـــي تجذب، ففي أسفل السلم هيولى خالصة ثم تكتسب الهيولى صورة النبات وهى الاغتـــذاء والنمو فيكون أرقى من الجماد، ثم يكتسب صورة جديدة هي الحس، فيتكـــون الحيـــوان وهو أرقى من النبات، ثم يكتسب صورة التفكير فيتكون الإنسان وهو أرقى الكائنـــات، فكل مرحلة تحتوى على ما في المرحلة السابقة وتضيف إليها " [1].

أما أوريفيون الذي يعتبر " أول من قال إن الشرايين مملوءة بالدم كما هي الحال في الأوردة وهو طبيب مولد وجراح نسائي أكثر مما هو ممارس عـــام وينســـب إليـــه تشخيص وجود الحبل بتبخير المهبل فإذا صعدت رائحة البخور إلى أنف المريضـــة دل ذلك علـــى الحبل " [2].

وقد وضع " جالن في القرن الثاني بعد الميلاد كتاباً تحدث فيه عن مراحل تطـــور وتغذية الأجنة، وعن المشيمة التي تحيط بالجنين، وقد اقتصر بحثـــه علـــى المراحـــل المتأخرة من تطور الجنين".[3]

أما روفوس الأفسسى فقد " عاش في أواخر القرن الأول وأوائل القـــرن الثـــاني للميلاد، له مقالة في تربية الأطفال، فيها مقتطفات في كتاب الحاوي وفي كتاب تـــدبير الحبالى والأطفال لأحمد بن محمد البلدي، وقد حظي موضوع رضاع الطفل والمرضع عنـــد روفوس بعنايـــة خاصة وتناول أيضـــا معالجة أمراض الأطفال المختلفة " [4].

كما عرف سورانوس وهو " طبيب يوناني معاصر لجالينوس، وضع كتابـــاً فـــي أمراض النساء والتوليد، أدخل فيه علاج الأطفال وأمراضهم وإليه يعزى أنه أول مـــن أقام نوعاً من الارتباط العنصري بين طب الأطفال والأمراض النسائية " [5].

---

(1) شفيق غربال، المرجع السابق، ص 117.

(2) محمود الحاج قاسم، الطب عند العرب، ص 30.

(3) كريم الأغر، المرجع السابق، ص 30.

(4) محمد البابا، علم الجنين بين اليونان والعرب، ص 258

(5) المرجع نفســـه ، ص 258 .

كما أشتهر عند اليونان ممن كتب في طب الأطفال، أمبيد وقلس:وهو طبيب يوناني كان شهيراً في عصره بسعة معارفه الطبية فكان يعرف شيئاً معتبراً" عن وظائف أعضاء الحس وقد اشتهر بتعليمه في الصفات الأولية وبسبب ذلك يمكن اعتباره واضع علم الأخلاط، ومذهبه في التوليد بقى معولاً عليه حتى في زمان جالينوس وهو مذكور في كتب أرسطو وفي كتب أبقراط مع بعض آراء أخرى له فانه تكلم كلاماً علمياً على تكوين الجنين ويظهر أنه راقب الجنين في أدواره المختلفة وقد بحث أيضا عن أسباب المشابهة بين الأولاد والآباء فهو أول من تكلم في الوراثة الطبية"[(1)].

أما ديموقريطس فهو طبيب يوناني " عاش حوالي 459 ق. م " [(2)]. وكان رفيعاً في تاريخ الطب " وله في وظائف أعضاء الحس وفي التنفس والنوم والأحلام، أفكار بديعة ومذاهب رفيعة وقد بحث كباقي الطبيعيين في التوليد،وقد ألف كتاباً في طريقة خلق الجنين حسب الإرادة أصحاءوأقوياءوجمالاوأذكياءوفي الجملةمتمتعين بكل كمال"[(3)]

ومن أشهر أطباء اليونان الذين تأثر بهم الطب العربي جالينوس"ولد عام135م وتوفي عام 201 م"[(4)].

إذ ليس يدانيه أحد في صناعة الطب " وذلك أنه عندما ظهر وجد أن صناعة الطب قد كثرت فيها أقوال الأطباء وانمحت محاسنها فانتدب لذلك وأيد آراءه أبقراط وآراء التابعين له وصنف في ذلك، كتباً كثيرة كشف فيها عن مكنون هذه الصناعة وأفصح عن حقائقها ولم يجئ بعده من الأطباء إلا من هو دون منزلته ومتعلم منه"[(5)].

وقد ذكر جالينوس النذر اليسير عن طب الأطفال في مؤلفاته، وهذا ما ذكره ابن أبى أصيبعه " مقالة في تولد الجنين المولود لسبعة أشهر، تفسير كتاب طبيعة الجنين لأبقراط، مقالة يبحث فيها هل أعضاء الجنين المتولد في الرحم تتخلق كلها معاً أم لا ؟، مقالة يبحث فيها هل الجنين الذي في الرحم حيوان أم لا ؟ مقالة في اللبن " [(6)].

---

(1) شميل، شبلى افندى، في الطب اليونانى قبل ابقراط، المقتطف، 98/14.

(2) ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة 1955م، ص 33.

(3) شبلى أفندي، المرجع السابق، 4 / 125.

(4) محمود الحاج قاسم، تاريخ طب الأطفال عند العرب، ص 31.

(5) ابن أبى اصيبعة ، المصدر السابق، 1 / 159.

(6) المصدر نفسه ، 1/ 148.

ومن أهم أقواله في طب الأطفال " أوفق الألبان للمولود لبن أمه، ولا ترضعه كثيراً فان الامتلاء يورث الكسل، وتنبت الأسنان في الشهر السابع أو بعده وكلما كان نباتها أبطـــأ كان أقوى لها وأشد لوجع الصبي وإن كان خروجها في الربيع فهو أسهل وإن كان فـــي الشتاء عرض له استطلاق، وأنه ينبغي أن يختار من الأوقات لفطـــم الصـــبي فصـــل الخريف, واستواء الليل والنهار وغيوب الثريا لأن الشتاء يستقبله فيكون الإنضاج قوياً , إذا أردت أن يكون الصبي طويلاً مستقيمـــــاً مستوى القامـــة فأحفظـــه مـــن الشـــبع والامتلاء من الأغذيـــة " [1].

---

[1] محمود الحاج قاسم، تاريخ طب الأطفال عند العرب، ص 33.

المبحث الثاني طب الأطفال عند الهنود القدماء:

إن الحضارة الهندية قديمة ، فكان الطب من المعالم البارزة فيها وما يـدل علـى ذلك ما جاء في كتبهم فهي دليل على قدم معرفتهم بعلم الطب ، ومن بين تلك الكتـب " سوسورتا ألفه حوالي سنة 300 م الذي يعتبر أضخم كتاب هندي وصل إلـى العـرب كاملاً، وقد ترجمه إلى الفهلوية [1] طبيب الرشيد الفيلسوف الهندي منكة ، ثم نقل منهـا إلى العربية كما ترجم منكة كتاب السموم لشاناق ، وكتاب آخر من تأليف طبيبهم الكبير شاراك أو كما سماه العرب شرك عاش في حدود 200 م أي أنه كان معاصرا لجالينوس نقل هذا الكتاب أولاً إلى الفهلوية ثم إلى العربية " [2].

كذلك كتاب " المواليد لجودور الحكيم الذي ترجم إلى العربية أيضا " . [3]

ومن الأطباء الهنود الذين اشتهروا في تلك الفترة " كوكة فاجيهاتا التي كانت تعمل في الأمراض النسائية والولادة " . [4]

وتقوم نظريـة الطب الهندي القديـم علـى أن جسـم الإنسان مؤلـف من :-

" لعناصر الأربعة التي يتكون منها الكون ، وهى الماء والنار والهواء والتـراب، فالعناصر الثلاثة الأولى عناصر فاعلة، والعنصران الآخران منفعلان، وتتكون الصحة من فعل العناصر الثلاثة الفعالة في العنصرين المنفعلين ومن اتزان هذا التفاعل، فإذا ما حصل اختلاف في ذلك وقع المرض" [5] .

وقد اعتمد الهنود في المعالجة على تقديم إرشادات طبية للمريض بالإضافة إلـى إعطائه أدوية تضم عقاقير نباتية أو حيوانية أو معدنية وهى أشكال منوعة : نقوعات ، ودهونات ، وتبخيرات ، كما اهتم الطب الهندي بالمعالجة بالجراحة ، إذ تـذكر بعـض المصادر الكثير من العمليات الجراحية البسيطة والكبيرة مثل"الشق العجـاني، وتقطيـع الجنين،وقدح النار،وتجميل الأنف ، وفتح البطن في حالات انسداد الأمعاء أوانثقابها " [6]

---

[1] الفهلوية منسوبة الى فهلة اسم يقع على خمس بلدان وهي اصفهان والري وهمذان وماه نهاوند واذربيجان ويه من اللغات الفارسية ، .www.google.com

[2] السامرائى، كمال، مختصر تاريخ الطب، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1984م، ص 66

[3] محمود الحاج قاسم ، الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات، ص 26.

[4] المرجع نفسه ، ص 27 .

[5] البابا، محمد زهير، تاريخ وتشريع وآداب الصيدلة، مطبعة طربين، دمشق، 1979م، ص 13-14.

[6] الشطي ، أحمد شوكت، تاريخ الطب وآدابه وأعلامه، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1967م ، ص 77.

الفصل الأول

تاريخ طب الأطفال

عند الشعوب القديمة

المبحث الأول : طب الأطفال الإغريق

المبحث الثاني : طب الأطفال عند الهنود القدماء

المبحث الثالث : طب الأطفال عند العرب قبل الإسلام

أ- عند العراقيين القدماء .

ب- عند المصريين القدماء .

الطب هو أقدم العلوم التي عرفها الإنسان فطرياً، فارتبطت البدايات الأولى له " بالتجربة والخطأ وإعادة المحاولة الناجحة في شفاء الأمراض بالأغذية والدواء ، والسعي لإعادة الجسم الإنساني عندما يعتريه المرض إلى حالته الطبيعية عن طريق ما تزوده به الطبيعة من أشياء نباتية وحيوانية ومعدنية، فالمرض ظاهرة مرافقة للوجود الإنساني، وان البحث عن العلاج لإزالة هذه الظاهرة أو الحالة قد دفع الإنسان منذ القدم إلى تجربة شتى الأنواع من النباتات والإفادة من لحوم الحيوانات والعظام وأنواع الأحجار، وكانت مصادر معرفته الطبية متفرقة ، فقد تعلم بالتجربة الصلة بين نوع معين من المرض ونوع معين من النبات للمعالجة " (1).

وقد قام العديد من المؤرخين بتعريف كلمة طب، فابن خلــدون يُعــرِّف صــناعة الطب " بأنها تنظر في بدن الإنسان من حيث المرض والصحة، فيحاول صاحبها حفــظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضــو من أعضاء البدن، وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها ، وما لكل مرض من الأدوية مستدلين على ذلك بأمزجة الأدوية وقواها ، وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنضــجه وقبوله الدواء أولا في أنسجته والعضلات والنبض محاذين لذلك قــوة الطبيعــة، فأنهــا المدبرة في حالتي الصحة والمرض، وقد سمى العلم الذي يجمع هذا كله بعلم الطب "(2).

بينما عرف طاش كبرى زاده الطب بقوله " هو علم يبحث فيه عن بدن الإنســان من جهة ما يصح وما يمرض لحفظ الصحة وإزالة المرض " (3).

وكان للطب العربي العديد من الفروع كطب النساء والتشريح والجراحة وغيرهــا كثير وهى من الموضوعات المهمة التي يجب دراستها لمعرفة ما توصل إليه العــرب في علم الطب، فكان الطفل من أهم الأمور التي أهتم بها العرب مــن الناحيــة الطبيــة والنفسية والتربوية، ولأن الطفل في المراحل الأولى لنموه في بطن أمه يعرف بالجنين، فلابد من تعريف هذه الكلمة "الجنين الولد في البطن " (4) .

---

(1) خليل، ياسين، الطب والصيدلة عند العرب، منشورات جامعة بغداد، بغداد 1979 م، ص9 .

(2) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2000م، ص 309 .

(3) طاش كبرى زاده، أحمد بن مصطفى ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، القاهرة، 1968 م 12 / 270 .

(4) الفيروز آبادى، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986 م، ص 1532 .

" وكل مستور وجن في الرحم بجن جنا : استتر وأجنته الحامل ... , وعليه جنـــا وجنوناً وأجنه : ستره ، وكل ما ستر عنك فقد جن عنك " [1] .

وبالتالي فان هذه التسمية تطلق على الولد الذي في البطن جنيناً لأنه مستور عــن الأعين ، مما جعل العرب قديماً لا يعلمون الشيء الكثير عن حال الجنين الذي يخلق في رحم المرأة، بل كانت معرفتهم أكثر بالطفل بعد الولادة.

أما الطفل في اللغة فهو" المولود وولد كل وحشيةٍ أيضاً طفل والجمع أطفال " [2].

والطفل " الولد الصغير ، ويبقى للولد هذا الاسم حتى يميز فيقال له صبي ثم يافع ثم مراهق وبالغ ، ويكون الطفل بلفظ واحد للذكر والمؤنث، كما يقـــال طفلـــة وأطفـــال وطفلات ، وأطفلت المرأة بمعنى ولدت " [3].

ومن هنا نفهم المراحل التي يمر بها الإنسان أثناء نموه، فالصبي " الصـــغير دون الغلام أو من لم يفطم " [4]. بينما اليـــافع " مـــن شـــارف علـــى الاحـــتلام وهـــو دون المراهق " [5] .

رغم اكتفاء أغلب المصادر على لفظ طفل لجميع المراحل دون تحديد إن كان ذكر أو أنثى ، وقد قسم الأطباء العرب حياة الطفل ونموه تقسيماً لا يختلف عن تقسيمنا اليوم " والطفل هو الذي لم تقو أعضاه ولم يستو للحركات، والصبي هو الذي لـــم يســـتوفِ سقوط الأسنان، والمترورع هو الذي قد استوفى سقوط الأسنان ولـــم يبلـــغ المراهـــق، والغلام هو الذي قد راهق وبلغ الحلم وإلى منتهى الوقوف وهو إلى خمس وثلاثين سنة وإلى الأربعين يسمى سن الشباب ، ومن الأربعين إلى الستين سنة يسمى سن الكهولة ، وما بعده فيسمى سن الشيخوخة " [6].

---

[1] الفيروز ابادي , المصدر السابق ص 532 .

[2] الرازي، محمد بن ابى بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1976 م، ص 394

[3] عطية الله، أحمد، دائرة المعارف الحديثة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1951 م، ص 394.

[4] مصطفى ، إبراهيم ، وآخرون، المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت ، المجلد الثاني، ص 509.

[5] المرجع نفسه ، المجلد الثاني ، ص 1065.

[6] محمد، محمود الحاج قاسم، الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، 1987م، ص 247.

وقد عرف هذا الفرع من الطب وهو طب الأطفال منذ القدم إلا أنه كان متصـــلاً بطب النساء لذلك حاولت جمع ما يقع بين يدي من معلومات موجودة فـــي مصـــادرنا العربية لإظهار ما توصلت إليه الشعوب القديمة من معلومات في هــذا المجــال، ولـــو كانت قليلة فهي النبراس الذي أضاء للعرب طريقهم والأساس الذي بنو عليه حضارتهم فظهر عندهم طب الأطفال الذي استقل عن طب النساء، وبالتالي كـــانوا هـــم المـــورد الأساسي الذي أخذت منه أوربا ما لا نهاية له من الأفكار العلمية الخاصة بهذا المجال، وبفضل الاتصال الحضاري الذي حدث بينهم انتقلت المعارف عبر ممرات برية وبحرية مما بعث نهضة علمية بين تلك الشعوب فكان من بيـــنهم الهنـــود واليونـــان والفـــرس والرومان .

المبحث الأول طب الأطفال عند الإغريق :

لقد قامت في بلاد الإغريق حضارات عدة والتي يعود بدء ظهورها إلـــى القـــرن السابع قبل الميلاد، وبتطور هذه الحضارات تقدم الإغريق في جوانب علمية كثيرة فـــي حياتهم، فكان علم الطب من بين هذه العلوم التي أمتاز بها الإغريق " فنجـــد أن الطـــب الإغريقي قد أعتمد على المعارف الطبية الفرعونية والبابلية والفارسية والهندية " [1].

والإغريق القدماء ، هم أول من ربط العلم بالمنطق بفضل تعليلهم لما توصلوا إليه عن طريق المنطق العقلي لا بالقوى السحرية الغامضة، ولكن مع كل هذا التقدم الـــذي حققوه لم ينسجم منطقهم مع الحقائق الثابتة، فظلت تعليلاتهم بعيدة عن الحقيقـــة، وذلـــك لأن العقل لا يستطيع وحده الوقوف على الحقائق ، وإلا فإن الظنون تجتاحـــه ويصـــبح منطقه مملوءاً بالخرافات ، لذلك قاموا بالتجربة من أجل إثبات تلك الحقـــائق، فاشـــتهر لديهم العديد مـــــن العلماء الذين كان لهـــم الدور الكبيـــــر في تطور الطب ، فأصبح بفضلهم يخطو خطوات واسعة وبشكل ملحوظ، فارتبط الطب عندهم بادئ الأمر بالـــدين ، فكان لديهم إله للطب، وأول طبيب ذكر عندهم " في القرن السابع قبل المـــيلاد هـــو اسقليبوس، وهو أول من عرف الطب عن طريق التجربة " [2].

وقد علم اسقليبوس أولاده وأقاربه مهنة الطب " وحرم علـــيهم أن يعلموهـــا لأي إنسان آخر غير أولادهم أو من هو من غير نسله " [3].

وبكتمانه أسرار هذه المهنة وعدم تعليمها إلا لأبنائه كاد أن يقضى على الطب في بلادهم لأنه أصبح محصوراً في عائلاته إلى أن جاء أبقراط (460-370 ق.م) فتـــولى رئاسة الطب " وهو أول من أسس التعليم في صناعة الطب ، وقد فصل الطـــب عـــن الشعوذة، وبنى قاعدة ثابتة للعلاج ورأى أن ينشر تعليم الطب بـــين النـــاس ، حتـــى لا تنقرض هذه الصناعة بانقراض نسل اسقليبوس " [4] .

وأول من بوَّب الطب ورتبه وبناه على أسس علمية صحيحة، أطلق عليـــــــــه اسم (أبو الطب) وقد فصل الطب عن الخرافات والغيبيات وأقامه على أســـاس علمـــي

---

(1) كمال السامرائى، المرجع السابق ، 1 / 43.

(2) ابن ابى اصبيعة، موفق الدين ابو العباس أحمد ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الثقافة، بيروت، 1979م ، 1 / 29.

(3) المصدر نفســـه، 1 / 39.

(4) المصدر نفسه، 1 / 43-44.

فكان له أعمق الأثر في تقدمه، ولكثرة مراقبته لأحوال المرضى أصبح يدرك كثيراً من علامـــات الأمراض "كالتعبير المرتسم على الوجه عند دنو الأجل وهو مـــا يعـــرف بالوجـــــه الأبقراطى " [1]

لذلك يرى أن المداواة قياس وتجربة، فإذا داوى الطبيب مريضاً بعلاج معين ثـــم برىء من مرضه فيجب على الطبيب أن يداوى كل من يصاب بذلك المرض بالـــدواء نفسه الذي عالج به المريض الأول "وأما الأمراض التي لم يعرفها الطبيب من قبل ولم يعرف علاجها فانه يجتهد في مداواتها بتجربة بعد تجربة " [2].

واشتهر أبقراط بالقسم أو العهد الذي كان يأخذه على المتعلمين قبل أن يبوح لهـــم بأسرار التطبيب والذي يدل على شعوره بمسئولية الطبيب وبالـــدور الإنســـاني الـــذي يضطلع به ، ولأبقراط مؤلفات كثيرة في الطب وماله علاقة بطب الأطفال :-

1 - كتاب في المولودين لسبعة أشهر .

2 - كتاب في المولودين لثمانية أشهر .

3 - كتاب الأجنة وهو ثلاث مقالات : ــ المقالة الأولى تتضمن في كون المنى ، المقالة الثانية تتضمن في كون الجنين، المقالة الثالثة في كون الأعضاء"[3]

ومن أقواله في تكوين الجنين " من قوة المنى وضعفه يكون الذكر أو الأنثى وإن الجنين له كل ما للمنى الذي كونه منه ، وإن أول عضو يتكون الدماغ وإن الذكر تتبين خلقته في اثنين وثلاثين يوماً وتتبين خلقه الأنثى في اثنين وأربعين يوماً وان ولد المولود في الشهر السابع أو التاسع عاش وإن ولد في الثامن لم يعش وذلك لأن أفضل الأعـــداد الفردي، فأما قصر البدن وصغر المولود فانه يكون من ضيق الرحم أو قله غذاء الجنين وينبغي للحوامل إن احتجن للعلاج أن يتعالجن في الشهر الرابع إلى الشهر السابــــــع فأما قبل ذلك وبعده فلا، أما أسنان الأطفال فإن أبقراط صنفها إلى أربعة أجزاء أولها:-

---

(1) غربال، محمد شفيق، الموسوعة العربية المعاصرة، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة، 1965م، ص 17.

(2) فروخ، عمر، تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم للملايين، بيروت، 1970 م، ص 87.

(3) البابا، محمد زهير، علم الجنيين بين اليونان والعرب، أبحاث الندوة العالمية حول الطفل في الطب العربي ، جامعـــة الفـــاتح ، المنعقدة خلال المدة (20 . جمادى الأولى , 15-20 مارس) 1982م، ص 252 .

وقت خروجهم من الأرحام ومباشرتهم الهواء إلى أربعين يوماً، والفصل الثاني هو من بعد استكمالهم إلى وقت نبات أضراسهم، والفصل الثالث بعد نبات أسنانهم إلى وقت اثغارهم ، والفصل الرابع من بعد اثغارهم إلى قرب إشعارهم وقرب بلوغهم .

كما أشار إلى العلل التي تصيب الأطفال فقال " إن الأطفال متى يولدون يعرض لهم القلاع والقيء ، والتفرغ ، وورم السرة ، ورطوبة الأذنين ، وإذا قرب نبات أسنانهم عرض لهم ورم ومصيص في اللثة، وحميات، وتشنج واختلاف لاسيما إذا نبتت الأسنان خاصة، وربما عرض لهم ورم الحلق ، وحكة في الإذنين ، ورمد ، والتشنج يعرض للعليل من الصبيان ولمن كان بطنه معتقلة فقد ينبغي لذلك أن تتفقد هذه العلل والأمراض ويجتهد في جسها " [1] .

وكانت مدة حياة ابقراط " خمساً وتسعين سنة منها صبى ومتعلم ست عشرة سنة وعالم معلم تسعة وسبعين سنة " [2] .

إذاً فأبقراط كان له الفضل في تقدم الطب عند اليونان فلما " نظر إلى صناعة الطب ووجدها قد كادت أن تبيد لقلة الأبناء الوارثين له من آل اسقليبوس، رأى أن يذيعها في جميع الأرض وينقلها إلى سائر الناس، ويعلمها المستحقين لها حتى لا تبيد"[3].

كما قدم أرسطو (384 ــ 322 ق . م) أبحاث عن " علم الأجنة حيث وصف تطور الصيصان وأجنة أخرى ، فأعتبر بذلك مؤسس علم الأجنة مع أن أفكاره كانت تدور حول تطور الجنين من الحيض بعد تنشيطه من قبل منى الرجل " [4] .

واشار الى العديد من المواضيع التي تتعلق بعلم الجنين منها " أن اجزاء الجنين المختلفة تنشأ تباعاً وذلك بالتكوين التراكمي " [5].

وهذه من الأخطاء التي وقع فيها مقارنة بما توصل إليه العلماء في علم الأجنة.

والعالم عنده أنواع وأجناس يندرج فيه الأخص تحت الأعم فقال " الإنسان نوع من الحيوان، والحيوان بدوره نوع من الحي، والعلم بنوع معناه العلم بجنسه وفصله الذي

---

(1) محمود الحاج قاسم، تاريخ طب الأطفال عند العرب، مركز أحياء التراث العلمي، بغداد، 1989 م، ص 13.

(2) ابن أبى أصيبيعة ، المصدر السابق، 1 / 24.

(3) المصدر نفسه، 1/ 43

(4) كريم الأعز، المرجع السابق، ص 24.

(5) جنيد ، موفق شريف ، علم الجنين ، منشورات جامعة عمر المختار ، البيضاء ، 1998م ، ص أ .

يعينه من سائر الأنواع المندرجة معه تحت جنس واحد، والذي يعطى النوع ماهيته هو الصورة التي تجعل المادة نوعاً معيناً، فللعالم مبدآن أزليان هما الصورة والمـــادة، ولا تكون صورة بغير مادة إلا صورة الله وصورة النفس الإنسانية قبل حلولها في الجســـم وبعد مفارقتها له ، واتحاد الصورة بالمادة هو سبب الحركة والتغير، فالصورة تحـــرك والمادة تتحرك لتأخذ شكلاً ما ، والله هو المحرك الأول للمادة فهو العلة الغائبـــة التـــي تجذب، ففي أسفل السلم هيولى خالصة ثم تكتسب الهيولى صورة النبات وهى الاغتـــذاء والنمو فيكون أرقى من الجماد، ثم يكتسب صورة جديدة هي الحس، فيتكـــون الحيـــوان وهو أرقى من النبات، ثم يكتسب صورة التفكير فيتكون الإنسان وهو أرقى الكائنـــات، فكل مرحلة تحتوى على ما في المرحلة السابقة وتضيف إليها " [1].

أما أوريفيون الذي يعتبر " أول من قال إن الشرايين مملوءة بالدم كما هي الحال في الأوردة وهو طبيب مولد وجراح نسائي أكثر مما هو ممارس عـــام وينســـب إليـــه تشخيص وجود الحبل بتبخير المهبل فإذا صعدت رائحة البخور إلى أنف المريضـــة دل ذلك علـــى الحبل " [2].

وقد وضع " جالن في القرن الثاني بعد الميلاد كتاباً تحدث فيه عن مراحل تطـــور وتغذية الأجنة، وعن المشيمة التي تحيط بالجنين، وقد اقتصر بحثـــه علـــى المراحـــل المتأخرة من تطور الجنين". [3]

أما روفوس الأفسسى فقد " عاش في أواخر القرن الأول وأوائل القـــرن الثـــاني للميلاد، له مقالة في تربية الأطفال، فيها مقتطفات في كتاب الحاوي وفي كتاب تـــدبير الحبالى والأطفال لأحمد بن محمد البلدي، وقد حظي موضوع رضاع الطفل والمرضع عنـــد روفوس بعنايـــة خاصة وتناول أيضـــا معالجة أمراض الأطفال المختلفة " [4].

كما عرف سورانوس وهو " طبيب يوناني معاصر لجالينوس، وضع كتابـــاً فـــي أمراض النساء والتوليد، أدخل فيه علاج الأطفال وأمراضهم وإليه يعزى أنه أول مـــن أقام نوعاً من الارتباط العنصري بين طب الأطفال والأمراض النسائية " [5].

---

(1) شفيق غربال، المرجع السابق، ص 117.

(2) محمود الحاج قاسم، الطب عند العرب، ص 30.

(3) كريم الأغر، المرجع السابق، ص 30.

(4) محمد البابا، علم الجنين بين اليونان والعرب، ص 258

(5) المرجع نفســه ، ص 258 .

كما أشتهر عند اليونان ممن كتب في طب الأطفال، أمبيد وقلــس:وهــو طبيــب يوناني كان شهيراً في عصره بسعة معارفه الطبية فكان يعرف شــيئاً معتبــراً" عــن وظائف أعضاء الحس وقد اشتهر بتعليمه في الصفات الأولية وبسبب ذلك يمكن اعتباره واضع علم الأخلاط، ومذهبه في التوليد بقى معولاً عليه حتى في زمان جالينوس وهــو مذكور في كتب أرسطو وفي كتب أبقراط مع بعض آراء أخرى له فانه تكلــم كلامــاً علمياً على تكوين الجنين ويظهر أنه راقب الجنين في أدواره المختلفة وقد بحث أيضــا عن أسباب المشابهة بين الأولاد والآباء فهو أول من تكلم في الوراثة الطبيــة"[1].

أما ديموقريطس فهو طبيب يوناني " عاش حوالي 459 ق. م " [2]. وكان رفيعــاً في تاريخ الطب " وله في وظائف أعضاء الحس وفي التنفس والنوم والأحلام، أفكــار بديعة ومذاهب رفيعة وقد بحث كباقي الطبيعيين في التوليد،وقد ألف كتاباً فــي طريقــة خلق الجنين حسب الإرادة أصحاءوأقوياءوجمالاوأذكياءوفي الجملةمتمتعين بكل كمال"[3]

ومن أشهر أطباء اليونان الذين تأثر بهم الطب العربي جالينوس"ولــد عــام135م وتوفي عام 201 م"[4].

إذ ليس يدانيه أحد في صناعة الطب " وذلك أنه عندما ظهر وجــد أن صــناعة الطب قد كثرت فيها أقوال الأطباء وانمحت محاسنها فانتدب لذلك وأيــد آراءه أبقــراط وآراء التابعين له وصنف في ذلك، كتباً كثيرة كشف فيها عن مكنــون هــذه الصــناعة وأفصــح عن حقائقها ولم يجئ بعده من الأطباء إلا من هو دون منزلته ومتعلم منه"[5].

وقد ذكر جالينوس النذر اليسير عن طب الأطفال في مؤلفاته، وهذا ما ذكره ابــن أبى أصيبعه " مقالة في تولد الجنين المولود لسبعة أشهر، تفسير كتاب طبيعــة الجنــين لأبقراط، مقالة يبحث فيها هل أعضاء الجنين المتولد في الرحم تتخلق كلها معاً أم لا ؟، مقالة يبحث فيها هل الجنين الذي في الرحم حيوان أم لا ؟ مقالة في اللبن " [6].

---

[1] شميل، شبلى افندى، في الطب اليونانى قبل ابقراط، المقتطف، 98/14.

[2] ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، مطبعة المعهد العلمــي الفرنســي للآثار الشرقية ، القاهرة 1955م، ص 33.

[3] شبلى أفندي، المرجع السابق، 4 / 125.

[4] محمود الحاج قاسم، تاريخ طب الأطفال عند العرب، ص 31.

[5] ابن أبى اصيبعة ، المصدر السابق، 1 / 159.

[6] المصدر نفسه ، 1/ 148.

ومن أهم أقواله في طب الأطفال " أوفق الألبان للمولود لبن أمه، ولا ترضعه كثيراً فان الامتلاء يورث الكسل، وتنبت الأسنان في الشهر السابع أو بعده وكلما كان نباتها أبطـأ كان أقوى لها وأشد لوجع الصبي وإن كان خروجها في الربيع فهو أسهل وإن كان فـي الشتاء عرض له استطلاق، وأنه ينبغي أن يختار من الأوقات لفطـم الصـبي فصـل الخريف, واستواء الليل والنهار وغيوب الثريا لأن الشتاء يستقبله فيكون الإنضاج قوياً , إذا أردت أن يكون الصبي طويلاً مستقيمـاً مستوى القامـة فأحفظـه مـن الشـبع والامتلاء من الأغذيـة " [1].

[1] محمود الحاج قاسم، تاريخ طب الأطفال عند العرب، ص 33.

المبحث الثاني طب الأطفال عند الهنود القدماء:

إن الحضارة الهندية قديمة ، فكان الطب من المعالم البارزة فيها وما يــدل علــى ذلك ما جاء في كتبهم فهي دليل على قدم معرفتهم بعلم الطب ، ومن بين تلك الكتــب " سوسورتا ألفه حوالي سنة 300 م الذي يعتبر أضخم كتاب هندي وصل إلــى العــرب كاملاً، وقد ترجمه إلى الفهلوية [1] طبيب الرشيد الفيلسوف الهندي منكة ، ثم نقل منهــا إلى العربية كما ترجم منكة كتاب السموم لشاناق ، وكتاب آخر من تأليف طبيبهم الكبير شاراك أو كما سماه العرب شرك عاش في حدود 200 م أي أنه كان معاصرا لجالينوس نقل هذا الكتاب أولاً إلى الفهلوية ثم إلى العربية " [2].

كذلك كتاب " المواليد لجودور الحكيم الذي ترجم إلى العربية أيضا " . [3]

ومن الأطباء الهنود الذين اشتهروا في تلك الفترة " كوكة فاجيهاتا التي كانت تعمل في الأمراض النسائية والولادة " . [4]

وتقوم نظريــة الطب الهندي القديــم علــى أن جســم الإنسان مؤلــــــف من :-

" لعناصر الأربعة التي يتكون منها الكون ، وهى الماء والنار والهواء والتــراب، فالعناصر الثلاثة الأولى عناصر فاعلة، والعنصران الآخران منفعلان، وتتكون الصحة من فعل العناصر الثلاثة الفعالة في العنصرين المنفعلين ومن اتزان هذا التفاعل، فإذا ما حصل اختلاف في ذلك وقع المرض" [5] .

وقد اعتمد الهنود في المعالجة على تقديم إرشادات طبية للمريض بالإضافة إلــى إعطائه أدوية تضم عقاقير نباتية أو حيوانية أو معدنية وهى أشكال منوعة : نقوعات ، ودهونات ، وتبخيرات ، كما اهتم الطب الهندي بالمعالجة بالجراحة ، إذ تــذكر بعــض المصادر الكثير من العمليات الجراحية البسيطة والكبيرة مثل"الشق العجــاني، وتقطيــع الجنين،وقدح النار،وتجميل الأنف ، وفتح البطن في حالات انسداد الأمعاء أوانثقابها " [6]

---

[1] الفهلوية منسوبة الى فهلة اسم يقع على خمس بلدان وهي اصفهان والري وهمذان وماه نهاوند واذربيجان ويه من اللغات الفارسية ، .www.google.com

[2] السامرائى، كمال، مختصر تاريخ الطب، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1984م، ص 66

[3] محمود الحاج قاسم ، الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات، ص 26.

[4] المرجع نفسه ، ص 27 .

[5] البابا، محمد زهير، تاريخ وتشريع وآداب الصيدلة، مطبعة طربين، دمشق، 1979م، ص 13-14.

[6] الشطي ، أحمد شوكت، تاريخ الطب وآدابه وأعلامه، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1967م ، ص 77.

كما فهموا عمليات الهضم فهماً جيداً " وأمروا بفحص الشباب قبل إقدامهم على الزواج لمعرفة قدرتهم على الإنجاب، وجاء في أحد تشريعاتهم تحذير من عقد الزواج بين شخصين مصابين بالسل أو الصرع أو البرص أو سوء الهضم المزمن أو البواسير، وقد فكرت مدارس الطب الهندية سنة 500 قبل الميلاد في ضبط النسل ووصفوا تطور الجنين، وصفاً لا بأس به ، واعتقدوا أنه بالإمكان التحكم في جنس الجنين في بعض الحالات بفعل الطعام أو العقاقير" [1].

واعتبر العرب أن الهنود أحد الأمم الخمس ذات الصفات الممتازة وهى الفرس والهند والروم والصين واليونان ، لذلك استفادوا منهم الشيء الكثير خاصةً بعد خضوع الهند للحكم العربي، مما ساعد على انتشار الطب الهندي انتشاراً واسعاً في بلاد العرب ، وفي مناطق أخرى، وقد نقل العرب الكثير من الكتب الطبية الهندية إلى اللغة العربية

فأشارت كتب الطب العربية إلى كثير من الأمراض والأدوية بتسمياتها الهندية، ومن أشهر الكتب الهندية التي نقلت إلى العربية " كتاب سردا وهو عبارة عن أسماء عقاقير الهند الطبية، كذلك كتاب في علاجات الحبالى، وكتاب في علاجات النساء، وكتاب في التوهم في الأمراض، والعلل، وكتاب راي الهند في أجناس الحيات وسمومها، وكتاب في أسرار الأعمار، وكتاب أسرار المواليد، وكتاب في علامات الأدواء ومعرفة علاجها " [2].

كما وجد أيضاً في مجال طب الأطفال الهندي " رسالة سنسكريتية [3] تعود إلى 1416 قبل الميلاد، هذه الرسالة تسمى(غربها أو بانيشاد GARBHA UPANISHAD) وتصف الأفكار القديمة المتعلقة بتطور الجنين، وتشير هذه الرسالة إلى ما يلي:

من اتحاد الدم والمني يأتي الجنين إلى الوجود، وبعد التزاوج الجنسي، في الوقت المواتي للحمل، يصبح الجنين بما يسمى كلادا أي جنين في اليوم الأول من عمره وبعد مرور سبع ليالٍ، يصبح الجنين بذرة وبعد مرور أسبوعين، يصبح الجنين كتلة مستديرة،

---

[1] مرحبا، محمد عبد الرحمن، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب، منشورات عويدات، بيروت، 1988م، ص 94 -95.

[2] الهونى، فرج محمد، تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، مصراته، 1986م، ص20.

[3] هي لغة قديمة في الهند لها موقع في الهند وجنوب شرق آسيا مشابه للغة اللاتينية اليونانية في القرون الوسطى وقد للحظ هذا الشبه العالم اللغوي ويليام جونز حيث كان يعمل قاضيا هناك وإحدى الاثنين والعشرين لغة الرسمية للهند تدرس كلغة ثانية كما أن بعض البراهمنيين وهم الوعاظ من الطبقة العالية يعتبرونها لغتهم الام ولا يسمح الا للكهنة البراهمة بقراءة النصوص السنسكريتية ، . gle .comwww.goo

وبعد مرور شهر، يصبح الجنين كتلة متماسكة، وبعد مرور شهرين، يتخلـــق الـــرأس ، وبعد مرور ثلاثة أشهر، تظهر منطقة الأوصال " [1].

وفي الظاهر أن هذا يتنافي تماماً مع الحقيقة، ويدل على دور الخيال عند الهنـــود في فهم مراحل تطور الجنين، وهذه من الأخطاء الطبية التي وقع فيها الهنود إلى جانب اعتقادهم " أن القلب هو مركز الشعور وأدائه، كما ظنوا أن الأعصاب إنما تصعد مـــن القلب وتهبط إليه " [2]

وهذا لا يعنى أن الهنود لم يتواصلوا إلى نظريات طبية مهمة، فقد " تفوق الطب الهندي القديم على الطب الصيني في نواح عدة، حيث عرف الأطباء الهنـــود خـــواص الأربطة العضلية ورتق العظام والجهاز اللمفاوي والضفائر العصبية واللفائف والأنسجة الدهنية والأوعية الدموية والأغشية المخاطية والمفصلية " [3]

هذا ومن الخطأ الظن بأن الطب الهندي زال واندثر، وانمحى فلم يعد له أثـــر " إذ يبعث اليوم علماء الهنود التعاليم الطبية الهندية بعثاً جديداً بعد إلباسها حلة عصرية، كما أن هنالك كثيراً من مفردات الطب الهندي مـــا زالـــت مســـتعملة مـــن قبـــل الهنـــود حتـــى اليوم " [4] .

يتضح مما مر بنا أن الطب الهندي قد بلغ درجة لا بأس بها من التقدم، رغم قلـــة المعلومات الخاصة بطب الأطفال، فإن ما توصل إليه الهنود في الطب أفاد العرب فـــي نهضتهم الطبية ولو بشكل محدود.

---

(1) الأغر، كريم نجيب، إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، دار المعرفة، بيروت، 2005م، ص 28-29.

(2) الشطشاط ، على حسين، تاريخ الجراحة في الطب العربي من القرن 3-7 هـــ / 9-13 م، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي 1999م ، 1 / 57.

(3) المرجع نفسه ، 1 / 57.

(4) الشطى، أحمد شوكت، العرب والطب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1970م، ص 14.

المبحث الثالث طب الأطفال عند العرب قبل الإسلام

أ- طب الأطفال عند العراقيين القدماء

اشتهرت العراق منذ القدم بالعلم والعلماء فكانت لدى العراقيين إسهامات رائدة في مجال الطب فبرز لديهم من العلماء والأطباء الأفاضل الذين اثــروا العلــم بأفكــارهم وتعاليهم فتسم الطب عندهم بسمات وخصائص معينة بحيث أصبحت علامــة للعصــر بأسره لان أشهر ملوكها " حمورابي وقد حكم ما يربوا على 42 سنه ... ولأجل توحيد البلاد قانونيا أنشاء حمورابي قانونا موحداً للبلاد عرف (بشريعة حمورابي) أو (مسلة حمورابي) أو (قانون حمورابي) التي أصدرها سنة (1770ق . م) وفيها (282) مادة قانونية "[1] .

متنوعة مرتبة لم تهل شيء ، فكان من بين تلك المواد ما ينظــر فــي الطــب " وجعلت الأطباء مسئولين عما يرتكبونه من أخطاء بحق مرضاهم ، وكــذلك فرضــت عقوبة على النساء المرضعات اللواتي يقصرن فــي العنايــة بالرّضــع الــذين يعهــد إليهن بهم "[2] .

والطفل لم يعمل في مواد هذا القانون لا من الناحية الطبية ولا الناحية الاجتماعية فهناك " مواد خاصة بالأموال : وفيها تخص السرقات ، وخطف الأطفــال ... وتبنــي الأطفال ... والإسقاط "[3]

وكل هذه الأمور الخاصة بالطفل لم تهمل عند حمورابي بل أكثر من ذلك " فنجــد في قانون (العائلة السومري) قد أعطى للزوج الحق في طلاق امرأته متــى يشــاء ، ودونما سبب ، وعندها أطفال أم لا . أما حمورابي فقد وضع في قانونه حــداً لســلطة الزوج في الطلاق ، إذ وضع الفرق بين حالتين : الأولى عندما يكون للزوجــة أطفــال والثانية عندما لا يكون للزوجة أطفال "[4]

وهذا ما دعى إليه الدين الإسلامي وهو النظر في حال الأطفال عندما يتم الطلاق بين الزوجين ، بل قد يكون احد أسباب الطلاق عدم وجود أطفال سوء كان من جانــب

---

(1) العزاوي ، عبد الرحمن حسين ، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، دار الخليج ، عمان ، 2006م ، ص 81 .

(2) العمري ، عبد الله ، تاريخ العلم عند العرب ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، 1995م ، ص 74 .

(3) العزاوي ، المرجع السابق ، ص 82 .

(4) المرجع نفسه ، ص 82 – 83 .

المرأة أو الرجل وقد تطورت القوانين والتشريعات " عند العراقيين بعد قانون حـورابي ... وقد رسمت القوانين للقضاة الأحكام التي يوقعونها على المذنبين ، فالإعدام عقوبـة شاهد الزور ... وخطف الأطفال ... وكانت تقطع يد الابن الذي يضرب أباه ، وأصابع الطبيب الذي يتسبب في موت مريضه ، ويد القابلة التي تستبدل رضيعا بآخر " [1]

فظهرت عند العراقيين القدماء كتب طبية قيمة منها كتاب نشره (لابات) تتـاول في صفحاته طب الأطفال فهو " يبحث عن الأطفال في دور الرضاعة والآلام الناتجـة عند ظهور الأسنان الحليبية ثم اضطرابات المعدة والأمعاء عندهم والتشنجات الحاصلة وأسباب القي والبكاء ... إذا كان رأس الطفل ساخناً من غير أن يصاب جسمه بـالحمى ، وكان لعابه يسيل وكان يصرخ كثيرا وان ما يأكله لا يبقى في معدته بل يقذفه ، فـإن أسنان هذا الطفل ستنبت خلال خمسة عشر أو عشرين يوماً ... اذا كان جلـد الطفـل مترهلاً وهو رضيع مع أن غذاءه هو الحليب وكان الثدي معداً له فعافه ، وهو لا يأكل بعد فليس لك إلا أن تستبدل ثدي أمه وان تضعه على ثدي آخر " [2]

فما قدمه العراقيون كان نقطة البداية لمن جاء بعدهم فمعلوتهم الطبية لم تبنى كلها على السحر والأدعية والتعاويذ بل كان فيها معلومات ذات قيمة جعلتهم أصحاب تـراق طبي خاص بهم فهناك بعض الأمور التي ذكروها لا تختلف عما جاء في الطب الحديث كالحمى التي يصاب بها الطفل عند أسنانه .

---

[1] موسوعة العراق الحضارية ، تأليف نخبة من الباحثين ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، مطبعة دار الشئون الثقافيـة ، بغـداد ، 1985م . ص 11 ، عـن كتاب تاريخ الحضارة العربية الإسلامية للعزاوي .

[2] محمود الحاج قاسم ، تاريخ طب الأطفال ، ص 24 .

ب- طب الأطفال عند المصريين القدماء

عرف طب الأطفال عند العرب قبل الإسلام حيث كانت معرفتهم الطبيـــة بصـــفة عامة " متوارثة عن مشايخ الحي، وعجائزه، فكانوا يداوون مرضاهم بالعقاقير النباتيـــة والمعدنية ، والأشربة وخصوصاً العسل الذي كان يمثــل قاعـــــدة العـــلاج فـــي أمـــــراض البطن"[1].

فكان من أهم الشعوب القديمة التي عرفت الطب المصريين القدماء الذين برعــوا في جميع فروع الطب وأبدوا مهارتهم في ممارسته فكان " لا يسمح لأحد بممارسة أحد فروع الطب إلا بعد دراسة الطب [كله] خلال فترة معينــــة، ثم الاختصاص في بعض فروعه"[2].

وكان الطب في عصر الدولة القديمة معهوداً لأطباء اختصاصيين يعرفون باســم (سنو) وبالقبطية (شان) وبالعربية (الصائن) من صان يصون صوناً"[3].

وتوجد برديات محفوظة في بعض المتاحف الأوربية تؤكد أن المصريين القــدماء على دراية جيدة بالعديد من الأمور الطبية"[4].

ومن هذه البرديات بردية (إيبرس) التي يرجع تاريخــها إلـــى ســـنة 1500 قبل الميــلاد"[5].

وهى تتضمن شرحاً للعديد من الوصفات الطبية المستخدمة في علاج أمراض عدة من بينها أمراض الأطفال كالرمد الحبيبي والديدان والبلهارسيا أما بردية (أودين سميث) " فيرجع تاريخها إلى سنة 1600 قبل الميلاد " [6].

وقد جمعت خبرة آلاف السنين ونسقت الأمور الطبية بحيث أصبح مـــن الممكـــن استخراج قواعد عامة منها تصلح لإرشاد الطبيب المعالج " [7].

---

[1] عمر فروخ , المرجع السابق، ص 90.

[2] رياض، نجيب، الطب المصري القديم، دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع، القاهرة (د، ت) ص 41.

[3] عبد الحميد، محمد، الفراعنة والطب الحديث، دار المعارف، القاهرة، 1979م، ص 23 - 24.

[4] السامرائي، خليل إبراهيم، دراسات في تاريخ الفكر العربي، جامعة الموصل، 1983م، ص 302.

[5] علي الشطشاط، تاريخ الجراحة، 1/ 48.

[6] باشا،أحمد فؤاد، التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة، دار المعارف، القاهرة، 1984م، ص 159.

[7] حسين، محمد كامل،ومحمد عبدالحليم العقبي،طب الرازي،دراسة وتحليل لكتاب الرازي،دار الشروق،القاهرة 977م،ص 29-30

كما تم العثور على برديات طبية بها معلومات غزيرة عن الحمل وأمراض النساء وقد اشتملت هذه البرديات على اختبارات طبية لمعرفة مـــدى قابليـــة المـــرأة للحمـــل ولمعرفة نوع الجنين هل هو ذكرا أو أنثى " وذلك باستخدام بول المرأة يومياً فـــي ري بعض بذور القمح والشعير فإذا نبتت هذه البذور فان المرأة تكون حاملاً بالفعـــل ، وإذا نبتت بذور القمح قبل الشعير فان الجنين يكون أنثى، أما إذا نبتت بذور الشـــعير قبـــل بذور القمح فان الجنين سيكون ذكراً، أما إذا لم تنبت بذور الشعير ولا بذور القمح فـــإن المرأة لا تكون حاملاً " [1].

وجدت نقوش أثرية تركها قدماء المصريين تصور عملية وضع الولادة على أحد جدران " معبد دندرة والذي يرجع تاريخه إلى العصر البطلمي، وهـــو يصـــور امـــرأة جالسة على كرسي الولادة وتساعدها الإلهة حتحور التي تقف متكـــررة عـــن يمينهـــا ويسارها"[2] .



الشكل رقم (1)[3]

(1) السويفي، مختار، أم الحضارات ملامح عامة لأول حضارة صنعها الإنسان، الـــدار المصـــرية اللبنانيـــة، القـــاهرة، 2003م، ص 148.

(2) المرجع نفســـه، ص 151.

(3) المرجع نفسه ، ص 153.

إلى جانب بعض التعاليم التي ذكرها الحكماء المصريين القدماء التي تشـير إلـى الرضاعة فذكروا بأن الرضاعة تستمر حوالي ثلاث سنوات يتم بعدها الفطـام وتعويـد الطفل على الأطعمة المناسبة ونظراً لأهمية لبن الأم عندهم فقد كانوا يستعينوا بمرضعة إذا نقص حليب الأم أو إذا توفت، ويجب أن تتوفر في هذه المرضعة بعـض الشـروط الصحية " وقد تم العثور على عقد أثرى ينص على التزامات المرضـعة أثنـاء فتـرة الإرضاع ، وعلى تفاصيل الأجر الذي تحصل عليه"[1].

ونظراً لأهمية لبن الأم للطفل ليس للرضاعة فقط وإنما لأكثر من ذلك فقد استخدم في علاج بعض الأمراض وهذا ما أشارت له إحدى البرديات " التي ترجع إلى القـرن الأول الهجري بها كتابات كوفية مبكرة وتشرح مزج أحد الأدوية المفردة (الصبر) بلبن الأم وتقطيره في آذن الصبي الذي يشكو منها كما يستخدم كعلاج موضعي في بعـض أمراض العين والأذن"[2].

وما زال حتى وقتنا الحاضر يوصف لبن الأم لعلاج العين كذلك عرفـوا الختـان واعتقدوا إنه يمنع عددا من الأمراض حيث كان الختان طقساً من طقـوس المصـريين القدامى دلت عليه آثار في الجثث التي استخرجت من مقابر عصر ما قبل التاريخ " أي منذ عام (4000 ق. م) وفي مقبرة من الأسرة السادسة حوالي (25 - 2475 ق. م) تصوير واضح لهذه العملية مرسوم على جدار هذه المقبرة" [3].

وكان من الشائع بين المصريين القدماء اختتان أبنائهم بصفة جماعية في الأعيـاد والاحتفالات الدينية كما اهتم قدماء المصريين بـبعض الأمـراض وطـرق علاجهـا كالنزلات المعوية والتسنين والتبول واحتباس البول واعتبروا قدماء المصريين لبن الأم وسيلة يمكن بواسطتها إعطاء الطفل العلاج، فوصفوا الدواء اللازم للأم المرضعة بقصد نزوله في لبنها، كشلل الأطفال، والكساح فهناك ما يشير إلى وجود الكساح في مصـر الفرعونية فهناك رسوم لأشخاص رؤوسهم كبيرة ووجوههم صغيرة وأطرافهم السـفلى مشوهة وأقدامهم مفرطحة " [4].

---

[1] السويفي، المرجع السابق , ص 163.

[2] عوض، هنري أمين، لمحة عن علاج الطفل في العصر الإسلامي بمصر، الندوة العالمية حول الطفل في الطب العربي 25-20 جمادى الأول، جامعة الفاتح، طرابلس، ليبيا، 1982م، ص 370 .

[3] كمال، حسن، كتاب الطب المصري القديم، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1964 , / 15.

[4] محمود الحاج قاسم محمد ، تاريخ طب الأطفال، ص 27 ــ 28

وقد لوحظ بعض الأعراض التي تركتها هذه الأمراض " على الهياكل العظمية أو في الموميات المحنطة للأطفال التي عثر عليهـا فـي العديـد مـن المقـابر الأثريـة القديمة " [1].

كما وجدت أختام لمكاييل زجاجية لكثير من الأدوية المفردة "وكانت تستعمل في علاج أمراض الطفل وهى الاسى والأرامل واسفرفة والإكليل والبسلة والترمس والتين والتفاح والكسبر والحلبة والحمص والحناء والشمر وزيت الزيتون والكمون " [2].

وعلى هذا فإن طب الأطفال عند الشعوب القديمة عبارة عن مقتطفات مرتبطـة بطب النساء، والوحيدين الذين قاموا بفصل طب النساء عن طب الأطفال ووضعوا فيـه مؤلفاتهم الأطباء العرب، وما وجد من هذه الكتب خير دليل على ذلك فأصبحت مراجع لكل المهتمين بتاريخ الطب العربي لما فيها من معلومات طبية مهمة .

ولا ننكر استفادة الأطباء العرب المسلمين من بعض الأمور الطبية التي جاءت في كتب الأوائل كما تفادوا الأخطاء التي وقع فيها الأطباء قديماً، فقدموا كل ما هو جديـد عن طريق التجربة وهي ما تميز به الأطباء العرب .

---

(1) مختار السويفي ـــ المرجع السابق، 167

(2) هنرى عوض، المرجع السابق، ص 370 .

الفصل الثاني

مراحل نمو الطفل

المبحث الأول : مراحل نمو الطفل في القرآن الكريم

المبحث الثاني : مراحل نمو الطفل في السنة النبوية

المبحث الثالث : مراحل نمو الطفل في الطب

المبحث الأول مراحل نمو الطفل في القرآن الكريم

الحمد لله وحده أنزل على عبده الكتاب تبياناً لكل شيء وفصلّه تفصيلاً ، كتاب أحكمت آياته، وسطعت حروفه ، وشعّ الإعجاز في نواحيه ، يبهر النفوس ، ويشغل العقول ، ويلهم الفؤاد والمشاعر ، لا تنقضي على مرّ الدهور عجائبه ، ولم ولن تكشف جميع كنوزه هو حليه الحافظ له ، وفصاحة لقارئه ، ومنهل لطالب العلم ، نبع لا تغيض مياهه ، وسيل لا يزال متدفقاً بأنواع العجائب ، حدّث عما كان قبله فلم يهمل شيئاً وأخبر عما سيأتي بعده فمازلنا نتبين كل يوم صدقة قال تعالى ﴿ ... ونَزَّلْنا عَلَيْك الْكِتَابَ تِبْياناً لكَلِّ شيء وهُدَى ورَحْمَةً وبَشرَى للمُسْلِمين﴾.[1]

جمع الله بين دفتيه الخير ، وبث في نواحيه الفضل ، ولف آياته بالسحر الفصيح والعلم المكين ، فضله الله على سائر الكتب بأن جعله خاتماً لها ، وشريعته للناس كافة فهو مقدس في كل زمان ومكان ضمنه الأحكام وكنوز المعارف والعلوم ، فهو شريعة ودستور ونظام حياة ومرجع علمي ، وقد تكفل الله بحفظه من كل تحريف أو تبديل قال تعالى ﴿ إنا نَحْنُ نَزَّلنا الذِّكرَ وإنا له لحَفِظَون ﴾ .[2]

ولازلنا ننهل من معينه ونعّل ونعجب من نفائس ما حُمّل به من قضايا دينية واجتماعية واقتصادية وسياسيّة وعلميّة بحثة يسهر جرّاها الخلق ويختصم ، وقد أنزل الله سبحانه وتعالى هذا الكتاب العظيم على نبيه محمد " صلى الله عليه وسلم " خاتم المرسلين ليبشر به الناس ويهديهم إلى الصراط المستقيم ، فازدادت عظمة الإنْسَان عندما أنزل القرآن الكريم على بشر وهو سيدنا محمد " صلى الله عليه وسلم ﴿ قَلْ إنَّمَا أنا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إلَيَّ إنَّمَا إلهكَمْ إلَهٌ واَحِدٌ ... ﴾ .[3]

وكان هدف الله من ذلك الرفع من قيمة البشر الذين كرمهم على سائر المخلوقات قال تعالى ﴿ ... إني خالقٌ بَشَراً مِنّ طِيْن فإذا سَوِيّته ونَفَخْتُ فيه مِنْ روحِي فَقَعُوا له ساجِدين﴾ [4].

---

[1] سورة النحل ، الآية 89 .

[2] سورة الحجر ، الآية 9 .

[3] سورة الكهف ، الآية 110.

[4] سورة ص. الآيتين 70 -71.

فأي عظمة حظي بها الإنْسَان وقد نفخت فيه روح الله والأعظم من ذلــك عنــدما أمر الله الملائكة أن تسجد له ونحن نعلم أنه لا يسجد إلا لله عــز وجــل ﴿ و إذ قُلْنَــا للمَلائِكة أسجُدُوا لآدَم فسَجَدُوا ... ﴾ .[1]

فنزل القرآن الكريم للإنْسَان ومن أجله ، فطلب الله من البشر فــي آياتــه اقتــداء أوامره والابتعاد عن نواهيه ، ومن أوامر الله سبحانه وتعالى الكثيرة طلب العلم ومحــو الأمية والمثال القاطع الذي قدمه الله للناس أنه أنزل الوحي على بشر أمِّي لا يفقــــه قــــراءةً ولا كتابــــةً ليزيد إعجــــازه وليزيدنــــا حيــــرة في تأملــــه ﴿ الَّذِينَ يتَّبِعون الرَسُول النبي الأمي ... ﴾ [2] .

ومعنى الأمي المنسوب إلى ما عليه جبلتْه أمه أي لا يكتب فهو أمي لأن الكتابــة مكتسبة فكأنه منسب إلى ما يولد عليه أي على ما ولدته أمه عليه"[3].

أما تفسير كلمة أمي عند أهل التفسير فقد اتفقوا فيها مع أهل اللغة " يعني بالأميين الذين لا يكتبون ولا يقرءون"[4] .

والدليل على عدم معرفته للكتابة أنه لم يكتب الوحي الذي نزل به جبريل ، وهــذا من إعجاز الله سبحانه وتعالى بأن ينزل كتابه الحكيم على أمي لا يعرف الكتابة فيأمره بالتعلّم. فكانت أول كلمة نزل بها القرآن الكريم ﴿ إقَرَأْ بإسمِ ربّك الذي خَلَقَ ﴾ [5] .

فكان أمر الله واضح بأن يتعلم الرسول " صلى الله عليه وسلم " من أجل استيعاب الآيات القرآنية وما تحتويه من أوامر دينية ودنيوية وعلمية ، ولو كان الهدف من نزول القرآن ديني فقط لأمر الله سبحانه وتعالى النبي بحفظ القرآن وليس تعلمه ﴿ هُوَ الــذي بَعَثَ في الأميينَ رَسُولاً مِنْهم يَتْلُواْ عَلَيهِم آياتِه ويزكِّيهِم ويُعلمّهم الكتَابَ والحِكْمَــة وإن كانُوا مِن قَبْل لَفِي ضَلالٍ مُبِين﴾ [6] .

وقد وردت آيات عديدة تحث على طلب العلم وترفع من قدر العلم والعلماء كقوله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ يستَوي الَّذينَ يعْلَمُونَ والَّذِين لا يْعَلمُونَ﴾ [7].

---

(1) سورة البقرة ، الآية 33 .

(2) سورة الأعراف ، الآية 157 .

(3) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد مكرم ، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي بيروت، 1993م، 34/12.

(4) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، مدرسة الأعلمي، بيروت، 1983م، 373/1.

(5) سورة العلق ، الآية 1 .

(6) سورة الجمعة ، الآية 2 .

(7) سورة الزمر ، الآية 9 .

وقال أيضاً ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مَنْ عِبَادِهِ العُلماءُ ﴾[1] .

﴿وقُل ربِّ زِدْنِي عِلماً﴾[2].

" والمراد بالعلماء هنا الذين يعلمون أسرار الكون وأطواره، وأسباب اختلاف أجناسه وأنواعه وألوانه ، وآيات الله وحكمه فيها ، وهو يشمل أكثر العلوم والفنون أو جميعها " . [3]

وبسبب ما حظي به العلماء من اهتمام في آيات القرآن الكريم أنصب اهتمامهم في الآونة الأخيرة على ما تحتويه الآيات القرآنية من حقائق ونظريات علمية ثابتة كقوله تعالى ﴿وما يَعْقِلُها إلا العَالِمُون﴾.[4]

ومن هنا نفهم أهمية العلم ، فالعلم وسيلة لاكتشاف الحقائق، و بواسطته يرتقى الإنْسَان من الجهل إلى النور ، فيجب علينا البحث في الأمور العلمية خاصةً التي تؤدى إلى التفكر في آيات الله تعالى ولعل أهمها خلق الإنْسَان كيف ومما خلق ، فقد وردت آيات عديدة في القرآن الكريم وأحاديث عن الرسول " صلى الله عليه وسلم " تشير إلى قضية الخلق البشرى في القرآن .

ولابد لنا أن نشير قبل البداية في سرد آيات التنزيل في قصة الخلق – إلى أن الناس اختلفوا في أصل وبدء الخلق إلى فريقين :-

الأول فريق المؤمنين وهم من آمن بالكتب والديانات السماوية والمعتقدات التي لها شبهة بالديانات السماوية ونحن نعني في بحثنا هذا بما يرويه لنا القرآن والسنة المطهرة الصحيحة .

والثاني فريق الطبيعيين وهؤلاء الذين يقولون بحدوث كل شيء وفقا لتقلبات الطبيعة وتفاعلاتها بسبب العوامل المتتالية والمتتابعة ومرور السنين والدهور وتصورات النشوء والارتقاء ومذهب الانتخاب والبقاء للأصلح .

---

[1] سورة فاطر ، الآية 28.

[2] سورة طه ، الآية 114 .

[3] رضا ، محمد رشيد ، الوحي المحمدي ، المكتب الإسلامي ، بيروت 1979 م، ص 237.

[4] سور العنكبوت ، الآية 43 .

وهذا الرأي رغم تصادمه الواضح مع العقول وتعارضه مع واقع الحال لابـد أن أشير إلى نقاط تزيل هذا الرأي عن مجال النقاش في بحثنا هـذا، ولنكتـف بمـا أورده صاحب كتاب (عقيدة المؤمن).[1] في شأن ذلك بنوع من التصرف والاختصار .

الاعتراض الأول على فريق الطبيعيين:-

إذا كان الارتقاء والتطور مطرداً في كل شيء ، فعن أي شـيء ترقـت الأنعـام والبهائم ، ولماذا استقرت على ما هي عليه الآن والمعلوم أن الكمال لا حد له ؟

الاعتراض الثاني :-

لماذا أنقرض الحيوان الواسطة بين الإنْسَان والقرد الذي تطور عنه الإنْسَان ولماذا لم ينقرض القرد الأول أليس البقاء للأصلح؟

وبهذين الاعتراضين أكتفي لإسقاط هذا الرأي عن وجهة سير بحثي والتي كما قلنا نُعني فيه بقصة خلق الإنْسَان في القرآن الكريم.

ونلاحظ أن نسق سرد القرآن ووضعه لخلق الإنْسَان جاء بعدة عبارات لا يختلف بعضها عن بعض إلا في إيماءات لها مدلولها وإشارات لها معانيها فتارة يشير إلى خلق الإنْسَان من تراب وأحياناً من طين ومرة من طين لازب وأخرى من صلصال من حمأٍ مسنون وأخرى كالفخار.

والله سبحانه وتعالى-جلت قدرته وعظمت حكمته- جعل خلق الإنْسَان في ثـلاث صور لتمام قدرته وحكمته.

الأولى:- الخلق المباشر ونقصد بذلك خلقه لآدم وحواء بيديه.

الثانية:- من آدم وحواء بطريق التناسل والخلق التدريجي، فجعـل الله سـبحانه وتعالى سنة التزاوج والالتقاء عادة" في خلق النسل البشرى.

الثالثة:- كسر وخرق هذه العادة بإيجاد سيدنا عيسى عليه السلام من أم دون أب.

---

[1] الجزائري ، أبو بكر جابر ، عقيدة المؤمن ، نشر وتوزيع مكتبة الجديد ، تونس ، 1405 هـ ، 1985 م.

ومن الأمور التي لا مجال للنقاش فيها مسألة خلق سيدنا آدم عليه السلام وذلك لأن هذا الخلق من اختصاص الله سبحانه وتعالى ومن دلائل قدرته، فهو القائل ﴿ مَا أَشْهَدْتُهُم خَلْق السَّمَّواتِ والأرض وَلاَ خَلْقَ أَنْفُسِهِم ... ﴾ .[1]

ولكن ما نستطيع التعرف عليه من خلال الآيات القرآنية المادة التي خلق منها سيدنا آدم عليه السلام ،قال تعالى ﴿ وَمِن آيَاتِه أن خَلَقَكُم مِن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أنتُم بَشَرٌ تَنْتَشِرون ﴾ [2] .

فخلق الإنْسَان من التراب فيه إشارة إلى الأصل الذي ينتمي إليه الإنْسَان الذي لم يخلق من العدم المحض ، فالمرحلة الأولى لخلق الإنْسَان كانت من التراب ،وفقاً للسنن الكونية التي وضعها الله عز وجل " أي من علامات رُبوُبيته ووحدانيته أن خلقكم من تراب ، أي خلق آباءكم منه والفرع كالأصل"[3].

قال تعالى ﴿ يأيها النَّاس إن كُنْتمْ في رَيْبٍ مِن البَعْث فإنَّا خَلَقْناكُم مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُضْغَةٍ ﴾ [4].

قوله تعالى ﴿ إن كنتُم في رَيْب مِنَ البَعْثِ﴾ هذا احتجاج على العالم بالبداءة الأولى، وقوله إن كنتم في ريب متضمنة التوقيف ﴿فإنَّا خَلَقْنَاكُم﴾ ، أي خلقنا أباكم الذي هو أصل البشر ، يعنى آدم عليه السلام (من تراب) ، ثُمَّ خلقنا ذريته من نطفة وهو المني، وسمى نطفة لقلته ، وهو القليل من الماء ، وقد يقع على الكثير منه ، ثُمَّ من علقة وهو الدم الجامد ، والعلق الدم العبيط ، أي الطري وقيل الشديد الحمرة ، ثُمَّ من مضغة وهى لحمة قليلة قدر ما يمضغ " [5] .

كما قال عز وجل ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وهُوَ يحاورهُ أكَفَرَت بالَّذِي خَلَقَك مِن تُرَابٍ ثُمَّ مَن نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾ [6] .

---

[1] سورة الكهف ، الآية 51 .

[2] سورة الروم ، الآية 20 .

[3] القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1985 م، 18/14.

[4] سوره الحج ، الآية 5 .

[5] القرطبي ، المصدر السابق ، 9/11-15.

[6] سوره الكهف ، الآية 36.

وَعَظه وبيَّن له أن ما اعترف به من هذه الأشياء التي لا ينكرها احد أبــدع مــن الإعادة وسواك رجلاً أي جعلك معتدل القامة والخلق، صحيح الأعضاء ذكراً".[1]

كما في قول الله سبحانه وتعالى ﴿ واللَّهُ أَنْبَتَكُم مِنَ الأرْضِ نَبَاتاً﴾ [2] .

" يعنى آدم عليه السلام خلقه من أديم الأرض كلّها ، ثُمَّ يعيــدكم فيهــا، أي عنــد موتكم بالدفن " [3] .

كما يعنى انه أنبتكم من الأرض بالطريقة التي اتبعت لإنبات النبات وقــد قــال بعض المفسرين في تفسير هذه الآية " وأنشأكُم مِنَ الأرْض كَمَا يخرج النبات " [4].

قال تعالى ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُم وَفيهَا نُعِيدُكُم وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [5].

ومن هنا يمكن القول بأن التراب هو أول مادة خلق منها الإنْسَان وهو ما يعود إليه بعد مماته ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُم وإليهَا نُعِيدُكُم ﴾.

" منها خلقنكم يعنى آدم عليه السلام لأنه خلق من الأرض ، وقيــل كــل نطفــة مخلوقة من التراب،وفيها نعيدكم أي بعد الموت،ومنها نخرجكم أي للبعث والحساب"[6].

فإذا فارقت الروح البدن ودفن، بدأ في التحلل على التتابع بحيث يعود البدن تراباً ، وقد أثبت العلماء ..." إن العناصر الأولية للبدن الإنساني تشــبه منجمــاً صــغيراً ، يشترك في تركيبه حوالي 22 عنصراً، أهمها الماء الذي يأخذ نســبة عاليــة ، وهــذه العناصر جميعها موجودة في تراب الأرض ، ولكن من الملاحظ أن مكونــات التــراب تتعدى مائة عنصر ، لم يظهر في الإنْسَان منها أكثر من 22 عنصراً"[7].

ثمّ يأتي عنصر الماء ، ويجدر بنا أن نشير إلى أن الله جعل الماء عنصراً أساسياً في تركيب كل خليّة حيّة قال تعالى﴿...وَجَعَلْناَ مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤمِنُون﴾[8].

---

[1] القرطبي ، المصدر السابق ، 350/15.

[2] سورة نوح، الآية 17 .

[3] القرطبي ، المصدر السابق ، 263/18.

[4] الصابونى ، محمد على ، صفوة التفسير ، دار القلم ، ط 5 ، بيروت ، 1986 م ، 453/8.

[5] سورة طه ، الآية 54 .

[6] القرطبي، المصدر السابق، 263/18.

[7] درنيقة ، محمد أحمد ، القرآن والعلم ، دار الأرقم بن الأرقم ، بيروت ، 2002 م ، من 88.87

[8] سورة الأنبياء ، الآية 30.

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَةٍ مِنْ مَاءٍ ... ﴾[1].

والدابة كل ما دب على وجه الأرض من الحيوان، يقال دب يدِبّ، فهو دآب، والهاء للمبالغة، ولم يدخل في هذا الجن والملائكة، فلم يثبت أنهم خلقوا من ماء، بل في الصحيحين أن الملائكة خلقوا من نور والجن من نار، وقال المفسرون من ماء أي من نطفة " [2].

كما قال تعالى ﴿ وهُوَ الذي خَلَقَ مِنَ المَاء بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ ربُّك قَدِيراً﴾ [3].

"أي خلق من النطفة إنساناً فجعله نسباً و صهراً، وقيل من الماء إشارة إلى أصل الخلقة في أن كل حي مخلوق من الماء " [4].

وللتدرج في مراحل خلق سيدنا آدم عليه السلام فإن التراب يختلط بالماء فيصبحا طيناً وهى إحدى مراحل خلق سيدنا آدم قال تعالى ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْملائِكةِ إنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ ﴾ [5].

"إن الله سبحانه وتعالى أعلم الملائكة قبل خلق آدم عليه السلام بأنه سيخلق بشراً من طين وتقدم إليهم بالأمر متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له وإكراما وإعظاماً واحتراماً وامتثَالاً لأمر الله عز وجل"[6].

﴿ الذي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْق الإنْسَان مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾ [7].

" إن كل شيء خَلَقَهُ حسن ، لأنه لا يقدر أحد أن يأتي بمثله ، وهو دال على خالقه " وَبَدَأَ خَلْقَ الإنْسَانَ مِنْ طِينٍ" يعنى سيدنا آدم ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ أي ماء ضعيف ، ثُمَّ سواه ، راجع إلى آدم ، أي سوى خلقه"[8].

---

[1] سورة النور، الآية 45.

[2] القرطبي ،المصدر السابق ، 267/11.

[3] سورة الفرقان، الآية 54.

[4] القرطبي، المصدر السابق ،13/59.

[5] سورة ص، الآية 70.

[6] ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت ، 1994م ، 43/4.

[7] سورة السجدة ، الآية 7 .

[8] القرطبي ، المصدر السابق ، 90/14.

قال تعالى ﴿ ولقَد خَلَقْنا الإنْسَان مِن سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ [1].

" الإنْسَان هنا آدم عليه السلام ، لأنه أستُل من الطين"[2].

ومن صفات الطين أن يكون في بدايته رخواً لزجاً، كقوله تعالى ﴿ إنا خَلَقْنَاكُم مِنْ طِينٍ لاّزِبٍ﴾[3].

أي يعنى اللزج الجيد " الذي يلتزق بعضه ببعض"[4].

إلى أن يصبح هذا الطين مائلاً إلى السواد ، كما في قوله تعالى ﴿ ولقَد خَلَقْنا الإنْسَان مِنْ صلْصَالٍ مَنّ حماٍ مَسْنُونٍ﴾[5].

" أي الصلصال من حمأ وهو الطين والمسنون الأملس ، أي أملس صقيل ، وهو المنتن ، وقيل المراد بالمسنون ههنا المصبوب " [6].

وجاء في تاج العروس " حمأ: الحمأة بفتح فسكون الطين الأسود المتغير" [7].

وفى لسان العرب " المسنون : المنتن"[8].

قال تعالى ﴿ وإذ قالَ رَبُّكَ للملائِكَة إنّي خَالِقُ بَشَراً مِنْ صلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مسْنُونٍ(28) فإذا سويتُه ونَفَخْتُ فيه مِنْ رُوحِي فَقَعُوا له سَاجدِين ﴾ [9].

يذكر الله تعالى " تنويها بذكر آدم في ملائكته قبل خلقه له ، وتشريفه إياه بأمر الملائكة بالسجود له " [10].

" وهو سجود تحيّة وتكريم لا سجود عباده"[11].

---

[1] سورة المؤمنون ، الآية 12 .

[2] القرطبي ، المصدر السابق ، 109/12.

[3] سورة الصافات ، الآية 11 .

[4] أبن كثير ،المصدر السابق، 3/4.

[5] سورة الحجر ، الآية 26 .

[6] القرطبي ، المصدر السابق ، 550/2.

[7] الزبيدي، محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت، 1994م، 140/1.

[8] ابن منظور، المصدر السابق ، 401/6.

[9] سورة الحجر، الآيتان 28 و 29.

[10] ابن كثير، المصدر السابق، 550/2.

[11] القرطبي، المصدر السابق، 24/10.

ومن صفات هذه المادة أنها ليّنة بحيث نستطيع أن نصقلها صــقلاً، وأن نلمســـها بسهولة لكي نصورها ، قال تعالى ﴿ خَلَقَ الإنْسَان مَنّ صَلْصَال كَالفَخَّار﴾[1].

" خلق الإنْسَان باتفاق من أهل التأويل يعنى آدم والصلصال الطين اليابس الـــذي يسمع له صلصلة ، شبهه بالفخار الذي طبخ ، وقيل هو طين خلط بالرمل ، وقيل هــو الطين المنتن من صَلَّ اللحم وأصل إذا أنتن"[2].

وذلك أنه أخذ " من تراب الأرض ، ثُمَّ بل فصار طيناً ، ثُمَّ ترك حتى أنتن فصار حمأ مسنونا أي متغيراً ، ثُمَّ يبس فصار صلصالا كالفخار"[3].

ولما أتم سبحانه وتعالى . خلق آدم عليه السلام مما هو عليه وعلمه كل مـــا أراده أن يكون ، ولما أقتضت حكمته أن يكون ما يكون في آدم من صفات السلوب والنقص ، أعتملت في آدم تلك الصفات وتحركت تلك الرغبات لإتمام نقصه كمـــا أراده ربـــه أن يكون عليه ولما كان من حكمته جل وعلا أن يخلق من آدم ذرية يعبدونـــه ويعمـــرون الأرض جعل له من نفسه وتركيبته زوجاً مثيلاً له في الخلق الجسدي والنفسي مختلفـــاً عنه في الوظائف مكملة له، قال تعالى ﴿ وَمِـــنْ كُـــلّ شَـــيْءٍ خَلَقْنَـــا زَوْجَـــيْنِ لَعَلَّكُـــمْ تذَكَّرُونَ﴾[4].

" أي صنفين ونوعين مختلفين ، أي ذكر وأنثى"[5].

لتسكن ثائرة ما تحرك فيه من رغبة تمامٍ وكمالٍ، لذا عبّر سبحانه وجـــلّ شـــأنه وعظم سلطانه ، عن هذا في قصة خلق حواء بقوله ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِـــدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾[6].

" المراد بالنفس الواحدة آدم"وجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا" يعني حواء ليأنس بها ويطمئن"[7].

وقال تعالى ﴿ ومِنْ آياتِه أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُم أزْوَاجاً لِتسْكُنُواْ إِلَيهَا﴾[8].

---

(1) سورة الرحمن ، الآية 12 .

(2) القرطبي ، المصدر السابق، 160/17-161.

(3) المصدر نفسه، 22/10.

(4) سورة الذاريات ، الآية 49 .

(5) القرطبي ، المصدر السابق، 17، 53.

(6) سورة الأعراف ، الآية 189 .

(7) أبن كثير ، المصدر السابق، 46/4.

(8) سورة الروم ، الآية 20 .

" أي نساء تسكنون إليهن، أي من نطف الرجال ، وقيل المراد حواء خلقهـا مـن ضلع آدم"[1].

قال تعالى ﴿ الَّذِي خَلَقَكَم مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَة وخَلَقَ مِنْهَا زوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً ونِسَاءً ﴾[2].

" في الآية تنبيه على الصانع ، وقال "واحدة " إذاً المراد بالنفس آدم "وبث" معناه فرَّق ونشر في الأرض، ومنهما يعني آدم وحـواء ، قال مجاهد خُلقت حـواء مـن قُصَرْى آدم"[3].

قال تعالى ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾[4].

" يعنى آدم وحواء، ويبين الله تعالى في هذه الآية أنه خلق الخلـق مـن الـذكر والأنثى، ولو شاء لخلقه دونهما كخلقه لآدم، أو دون ذكر كخلقه لعيسى عليه السلام، أو دون أنثى كخلقه حواء، ثُمَّ خلق الله الخلق بين الذكر والأنثى وجعلهم أنساباً وأصـهاراً وقبائل وشعوباً، وخلق منها التعارف وجعل لهم بها التواصل للحكمة التي قدرها وهـو أعلم بها"[5].

كما قال عز وجل ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾[6].

" معناه والذي خلق الذكر والأنثى ، فيكون قد أقسم بنفسه عز وجل، وفى المـراد بالذكر والأنثى قولان : أحدهما آدم وحواء ، قاله أبن عباس والحسن و الكلبي، الثـاني: يعنى جميع الذكور والإناث"[7].

قال تعالى ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ﴾[8].

---

(1) القرطبي ، المصدر السابق، 18/14.
(2) سورة النساء، الآية 1.
(3) القرطبي ، المصدر السابق، 5/5-6.
(4) سورة الحجرات ، الآية 13.
(5) القرطبي، المصدر السابق، 16/340-342.
(6) سورة الليل، الآية 3 .
(7) القرطبي ، المصدر السابق، 8/7172.
(8) سورة يس ، الآية 36 .

" نزه نفسه سبحانه عن قول الكفار إعبدوا غيره مع ما رأوه من نعمة وأثار قدرته ، وفيه تقدير الأمر ، والأزواج الأنواع والأصناف ، فكلّ زوج صنف ، لأنَّه مختلف في الألوان والأشكال والصغر والكبر ، فاختلافها هو إزدواجها ، وقال قتادة يعنى الذكر والأنثى " مما تنبت الأرض " يعنى من النبات ، لأنه أصناف "وَمِنْ أَنفُسِهِمْ " يعنِي وَخَلَق منهم أولاداً أزوجاً ذكوراً وإناثاً"[1].

وبطريق التناسل والخلق التدريجي أصبحت مسألة الخلق عادة وذلك باتصال الذكر والأنثى جنسيّاً، حيث يتدفق مَنِيُّ الرَّجل إلى رحم المرأة فتتكون البذرة الأولى للجنين وهذا ما سَيَتِمُّ شرحهُ في مبحث خلق الجنين في الطُّب ، ولكن نظراً لإشارة بعض الآيات القرآنية لمسألة تخلق الجنين فقد وضعت هذه الآيات وقمت بنقل تفسيرها في هذا المبحث لمعرفة ما أثبته وأشار إليه القرآن الكريم في هذا الجانب، ومعرفة الأطوار التي يمر بها الجنين في بطن أمه إلى أن يخرج منها لحظة ولادته ، فقال تعالى هُوَ الذي خَلَقَكُم مِن نَّفسٍ وَاحدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حِمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَ اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ أَتَيْتَنَا صَالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَّ الشَّاكِرِينَ﴾[2].

فلما تغشاها أي وطئها حملت حملاً خفيفاً وذلك أوّل الحمل لا تجد المرأة له ألماً إنمَّا هي النطفة ثُمَّ العلقة ثُمَّ المضغة، وقوله فمرَّت به قال مجاهد استمرت بحمله، وقيل استخفته ، وقال قتاده فمرَّت به استبان حملها ، وقال ابن جدير معناه استمرَّت بالماء قامت به وقعدت ، فلمَّا أثْقلت أي صارت ذات ثقل بحملها، وقال السدى كبر الولد في بطنها دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً أي بشراً سوياَ"[3].

قال تعالى ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُم أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَزوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [4].

"يذكر الله نعمه على عبيده بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجاً ومن جنسهم وشكلهم، ولو جعل الأزواج من نوع آخر ما حصل الائتلاف والمودة والرحمة ، ولكن من رحمته

---

(1) القرطبي ، المصدر السابق ، 26/15 .

(2) سورة الأعراف، الآية 189.

(3) ابن كثير ، المصدر السابق، 274/2.

(4) سورة النحل، آيه72.

خلق من بني آدم ذكوراً وإناثاً وجعل الإناث أزواجاً للذكور، ثمّ ذكر تعالى أنَّه جعل من الأزواج البنين ثمّ الحفدة وهم أولاد البنين"[1].

قال تعالى ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾[2].

"ووالد آدم عليه السلام ، وما ولد أي وما نسل من ولده"[3].

قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾[4].

"من نفس واحده يعنى آدم عليه السلام ، وقوله فمستقر ومستودع ، فهناك من قال فمستقر أي في الأرحام ومستودع أي في الأصلاب"[5].

فقد حدد الله سبحانه وتعالى في آياته طريقة اتصال الرجل بالمرأة وأقر الالتزام بذلك فقال تعالى ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾[6].

"ذكر الحرث يدل على أن الإتيان في غير المأتى محرَّم، وحرث تشبيه، لأنَّهنّ مُزْدرع الذريّة، فلفظ الحرث يعني أن الإباحة لم تقع إلاّ في الفرج، ففرج المرأة كالأرض والنطفة كالبذرة، والولد كالنبات، فأتوا حرثكم ما يدل على أنّ في المأتى اختصاصاً، وأنه مقصور على موضع الولد، ولأن الحكمة في خلق الأزواج بثّ النسل ، فغير موضع النسل لا يناله ملك النكاح"[7].

قال تعالى ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَّنِيٍ يُمْنَى(37) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى(38) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾[8] [9]

"أي قطرة ماء تُمنى في الرحم، أي تُراق فيه ، ولذلك سمِّيت منيّاً لإراقة الدماء، والنطفة الماء القليل، ثُمَّ كان علقة أي دماً بعد النطفة، أي قد رتَّبه تعالى بهذا كلّه على

---

(1) ابن كثير، المصدر السابق، 577/2.
(2) سورة البلد ، الآية 3.
(3) القرطبي، المصدر السابق، 7151/8.
(4) سورة الأنعام، آية98.
(5) ابن كثير، المصدر السابق، 159/2.
(6) سورة البقرة، آية223.
(7) القرطبي، المصدر السابق، 88/3-89.
(8) سورة القيامة، آية37-38 .
(9) ينظر ملحق رقم (1) .

خِسة قدره، ثمّ قال فخلق أي فقدّر فسوّى أي فسوّاه تسوية ، فجعل منه أي من الإنْسَان وقيل من المنىّ الزوجين الذكر والأنثى أي الرجل والمرأة"[1].

قال تعالى ﴿فَلْيَنْظُر الإنْسَان مِمَّ خُلِقَ(5) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ(6) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [2].

"مما خلق وجه الاتصال بما قبله توجيه الإنْسَان بالنظر في أول أمره وسنته الأولى، حتى يعلم أن من أنشأه قادر على إعادته وجزائه، ممّا خلق استفهام أي من أيّ شيء خُلِقَ، ثُمَّ قال خُلِقَ وهو جواب الاستفهام، من ماءٍ دافق أي من المَنِي والدَّفُق صبّ الماء، من ماءٍ دافق أي مصبوب في الرحم ، فالدافق هو المتدفق بشِدّة قوَّته وأرادبه ماءين: ماء الرجل وماء المرأة، لأنّ الإنْسَان مخلوق منهما ، ولكن جعلهما ماءً واحداً لامتزاجهما والصلب من الرجل والترائب من المرأة، قال ابن عباس الترائب موضع القلادة وعنه ما بين ثدييها، وقال عكرمة ترائب المرأة اليدين والرجلين والعينين وقال سعيد بن جبير هو الجِيد"[3].

قال تعالى ﴿إِنَّ اللهَ فَالِقُ الحَبَّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَمُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ ذَالِكُمُ اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾[4].

"إن الله عدّ من عجائب صنعه ما يعجز عن أدنى شيء منه ، والفلق الشق، أي يشق النواة الميّتة فيخرج منها ورقاً أخضر وكذلك الحبّة.قال ابن العباس والضحاك معنى فالق خالق، يخرج الحي من الميِّت ومخرج الميت من الحي يُخرج البشر الحي من النطفة الميتة، والنطفة الميتة من البشر الحي"[5].

قال تعالى عز وجل ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهْ نُطْفَةً في قَرَارٍ مَكِينٍ(13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَر فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنَ الخَالِقِين (14) ﴾ [6].

---

[1] القرطبي، المصدر السابق،105/19.

[2] سورة الطارق، الآية 5-7.

[3] القرطبي، المصدر السابق، 20/8.

[4] سورة الأنعام، الآية 95.

[5] القرطبي، المصدر السابق، 41/7.

[6] سورة المؤمنون، الآية 13-14.

" في قوله ثُمَّ جعلناه عائداً على ابن آدم، وقيل المراد بالسُّلالة ابن آدم، قال ابن عباس وغيره ، والسلالة على هذا صفوة الماء، يعنى المَني، والسُّلالة فَعَالة السّل وهو استخراج الشيء من الشيء، فالنطفة سُلالة، والولد سَليل وسُلالة، عنى به الماء يُسلُّ من الظهر سَلاً، ثُمَّ أنشأناه خلقاً آخر اختلف الناس في الخلق الآخر، فقال ابن عباس والشعبي والضحاك هو نفخ الروح فيه بعد إن كان جماداً، وعن ابن عباس خروجه إلى الدنيا، وقال قتادة نبات شعره وقال الضحاك خروج الأسنان ونبات شعره، وقال مجاهد كمال شبابه"(1).

قال تعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإنْسَان مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ (2).

"أي ابن آدم من غير خلاف، من نطفة أي من ماء يقطر وهو المنى، وكلّ ماء قليل في وعاء فهو نطفة وجمعها نُطف ونِطاف، أمشاج أخلاط وهو هنا اختلاط النطفة بالدم،واختلاط ماء الرجل بماء المرأة،والدم والعلقة،وعن ابن عباس قال:يختلط ماء الرجل وهو أبيض غليظ بماء المرأة وهو أصفر رقيق فيخلق منهما الولد،فما كان من عصب وعظم وقوة فهومن ماءالرجل،وماكان من لحم ودم وشعر فهو من ماءالمرأة"(3).

قال تعالى ﴿وأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى(45) مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ (4).

"أي من أولاد آدم ولم يرد آدم وحواء بأنّهما خُلِقَا من نطفة، والنطفة الماء القليل، مشتق من نطف الماء إذا قطر(تُمنى) تُصب في الرحم وتراق، يقال مَنَى الرجل وأَمْنى من الْمَنِي، وسميت منِي بهذا الاسم لما يُمْنَى فيها من الدماء يراق"(5).

قال تعالى... ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ﴾ (6) "

أي جعل لكم من أنفسكم آية تدل على توحيده، قال ابن عباس أطواراً يعنى نطفة ثُمَّ علقة ثُمَّ مضغة،أي طوراً بعد طورإلى تمام الخلق، وقيل أطواراً صبياناً ثُمَّ شباباً،ثمَّ شيوخاً وضعفاء ، وقيلا أطواراً أيّ أنواعاً ، صحيحاً وسقيماً وبصيراً وضريراً" (7).

---

(1) القرطبي، المصدر السابق،109/12-110.

(2) سورة الإنْسَان، الآية 2 .

(3) القرطبي، المصدر السابق،107/19.

(4) سورة النجم، الآية 45_46.

(5) القرطبي، المصدر السابق ،118/17.

(6) سورة نوح، الآية 14.

(7) القرطبي، المصدر السابق،303/18- 304.

قال تعالى... ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ [1].

..."أيّ سوّى ما خلق فلم يكن في خلقه تثبيج (أي تخليط) قال الضحاك: خلــق آدم فسوّى خلقه، وقيل خلق في أصلاب الآباء، وسوّى في أرحام الأمهات" [2].

قال العزيز الحكيم ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُم مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ(20) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾[3] "

ماء مهين أيّ ضعيف حقير , قرار مكين أيّ في مكان حريز وهو الرحم، إلى قدر معلوم قال مجاهد إلى أن نصوره وقيل إلى وقت الولادة ، وقــدّرنا أي وقــت الــولادة وأحوال النطف في التنقل من حالة إلى حالة حتى صار بشراً سوياً ، أو الشقيّ والسعيد ، أو الطويل والقصير" [4].

قال تعالى...﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُم خَلْقاً مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ ذَالِكُــمُ اللهُ﴾ [5].

..." قال قتادة نطفة ثُمَّ علقه ثُمَّ مضغة ثُمَّ عظماً ثُمَّ لحماً , عن ابن زيد ، خلقاً من بعد خلق ، خلقا في بطون أمّهاتكم من بعد خلقكم في ظهر آدم ، وقيل في ظهر الأب ثُمَّ خلقاً في بطن الأم ثُمَّ خلقاً بعد الوضع (في ظلمات ثلاث) ظلمة البطن ، وظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة , وقيل ظلمة صلب الرجل ، وظلمة بطن المرأة وظلمة الرحم ، ذلكم الله أي الذي خلق هذه الأشياء" [6].

---

[1] سورة الأعلى، الآية 2.

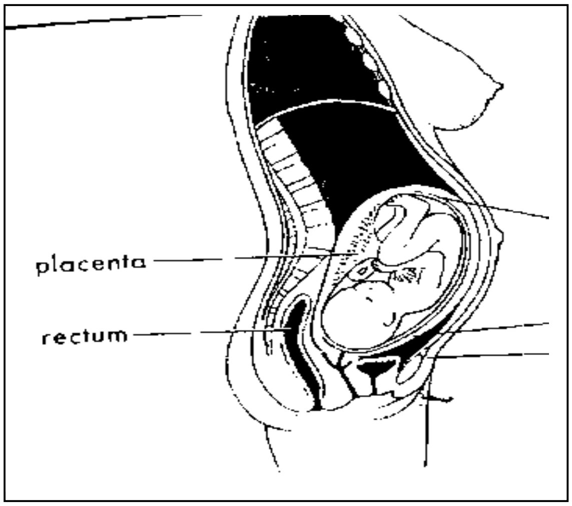
[2] القرطبي،المصدر السابق، 20/17.

[3] سورة المرسلات،آية20-21.

[4] القرطبي ، المصدر السابق ، 19 / 141 ــ 142.

[5] سورة الزمر ، الآية 7 .

[6] القرطبي ، المصدر السابق ، 15 / 235 ــ 236.

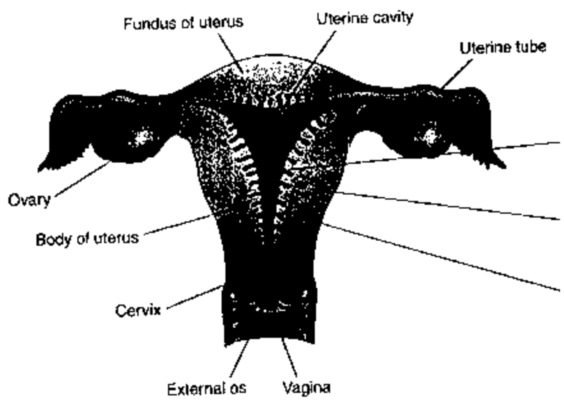


أول ظلمة: المشيمة المحيطة بالجنين

ثاني ظلمة: الرحم المحيط بالجنين

ثالث ظلمة: بطن المرأة

شكل رقم (1)[1]

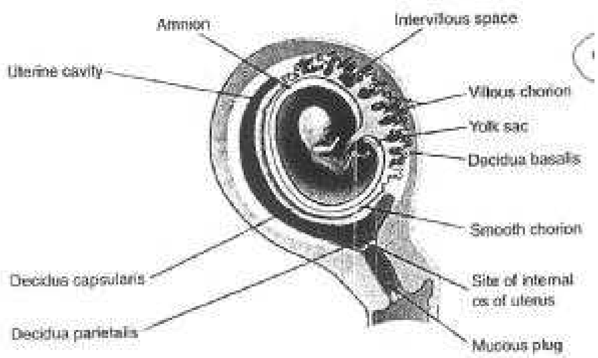


أول طبقة: **Endometrium**
وهي تشكل أول ظلمة

ثاني طبقة:
Myometrium

ثالث طبقة: **Perimetrium**
وهي تشكل ثالث ظلمة

شكل رقم (2)[2]



- أول ظلمة للمشيمة تسمى:
Amnion

- ثاني ظلمة للمشيمة تسمى:
Chorion

- ثالث ظلمة للمشيمة تسمى:
Decidua

شكل رقم (3)[3]

---

(1) الأغر، المرجع السابق، ص 312.

(2) المرجع نفسه،

(3) المرجع نفسه.

قال العليّ القدير ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُم فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمَّىً ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُم﴾[1].

" وإنما خلقهم عزّ وجلّ ليدلّهم على الرشد والصلاح ، وقيل المعنى لنبين لهم أمر البعث (ما نشاءُ) فثمّ من يسقط وثمَّ من يكمل أمره ويخرج حيّاً وقال ما نشاءُ من الحمل ومن المضغة وهى جماد فكنّى عنها بلفظ ما (ثُمَّ نخرجكم طفلاً) أي أطفالاً ، وهو اسم جنس ، ثُمَّ نخرج كلّ واحد منكم طفلاً ، والطفل يطلق من وقت انفصال الولد إلى البلوغ (ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ كمال عقولكم ونهاية قواكم"[2].

قال تعالى ﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً﴾[3].

" ينبه تعالى على تنقّل الإنْسَان في أطوار الخلق حالاً بعد حال فأصله من تراب ثُمَّ من نطفة ثُمَّ من علقة ثُمَّ من مضغة ثُمَّ يصير عظاماً ثُمَّ تُكسى العظام لحماً وينفخ فيه الروح ثُمَّ يخرج من بطن أمه ضعيفاً واهن القوى ثُمَّ يشب قليلا قليلاً حتى يكون صغيراً ثمّ حدثاً ثمّ مراهقاً ثمّ شاباً وهو القوة بعد الضعف ثمّ يشرع في النقص فيكتهل ثمّ يشيخ ثمّ يهرم وهو الضعف بعد القوة وتتغير الصفات الظاهرة والباطنة"[4].

كما قال تعالى﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُواأَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخاًوَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُواْ أَجَلاًمُسَمَّى﴾[5].

" هو الذي يُحيى ويميت فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كُن فيكون ، أي هو الذي يقلّبكم في هذه الأطوار كلّها وحده لا شريك له، ومنكم من يُتوفى من قبل أن يوجد ويخرج إلى هذا العالم بل تسقطه أمّه سقطاً ومنهم من يتوفى صغيراً أوشاباً أو كهلاً"[6].

---

(1) سورة الحج , الآية 5 .

(2) القرطبي ، المصدر السابق ، 12 / 11ـــ 12.

(3) سورة الروم ، الآية 54.

(4) ابن كثير ، المصدر السابق ، 3 / 439.

(5) سورة غافر ، الآية 67.

(6) ابن كثير ، المصدر السابق 4 / 87.

قال تعالى ﴿والله أَخْرَجَكُمْ مِن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُم لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾ [1].

"ذكر الله منَّتِه على عباده في إخراجه إيّاهم من بطون أمّهاتهم لا يعلمون شيئاً ثُمَّ بعد هذا يرزقهم السمع الذي به يدركون الأصوات والأبصار التي بها يحسّون المرئيات ، والأفئدة وهى العقول التي مركزها القلب على الصحيح وقيل الدماغ والعقل به يميّز بين الأشياء ضارّها ونافعها وهذه القوى والحواس تحصل للإنْسَان على التدريج قليلاً قليلاً كلّما كُبَرَ زَيَّدَ في سمعه وبصره وعقله حتّى يبلغ أشدّه ، وإنما جعل تعالى هذه في الإنْسَان ليتمكن بها من عبادة ربّه تعالى فيستعين بكلّ جارحة وعضو وقوّة على طاعة مولاه"[2].

قال تعالى ﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ(7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[3].

"أي قدّر خلقك من نطفة فسوّاك في بطن أمّك وجعل لك يدين ورجلين وعينين وسائر أعضائك وجعلك معتدل سويّ الخلق ، في أي صورة ما شاء ركّبك ، إن شاء ذكراً أو أنثى ، وقال مجاهد أي في أيّ شبه من أب أو أم"[4].

قال تعالى ﴿ اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾[5].

" أي ما تحمل كلّ أنثى من ذكر أو أنثى صبيح وقبيح صالح وطالح إنَّ الله سبحانه وتعالى منفرد بعلم الغيب وحده لا شريك له ، وما تغيض الأرحام وما تزداد المعنى ما تسقط قبل التسعة الأشهر ، وما تزداد فوق التسعة"[6].

قال تعالى ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ(18) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ(19) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾[7].

---

(1) سورة النحل ، الآية 78.

(2) ابن كثير ، المصدر السابق 2 / 579 .

(3) سورة الانفطار، الآية 7 – 8.

(4) القرطبي ، المصدر السابق 8 / 7038.

(5) سورة الرعد ، الآية 8.

(6) القرطبي ، المصدر السابق 7 / 43.

(7) سورة عبس ، الآية 18 ــ 19 ــ 20 .

" أي من أي شيء خلق الله هذا الكافر فيتكبر، أي أعجبوا لخلقه من نطفة أي من ماء يسير مهين ، قال الحسن كيف يتكبر من خرج من سبيل البول ، فقدّره في بطن أمّه أي فسوّاه، ثُمَّ السَّبيل يسَّره ، قال ابن عباس يسَّره للخروج من بطن أمّه" [1].

ففي هذه الآيات ذكر الله تعالى الحمل وتكوُّن الجنين في بطن أمّه والتّدرج الخلقي لذلك ، كما أشار إلى سبل الولادة وخروج الطفل من بطن أمّه، إلى جانب آيات أخرى إشارة إلى مُدّة الحمل والرضاعة كقوله تعالى ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً﴾[2].

" قال ابن عباس إذا حملت تسعة أشهر أرضعت أحد وعشرين شهراً، وإن حملت ستة أشهر أرضعت أربعة وعشرين شهراً ، روي أنّ عثمان قد أُتِيَ بامرأة قد ولدت لستة أشهر ، فأراد أن يقضى عليها بالحدّ , فقال له علي رضي الله عنه: ليس ذلك عليها ، قال الله تعالى " وَحَمْلهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْراً، وقال تعالى " وَالوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ"، فالرضاع أربعة وعشرون شهراً والحمل ستة أشهر ، فرجع عثمان عن قوله ولم يحدّها ، وقيل لم يعدّ ثلاثة أشهر في ابتداء الحمل ، لأن الولد فيها نطفة وعلقة ومضغة فلا يكون له ثقل يُحَسُّ به، والفصال هو الفطام"[3].

ولن أُهمل مسألة خلق سيدنا عيسى عليه السلام , فهي إحدى المسائل الخارقة للعادة، فهو جنين تكون في بطن أمّه كأي طفل آخر إلاَّ إنَّه مختلف عن أي طفل آخر بأنه من أم دون أب فقضية خلقه تُركت لله عزّ وجلّ حيث قال في آياته المحكمات ﴿إِذْ قَالَتْ المَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَم إِنَّ اللهَ يُبَشِّرك بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسمُهُ المَسِيح عِيسَى ابْن مَرْيَم وَجيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة وَمِنَ المُقَرَّبِينَ، ويُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَالِحِينَ, قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾[4].

"هذه بشارة لمريم عليها السلام بأن سيوجد منها ولد عظيم له شأن كبير أي يولد يكون وجوده بكلمة من الله يقول له كن فيكون وسُمِّي المسيح وقوله تعالى (عيسى ابن مريم) نسبة إلى أمّه حيث لا أب له ، فلما سمعت بشار ة الملائكة لها بذلك عن الله قالت في منجاتها ، ربّى أنّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر، تقول كيف يوجد هذا الولد منى

---

[1] القرطبي ، المصدر السابق 7010/8.

[2] سورة الأحقاف ، الآية 15.

[3] القرطبي ، المصدر السابق ، 193/16.

[4] سورة آل عمران الآيات 44-46.

وأنا لست بذات زوج ولست بغيّا ، فقال لها الملك عن الله في جواب ذلك السؤال ، كذلك يخلق الله ما يشاء ، أي هكذا أمر الله عظيم لا يعجزه شيء"[1].

ومسألة خلق سيدنا عيسى كمسألة خلق سيدنا آدم حظيت بخصوصية من الله فقال العزيز الحكيم في ذلك ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدم خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُون﴾ [2].

" إن خلق سيدنا عيسى هي قدرة لله حيث خلقه من غير أب كمثل آدم خلقه من غير أب ولا أم بل خلقه من تراب ثمّ قال له كن فيكون , فالله جلّ جلاله أراد أن يظهر قدرته لخلقه حين خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر ، كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى"[3].

وبهذا القدر نكون قد أتينا على شيء من قصة التخليق والخلق في القرآن الكريم ، وإن كنّا لا نزعم أنّنا أحطنا بها أو بجُلِّها وكما رأينا أن هذه الآيات القرآنية تقدم وصفاً دقيقاً للمراحل الرئيسية التي يمر بها الجنين أثناء تخلقه ونشأته حتى تتم الولادة كما أخبَر القرآن عن مراحل التخلق البشرى بمصطلحات دقيقة تنطبق مع قواعد المعرفة الحديثة مثبتاٍ أن تخلق الجنين وتطوره يتم على مراحل وأطوار.

وهذا هو الإعجاز العلمي الذي أتى به القرآن الكريم فقد أشار إلى أدق الأمور وأعظمها وهي خلق الإنسان ومما خُلق ومازال الإنسان في تكبره وجبروته رغم معرفته بأصله في الخقلة وهو الماء المهين الضعيف، ولولا قدرة الله عز وجل لما كان، فالله أكبر.

---

[1] ابن كثير ، المصدر السابق . 1 / 363 ــ 364 .

[2] سورة آل عمران ، الآية 59 .

[3] ابن كثير المصدر السابق ، 1 /367 .

المبحث الثاني مراحل نمو الطفل في السنة النبوية

بعد أن أنجزتُ جهدي في إيراد آي الذكر الحكيم من كلام رب العالمين فيما يخص قصة التخليق والخلق وما ورد فيها من أقوال المفسرين وآراء الباحثين أُعرِّجُ هنا على الشق المتم للذكر الحكيم من أقوال سيد المرسلين وخاتمهم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم إذ أنه أوتي القرآن ومثله معه ليفسر للناس ما نزل إليهم من ربهم فيوضح ما غم ، ويفصّل ما عمّ قال تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلْنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ولعلهم يتفكرون ﴾ [1].

فالذكر الذي أنزل إليه هو السُّنة والرسول (صلّى الله عليه وسلم) لا ينطق عن الهوى بلا كلامه حق ونطقه صدق , وبيانه فصيح , وفصاحته بيان ، اختصر الله له الكلام اختصاراً وبعثه متمماً للمكرمات ومعلماً للمخلوقات لم يترك شيئاً من أوجه الخير إلا دلّنا عليه ، ولا شيئا من أوجه الشر إلا حذرنا منه ، صلاة ربى وسلامه عليه ، قال بلسانه عن حاله، " بعثت بجوامع الكلام، بعثت معلماً"[2].

كما قال"إنما بعثت معلماً"[3]

وقال عنه ربه ﴿مَا ضَلَّ صاحبكم وما غوى(2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى"(3) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيُ يُوحَى(4) عَلَّمَهُ شَدِيد القُوَى(5) ﴾ [4].

كما قال العزيز الحكيم... ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِنْ أَنْفُسِهِم وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاَءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدَىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [5].

فقدمت لنا الأحاديث النبوية الشريفة حقائق علمية انكشفت انكشافاً تاماً بواسطة العلم التجريبي، والتي ممكن أنها لم تدرك بالوسائل البشرية في زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) خاصةً وان الكثير من الناس في تلك الفترة كان استيعابهم ديني من خلال ما

---

(1) سورة النحل ، الآية 44

(2) البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، الجامع الصحيح ، مطابع الشعب . القاهرة,1958 , 9 / 199.

(3) ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن الحافظ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1952 م , 1 / 720 .

(4) سورة النجم ، الآية 2- 5 .

(5) سورة النحل، الآية 89 .

يقدمه الرسول لهم ، ولكن بعد أن جمعت تلك الأحاديث أصبحت لها العديد من الدلالات الدينية والعلمية فأخذ العلماء هذه الأحاديث وقاموا بتفسيرها طبقاً للظواهر العلمية الثابتة فعلى سبيل المثال مسألة خلق الجنين التي حضت باهتمام الرسول(صلى الله عليه وسلم) حتى مرحلة الإنجاب والرضاعة والتنشئة ، فكان عليه السلام يحب الأطفال ويأنس بهم ، ويحنوا عليهم ، يداعبهم ويلاعبهم فكان يفسح المجال للأطفال في إبداء نشاطهم وألعابهم، فعلى هذا الهدى نهج المسلمون في تربية أولادهم ، وأصبحت أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) المرجع لهم في ذلك مما جعل بعض المفسرين يجمعون هذه الأحاديث وقام بعض العلماء بتفسيرها وفقا لما يتطابق مع الجوانب العلمية , كالمادة التي يخلق منها الجنين وفترة حمله وما إلى ذلك مما جعلني اجمع ما يقع بين يدي من الأحاديث النبوية التي ترتبط بموضوع خلق الجنين وتفسيرها وفقاً لكتب التفسير للتأكيد على أهمية هذه الأحاديث في حفظ وترسيخ الجوانب العلمية لدى المسلمين..." فعن مالك بن الحويرث (رضي الله عنه) عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال : إن الله تعالى إذا أراد خلق النسمة، فجامع الرجل المرأة ، طار ماؤه في كل عرق وعصب منها، فإذا كان يوم السابع ، جمعه الله تعالى ، ثمّ أحضر له كل عرق بينه وبين آدم "[(1)].

كما قال الرسول في هذا الشأن "إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والخبيث والطيب وبين ذلك"[(2)].

وعن تفسير هذا الحديث يحدثنا " عنبسة عن عوف الأعرابي عن قسامة بن زهير عن أبى موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأحمر والأسود والأبيض أطينة وبين ذلك والسهل والطيب ثم بلت طينة حتى صارت طيناً لازباً ثُمَّ تركت حتى صارت حمئاً مسنوناً ثمّ تركت حتى صارت صلصالاً " [(3)].

---

(1) الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني ، المعجم الوسيط ، تحقيق محمود الطحان ، مكتبة المعارف ، الرياض، 1985 م ، ح 21.

(2) الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، سنن الترمذي ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي وآخرون ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، (د ، ت) ح 64 .

(3) الطبري ، المصدر السابق ، 1 / 639 .

ولقد أشارت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إلى المبادئ الأساسية لعلم الوراثة، وأشار إلى حقائق علمية دقيقة كانت مجهولة ، وقمة الإعجاز هي أن هذه الحقائق تكشَّفَتْ على لسان رجل أمِّي (صلّى الله عليه وسلم) في وسط أمِّي فأشار الرسول الكريم صلوات الله عليه إلى الخصائص الوراثية التي تنتقل من الآباء إلى الأبناء وهي التي تقدر شكل الجنين كلونه أو قامته، وما هو عليه بإذن الله فقال..."ماء الرجل غليظ أبيض، وماء المرأة رقيق أصفر، فأيهما سبق كان الشبه"[1].

قال القرطبي"ما ذكره في صفة الماءين إنما هو في غالب الأمر واعتدال الحال، وإلا فقد تختلف أخوالهما للعوارض فأيهما سبق كان الشبه المراد سبق الإنزال ، وفي رواية ابن عبد البر أي النطفتين سبقت إلى الرحم غلبت على الشبه، وجوز القرطبي أن يكون سبق بمعنى غلب، من قولهم سابقني فلان فسبقته أي غلبته، ومن قوله تعالى ﴿ ... وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [2].

أي "مغلوبين ويكون معناه كثر" [3].

وعن ابن عباس قال" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نطفة الرجل بيضاء غليظة, ونطفة المرأة صفراء رقيقة، فأيهما غلبت فالشبه له، وإن اجتمعا جميعاً كان منها ومنه" [4].

قال ابن إسحاق "حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى حسين المكي، عن شهر أبن حوشب الأشعري ، أن نفرا من أحبار اليهود جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا: يا محمد ، أخبرنا عن أربع نسألك عنهن ، فان فعلت ذلك إتّبعناك وصدَّقنَّاك وآمنا بك، قال : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم , عليكم بذلك عهد الله وميثاقه لئِن أنا أخبرتكم بذلك لتُصَدِقُنَّنِي ، قالوا : نعم ، قال فاسألوا عما بدا لكم , قالوا فأخبرنا كيف يشبه الولد أمه ، وإنما النطفة من الرجل ؟ قال : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أناشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمون أن نطفة الرجل بيضاء غليظة ونطفة المرأة صفراء رقيقة، فأيهما علت صاحبتها كان لها الشبه! قالوا: اللهم

---

[1] النسائي, أحمد بن شعيب، سنن النسائي, اعتناء عبد الفتاح أو غُدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1994 م ، ح 67.

[2] سورة الواقعة، الآية 60.

[3] النسائي ، الحافظ أبو عبد الرحمن بن شعيب ، سنن النسائي المجتني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1964 م، 148/1.

[4] ابن هشام ، عبدالملك بن هشام بن أيوب البصري ، السيرة النبوية، تحقيق محمد همي السرجاني، لدار التوفيقية،(د، ت)، ح69.

نعم، قالوا: فأخبِرنا كيف نومك ؟ فقال أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل هل تعلمون أن نوم الذي تزعمون أني لست به تنام عينه وقلبه يقظان ! فقالوا: اللهم نعم ، قال: فكذلك نومي، تنام عيني وقلبي يقظان ، قالوا فأخبرنا عما حرم بني إسرائيل على نفسه ! قال أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمون أنه كان أحب الطعام والشراب إليه ألبان الإبل ولحومها وانه اشتكى شكوى فعافاه الله منها ، فحرم على نفسه أحب الطعام والشراب إليه شكر الله فحرم على نفسه لحوم الإبل وألبانها قالوا: اللهم نعم، قالوا: فاخبرنا عن الروح! قال: أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل, هل تعلمونه جبريل: وهو الذي يأتيني! قالوا: اللهم نعم ولكنه يا محمد لنا عدو، وهو ملك, إنما يأتي بالشدة وبسفك الدماء ولولا ذلك لاتبعناك[1].

قال: فأنزل الله عز وجل فيهم ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدَىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [2].

وعن عبد الله بن بريدة رضي الله عنه..."أن رجلاً من الأنصار ولدت له امرأته غلاماً أسود ، فأخذ بيد امرأته ، فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والذي بعثك بالحق لقد تزوجني بكراً ، وما أقعدت مقعده أحداً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقت...إذا كان حين الولد اضطربت العروق كلها ليس منها عرق إلا يسأل الله أن يجعل الشبه له "[3].

"هذا نص ظاهر ودليل قاطع على صحة القياس والاعتبار للشيء بنظيره عن طريق واحدة قويّة لأن الإعرابي أنكر لون ولده الخارج عن لونه ولون أمه...فقال له لعله جذبه عرق في أبائه قال له وهذه مثله وهذا هو اعتبار الشبه الخلقي"[4].

كما حث الرسول الكريم المسلمين على الدقة في اختيار زوجاتهم نظراً لعامل الوراثة، فالأبناء يرثون الكثير من آباءهم وأجدادهم وهذا دليل آخر على معرفة الرسول بعلم الوراثة، خاصة وان هذا العلم يحدد الكثير من الأشياء التي تختص بالإنسان منذ تخلقه في بطن أمه, فقد يرث أشياء كثيرة خلقية أو أخلاقية والخلقية سأُشير إليها في

(1) ابن هشام، المصدر السابق، 1 / 277 .
(2) سورة البقرة، الآية 97.
(3) الترمذي ، المصدر السابق , ح 22.
(4) المصدر نفسه , ص 289 .

فصل الأمراض فهناك العديد من الأمراض التي يرثها الأطفال عن طريق آباءهم، فقال الرسول في ذلك "انظر في أي نصاب تضع ولدك, فان العرق دساس" [(1)].

كما قال "تخيروا لنطفكم ، وانكحوا الأكفاء، وانكحوا إليهم"[(2)].

حدثنا عبد الله بن سعيد "حدثنا الحارث بن عمران الجعفري عن هشام بن عـــروة عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " تخيروا لـــنطفكم " أي اطلبوا لها ما هو خير المناكح وأزكاها وأبعدها عن الخبث والفجور، وانكحوا إليهم " أي اخطبوا إليهم بناتهم" [(3)].

كما أكد الرسول في أحاديثه أن الجنين يتكون بمشيئة الله تعالى فقد يكـــون هنـــاك جماع بين الرجل والمرأة دون أن يحدث حملاً مؤكداً للآيـــة الكريمـــة ﴿ لِلَّـــهِ مُلْـــكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَـــنْ يَشَـــاءُ الـــذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.[(4)]

وفي الحديث يقول الرسول ..."ما من كل الماء يكون الولد" [(5)].

ففي كتاب النكاح باب العزل ..."فكم من صبٍ لا يحصل منـــــــه الولد، ومـــن عزل فحدث له فقد خبر كان ليدل على الاختصاص وأن تكوين الولد بمشيئة الله تعالى، لا بالماء وكذا عدمه بها، لا بالعزل" [(6)].

وقال الرسول ..."لا تنكحوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاوياً " [(7)].

كما قال في هذا الموضوع ..."اغتربوا لا تضووا " [(8)].

"إن هنالك حكمة جسدية حيوية عظيمة جداً وهـــــــي أن تزوج الأقارب بعضهم ببعض يكون سبباً لضعف النَّسْل فإذا تسلسلت واستمرت بتسلسل الضعف والضّوي فيـــه إلى أن ينقطع ولذلك سببان ، أحدهما الذي أشار إليه الفقهاء أن قوة النسل تكون علـــى

---

(1) العجلونى ، إسماعيل بن محمد ، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألســنه النـــاس، مؤسســـة مناهـــل العرفان، بيروت ، (د ، ت) ح 71.

(2) ابن ماجه ، المصدر السابق ، ح 71.

(3) المصدر نفسه ، 1 / 720.

(4) سورة الشورى، الآية 50.

(5) القشيري ، أبو الحسين مسلم بن الحاج ، صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت ،1983م ، ح17.

(6) المصدر نفسه ، 2 / 1148.

(7) ابن حجر ، أحمد بن حجر العسقلانى ، تقريب التهذيب، تحقيق محمد عوامة، دار القلم ، دمشق ، 1991 م، ح 75.

(8) ابن قتبه , المصدر السابق ، ح 75.

قدر قوة داعية التناسل في الزوجين وهى الشهوة وقد قالوا :إنها تكون ضعيفة بين الأقارب لسبب الثاني يعرفه الأطباء وإنما يظهر للعامة بمثال تقريبي معروف عند الفلاحين وهو أن الأرض التي يتكرر زرع نوع واحد من الحبوب فيها يضعف هذا الزرع فيها مرة بعد أخرى إلى أن ينقطع كذلك النساء حرث كالأرض يزرع فيها الولد ... فإن الولد يرث من مزاج أبويه ومادة أجسادهما، ويرث من أخلاقهما وصفاتهما الروحية، فالتوارث والتباين سنتان من سنن الخليقة "واغتربوا لا تضووا " [(1)].

أي تزوجوا الغرائب وعلّل الغزالي ذلك بقوله إن الشهوة إنما تنبعث بقوة الإحساس بالنظر أو اللمس وإنما يقوي الإحساس بالأمر الغريب الجديد " [(2)].

كما قال الرسول الكريم "كل شيء خلق من ماء " [(3)].

وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكر بإذن الله وإذا علا منى المرأة منى الرجل أنثا بإذن الله " [(4)].

وهذا الحديث يؤكد دلائل علمية أثبتت في عصور متأخرة و الإعجاز العلمي فيها أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أشار إليها قبل آلاف السنين وأن قام العلماء فيما بعد بشرحها بأسلوب علمي واضح والفضل في ذلك للرسول الذي أعطاهم الفكرة التي بنوا عليها نظرياتهم العلمية وسأشرح هذا الحديث في المبحث القادم من ناحية طبية . ومن المدهش أن يتناول الرسول هذا الموضوع العلمي البحت وهو خلق الجنين في الوقت الذي يحتاج فيه هذا الموضوع إلى اختصاصيين متمرسين والى تقنيات متطورة والتي لم تكن متوفرة للرسول ، ولا ننسى أنه كان نبياً أمياً كما اشرنا وأنه كان مشغولاً بالدعوة وتنظيم الأمة الإسلامية وهذا هو الإعجاز الذي قدمه الله سبحانه وتعالى للعالم .

---

(1) ضاوياً أي نحيفاً.

(2) الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد ، المستصفى في علم الأصول ، دار الكتب العلمية بيروت ، 1985 ، 2 / 217.

(3) ابن حنبل ، أحمد بن محمد ، المسند ، دار الفكر ، بيروت ، 1313 هـ / ح 12.

(4) مسلم ، المصدر السابق ، 1 / 576.

المبحث الثالث مراحل نمو الطفل في الطب

إن علم الأجنة في عصرنا الحاضر قد تمكن من اكتشاف المراحل المتتابعة التي يمر بها الجنين ، وقد حددت هذه الأطوار بنفس الترتيب الذي جاء به القرآن الكريم ، فكان هذا تأكيداً على إعجاز الله سبحانه وتعالى وفى الطب هذه الأطوار مقسمة إلى النطفة ثمّ العلقة ثمّ المضغة ثمّ تتكون العظام ثمّ اللحم ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرْ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾ [1].

فيتم الإنشاء والخلق حتى يحين موعد الولادة بإذن الله فهناك من تلد قبل التسعة أشهر وهناك من تجتاز هذه المدة، فقد " قرر الطب أن أقل مدة للحمل يمكن أن يبقى بعدها الجنين حياً إذا وُلِدَ بتمامها هي ستة أشهر، فالوالدة قبلها تسمى إسقاطاً والجنين فيها غير قابل للبقاء حياً، والولادة بعدها وقبل تمام الحمل لتسعة أشهر أو مائتين وسبعين يوماً تسمى خداجاً أو ولادة مبكرة والخديج قابل للبقاء حياً لكن الطب يوصى بعناية خاصة به، وخصوصاً إن ولد وعمره سبعة أشهر"[2].

إلا أن بعض الأطباء لا يضعون أملاً في حياة الطفل الخديج لأن استعداده لمواجهة الحياة ضعيف، فكلما نقص حجمه ضعفت درجة هذا الاستعداد " فمراكز مخه التي تتحكم في التنفس وغيره من الوظائف الحيوية تكون غير مستكملة النضج فيصبح عرضة للتنفس السطحي أو الغير منتظم ويتعرض لنوبات يضطرب فيها تنفسه...كما أنه يتعرض للإحساس المفرط بالبرد... أوالاحساس المفرط بالحرارة، ومن أسباب هذه الظاهرة نقص الشحم الذي يحتفظ به تحت جلده" [3].

ولكن القرآن الكريم سبق الطب بتحديد أقل مدة للحمل وهى ستة أشهر وذلك في قوله تعالى ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَان بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْراً﴾[4].

---

[1] سورة المؤمنون ، الآيات 12 ــ 14.

[2] أحمد، يوسف الحاج،موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة مطبعة ابن حجر، دمشق، 2003 م، ص 127.

[3] الينجورث، رونالد، وسنيثيا الينجورث، الرضع والأطفال الصغار، ترجمة فردوس عبد المنعم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م، ص 99.

[4] سورة الأحقاف ، الآية 15.

وقوله تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾[1].

وقوله تعالى ﴿وَالوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾[2].

فإذا حذفنا مدة الإرضاع الكاملة وهى حولين أي أربع وعشرون شهراً من ثلاثين شهراً، التي هي مدة الحمل والإرضاع معاً فإذن يبقى ستة أشهر للحمل ، وهى مدة يمكن للجنين أن يبقى حياً إذا ولد بتمامها .وقد حدد الأطباء فيما بعد مدة الحمل فذكروا بأنها " 280 يوما أو عشرة شهور قمرية فإذا حصلت الولادة في نهاية هذه المدة سميت الولادة طبيعية ولكن الولادة قد تحصل قبل نهاية هذه المدة أو بعدها.

ويقسم الأطباء الولادة إلى خمسة أقسام :

1- الإجهاض المضغي Abortion وهو الذي يحصل قبل تكون المشيمة تكونا تاماً أي قبل ابتداء الشهر القمري الرابع.

2- الإجهاض الجنيني Partus lmmaturus or Miscarriage وهو الذي يحصل بعد تكون المشيمة ولكن قبل أن يكون الجنين قابلاً للحياة أي من أوائل الشهر الرابع إلى آخر الشهر القمري السابع.

3- الولادة المعجلة أو المتقدمة Partus prematurus or premature وهى الولادة التي تحصل قبل التمام بعد أن يكون الجنين قابلاً للحياة أي من آخر الشهر السابع إلى ما قبل العاشر.

4- الولادة الطبيعية Partus Maturus or full term birth وهى التي تحصل في نهاية الشهر القمري العاشر.

5- الولادة المؤجلة أو المتأخرة Partus serotinus or Delayed birth وهى التي تحصل بعد الشهر العاشر من زمن الحمل"[3].

---

[1] سورة لقمان ، الآية 14.

[2] سورة البقرة ، الآية 233.

[3] عبد الحميد، محمد، اللغة العربية والطب، مجلة المقتطف، العدد الخامس، نوفمبر 1917م، 37/ 759.

بينما يذكر أطباء العصر الحديث بأن الولادة الطبيعية تتم بعد أربعين أسبوعاً من مدة الحمل، وإذا تأخرت الولادة أكثر من اثنين وأربعين أسبوعاً تعطى فترة أسبوعان بعد اليوم المحدد لتاريخ الولادة فإذا لم تنجب المرأة يتدخل الطبيب بتحفيز الولادة طبيعياً خوفاً على حياة الجنين والأم.

وان التخلق الإنساني معقد للغاية وذلك لأن تركيبة الإنْسَان البيولوجية وصورته تختلف وتتغير مع مرور الوقت ، لذلك إذا أراد الإنْسَان أن يفهم تطور الجنين في رحم أمه فان أفضل طريقة لذلك هو أن يقسم تطور الجنين إلى عدة مراحل محددة بأوقات زمنية ، وهذا التقسيم كان واضحاً في آيات القرآن الكريم كقوله تعالَى ﴿خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ﴾[1].

وهذا ما يعرف بالأطوار الجنينية وهي:

1 ـ النطفة: وهي القليل من الماء الذي يعدل القطرة "والنطفة القليل من الماء والنطف القطر ونطف الحب والكوز وغيرهما يَنْطِف ويَنْطُف نطفاً ونطوفاً ونِطافاً ونَطَفَاناً" قطر"[2].

وللرجل نطفة كما للمرأة نطفة ، كما أن هناك نوعان من السوائل من حيث آلية الإفراز من العضو التناسلي للرجل والمرأة ، فسائل الرجل ينقسم إلى " أولاً سائل شفاف يسيل من العضو التناسلي للرجل ، وليس له علاقة في تكوين الجنين ، ومهمته تنظيف القناة البولية عند الرجل قبل خروج السائل الثاني، أم الثاني فهو سائل متدفق يخرج من العضو التناسلي للرجل وقدر هذا السائل حوالي ثلاثة ونصف من المللتر وهذا السائل يحتوى على الحيوانات المنوية التي هي السبب لتخلق الجنين لأنها تلقح بويضة المرأة، وهذا السائل يخرج عند اشتداد شهوة الرجل"[3].

كما للمرأة نوعان من السوائل "أولهما سائل لزج يسيل ولا يتدفق وهو ماء المهبل وليس له علاقة في تكوين الجنين ، ومهمته المساعدة في الإيلاج -أي إدخال إحليل الرجل في مهبل المرأة- وفى ترطيب المهبل وتنظيفه من الجراثيم والميكروبات، وهذا السائل يخرج عند شهوة المرأة، وثانيهما سائل متدفق يخرج من المبيض مع كل بويضة

---

(1) سورة الحج ، الآية 5 .

(2) ابن منظور ، المصدر السابق، 187/14.

(3) الأغر، المرجع السابق ، ص71 .

وقدر هذا السائل من عشرة إلى خمسة عشر ملليتر، وهذا السائل يحتوى على البويضة التي هي سبب تخلق الجنين لأنها تجتمع مع الحيوان المنوي ، وهي تخرج مــرة كــل شهر"[1].

وهذا السّائل الذي يخرج من الرجل والمرأة ويساعد على تكوين الجنــين يعــرف بالمنى "مني المنى بالياء القدر تمنيت الشيء أي قدرته وأحببت أن يصير إليّ"[2].

وهكذا فان لفظ مني لا يصح أن نصرفه إلا للسائل الــذي يخــرج مــن خــلال شهـــوة الإنْسَان، إذاً فأصل كلمة مني هي القدر، والمني سمى منياً لأن الإنْسَان يقــدر نزوله ويتمنى حصول الشهوة بنزوله "وعند الجماع يدخل الحويمن إلى الرحم ويتحرك بكل سرعة ويسرة للحصول على البويضة، والبويضة تكون راكدة فــي البــوق وعنــد شعورها بالخطر من جهة هجوم الحويمنات يظهر على سطحها من الجانــب المقابــل للحويمن انتفاخ صغير ، ثمّ يرق قشره استعداداً لهجومه، فيهجم عليها حويمن واحد من ذلك الانتفاخ ويثقبه برأسه ويبقى ذنبه خارجاً فتتكمش عليه البويضة وتتقلص حتى تقطع الذنب، فيمتزج الحويمن بالنواة داخل البويضة وهذا ما يسمى بالتلقيح"[3].

ومن خلال هذا نفهم أن الرجل يفرز ملايين من الحويمينات أي النطــاف والتــي تدخل عبر المهبل إلى عنق الرحم غير أن نطفة واحدة هي التي تلقح البويضة وقد اثبت الطب الحديث أن " النطفة تحتوى على 23 كروموسوم صبغى منها كروموسوم واحــد لتحديد الجنس وقد يكون y أو x أما البويضة فالكروموسوم الجنسي فيها هو دائما x فان التحمت نطفة y مع بويضة x فالبويضة الملقحة ستكون ذكرا xy أما إذا التحمت نطفة xمع البويضةx فالجنين يكون أنثى x فالذي يحدد الجنين إذا النطفة وليست البويضة"[4].

وعملية اختلاط نطفة الرجل بنطفة المرأة تعرف في القرآن بنطفة أمشاج قال الله تعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ [5].

---

[1] الأغر، المرجع السابق، ص 71.

[2] ابن منظور ، المصدر السابق ، 13 / 202.

[3] طاهر ، سعيد ناصر ، القرآن والعلوم ، مطابع النعمان ، كربلاء ، 1965 م ، ص 16.

[4] يوسف الحاج أحمد ، المرجع السابق ، ص 99 ــ 100.

[5] سورة الإنْسَان ، الآية 2.

جاء في مختار الصحاح "م ش ج مشجتُ بينه مشجاً، خلطـتُ والشـيء مشـيج والجمع أمشاج"[1].

وجاء في تفسير القرطبي عن كلمة أمشاج " أخلاط ويقال مَشَجْتُ هـذا بهـذا أي خلطته " [2].

وبالفعل فان الحيوان المنوي يندفع نحو البويضة ويرتطم بجدارها ويشـق لنفسـه طريقا داخل هذا الجدار ومن ثمّ يَلِجُ إلى داخل النطفة الأنثوية، وقد أشارا لرسول إلـى أن كلاً من الحيوان المنوي والبويضة يساهم في تخليق الجنين عندما قال " من كُلٍّ يُخلق من نطفة الرجل ونطفة المرأة" [3].

وبذلك تصبح النطفتان نطفة واحدة بعد عملية الاختلاط، وقد اثبت علـم الطـب الحديث "أن بويضـة المرأة تُلقـح مـن قبـل حيوان منوي واحد ، وهو الذي يتمكـن مـن اختراق غشائها، فإذا تم ذلك أفرز هذا الحيوان مـادة خاصـة تحـدث تغيـرات بيولوجية داخل البويضة من شأنها منع كل حيوان منوي آخر من اختراقهـا ، وفـي اليوم التالي للإخصاب تنقسم الخلية المخصبة لينجم عنها البلاستوييد ، وبعد أن كانـت الخلية المخصبة تحتوى على مجموع كروموسومات الحيوان المنوي والبويضة بشـكل منفصل، فإن الخلية البلاستوييدية تحتوى على 22 زوجا مـن الكروموسـومات وزوج واحد من الكروموسومات الجنسية، ومنذ هذه المرحلة فإن خلايا الجنين تحوى نفس عدد الكروموسومات التي تحويهـا الخلية الإنسانية الناضجة، هذه النطفة الأمشـاج تتحـول إلى كرة جرثومية لها خلايا تمكنها من التعلق بجدار الرحم الذي هو القـرار المكـين، حيث يغور بين عظام الحوض التي تحميه من التأثر باهتزازات الجسم، ومن كثير ممـا يصيب الظهر والبطن من لكمات وكدمات"[4].

وفي حال التوأم فإن حيوان منوي واحد هو المسؤول عن تخصيب البويضة التـي تنقسم بقدرة الله إلى إثنان فيحدث التوأم المتطابق.

---

[1] الجوهري ، إسماعيل بن حماد ، الصحاح ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت 1987 م ، 1 / 241.

[2] القرطبي ، المصدر السابق ، 19 / 120.

[3] ابن حنبل ، المصدر السابق ، ح 20 .

[4] درنيقة ، المرجع السابق ، ص 89.

وإذا ما خرجت أكثر من بويضة من الرحم إثناء دخول الحيوان المنوي فتخصب أكثر من بويضة ويحدث منها التوأمان وقد يكون ثلاث أو أكثر، وعادة ما ينتج ذلك من أسباب وراثية أو استخدام محافزات الإباضة في الحالات العلاجية كالتلقيح الصناعي.

ثمّ تأتي مرحلة العلقة كما أشار الله سبحانه وتعالى ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً...﴾[1].

والعلق ..."هو الدم الغليظ الجامد"[2].

وجاء في لسان العرب " عَلِقَ : علق بالشيء علقاً وعَلِقَة نشب فيه قيل هو الدم الجامد الغليظ ، وقيل الجامد قبل أن ييبس وقيل هو ما اشتدت حمرته، والعلقة دودة تعيش في الماء تمتص الدم"[3].

وطور العلقة هو الطور الثاني من أطوار المراحل الجنينية حيث يبدأ طور العلقة... "في اليوم 15 وينتهي في اليوم 23 أو 24 حيث يتكامل بالتدريج ليبدو الجنين على شكل الدودة العلقة التي تعيش في الماء ويتعلق في جدار الرحم بحبل السرة وتتكون الدماء داخل الأوعية الدموية على شكل جذور مغلقة تجعل الدم غير متحرك في الأوعية الدموية معطية إياه مظهر الدم المتجمد" [4].

وتخبرنا كتب الطب الحديث عن هذا "إن كتلة الخلايا التي تتولد من انقسامات النطفة تتمايز إلى كتلتين، كتلة خلايا داخلية ستؤلف الجنين وكتلة خلايا خارجية ستؤلف المشيمة، تلك الكتل تكون متصلة بعضها ببعض عند قطب الأقطاب يسمى القطب الجنيني بينما يفصل بينهما من سائر الجهات ما عدا القطب الجنين فراغ ممتلئ بسائل يدعى كيس المح الأولى ولكن تلك الكتل ما تلبث أن تتمايز، فتنفصل كتلة الخلايا الداخلية عن كتلة الخلايا الخارجية في الجزء الوسط منها عند القطب الجنيني لتؤلف قرصا مسطحاً دائريا يسمى القرص الجنيني وينشأ بين هذا القرص وكتلة الخلايا الخارجية من جراء هذا الانفصال فراغ يسمى الفراغ الامنيوني فيفصل عندئذ الفراغ الامنيونى القرص الجنيني عن كتلة الخلايا الخارجية من جهة القطب الجنيني،

---

[1] سورة المؤمنون الآية 14 .

[2] الجوهري ، المصدر السابق ، 4 / 1529 .

[3] ابن منظور ، المصدر السابق ، 9 / 356 ـ 361 .

[4] يوسف الحاج، المرجع السابق، ص 102.

بينما يفصل كيس المح الأولى القرص الجنيني عن كتلة الخلايا الخارجية مـن الجهـة المعاكسة، ويظل القرص الجنيني متصلاً بكتلة الخلايا الخارجيـة عند أطرافه ويتولد في نفس الوقت طبقة رخوة من النسيج من خلايا كيس المح سرعان ما تحيط بـالفراغ الامنيونى وبكيس المح وبالقرص الجنيني عنـد أطرافه ومن ثمّ ينشأ في هـذا النسـيج عدة فراغات تتحد فيما بينها فتؤلف فراغاً كبيراً ممتلئاً بسائل يحيط بكيس المح والقرص والفراغ الامينونى فيفصل الفراغ عندئذ القرص الجنيني من كل الجهات عـن الكتلـة الخارجية إلا في موضع واحد حيث يظل القرص متصلاً بالطبقة الخارجية التي تصـبح جزءاً مـن الرحم بواسطة الطبقـة الرخوة مـن النسيج هذه الطبقة تكون بمثابة سـاق للقرص الجنيني تسمى المعلاق وتصبح فيما بعد الحبل السري للجنين"[1].

وهكذا نرى كيف أن الجنين يتعلق بالرحم بواسطة ساق ليصبح كما تشـير إليـه الآية علقة، وقال العليم الحكيم ﴿ فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً... ﴾[2].

والمضغة في اللغة العربية هي "المادة التي لاكتها الأسنان ومضغتهـا"[3].

وهي "صغار الأمور"[4].

"والمضغ يمضغ ويمضغ مضغاً ... والمضغ من الجراح صغارها ... والمضـغ جمع مضغة وهى القطعة من اللحم قدر ما يمضغ ومضغ الأمور صغارها " [5].

رأينا في مرحلة العلقة بأن الجنين أصبح يشبه العلقة في مظهره من جراء تطاوله وظهور بعض الفلقات فيه ولكن سرعان ما يفقد هذا المظهر حيث يتحول الجنـين مـن طور العلقة إلى بداية طور المضغة " ابتداء من اليوم 24 إلى اليوم 26 . . . فيبـدأ ظهور الكتل البدنية في أعلى اللوح الجنيني ، ثمّ يتوالى ظهور هذه الكتل بالتدريج فـي مؤخرة الجنين وفى اليوم 28 يتكون الجنين من عدة فلقات تظهر بينها أخاديد مما يجعل شكل الجنين شبيها بالعلكة الممضوغة ، ويدور الجنين ويتقلب في جوف الرحم خـلال هذا الطور الذي ينتهي بنهاية الأسبوع السادس" [6].

---

(1) الأغر ، المرجع السابق ، ص 271 ـ 272 .

(2) سورة المؤمنون ، الآية 14

(3) الزبيدي ، المصدر السابق ، 12 / 160.

(4) البقاعي، برهان الدين بن الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دائرة المعارف العثمانية، اسطنبول،" د . ت " ط1، 13 / 116.

(5) ابن منظور ، المصدر السابق ، 13 / 129 .

(6) يوسف الحاج ، المرجع السابق ، ص 104.

وفى هذا الطور يزيد عدد الفلقات التي ذكرناها في مرحلة العلقة حتى يبلغ عددها في نهاية الأمر إلى " 44 فلقة ، يظهر بينها فراغات وأخاديد وتكون بذلك أبرز علامات هذه الفترة، وتظهر أولى هذه الكتل من جهة الرأس، ثمّ يتوالى ظهورها تباعاً من الرأس إلى مؤخرة الجنين حتى إنه يمكن معرفة عمر الجنين بمعرفة عدد الكتل البدنيـــة، كمـــا يظهر في الوقت نفسه، تحت قمة الرأس مباشرة، شقوق وميازيب في طبقة الاكتـــودرم الخارجية ، يقابلها نتوءات مماثلة من طبقة الاندودرم الداخلية ، هـــذه الشـــقوق تؤلـــف الأقواس البلعومية لدى الإنْسَان. وتظهر للعيان وكأنها خمس فلقات بينها أخاديد"[1].

وليست الكتل البدنية وحدها السبب في تسمية هـــذه المرحلـــة بالمضـــغة فهنـــاك تفاصيل أخرى تجعل تسمية المضغة ملائمة للجنين " فبالإضافة إلى الكتـــل الخارجيـــة الظاهرة للعين ، هناك أيضا كتل داخلية تُعرف باسم القطع البدنيـــــة يتكـــون بـــداخلها أنابيب بدائيـــة للكلـــى تظهـــر مـــع ظهـــور الكتل البدنية في جهة الـــرأس والعنـــق، وتمتـــد إلى مؤخرة الجنين في خط مواز للكتل الخارجية وكأن هذه الكتل تولدت تحـــت وطأة مضغ الأسنان للجهة الخارجية فأصبح لدينا إلى جانب آثار الطبع الخارجية آثـــار طبع داخلية مرادفة لها إلى جانب التفاصيل الأخرى التي ذكرناها سابقاً، تجعل وصـــف المضغة دقيقاً كل الدقة، بارعاً كل البراعة في وصف تلك المرحلة"[2].

ثمّ يذكـــر الله سبحانه وتعالى في كتابـــه الحكـــيم ﴿مِنْ مُضْـــغَةٍ مُخَلَّقَـــةٍ وَغَيْـــرِ مُخَلَّقَةٍ﴾[3].

وذلك تطور من تطورات المضغة، فمرحلة المضغة هي مرحلـــة تخلق، قال ابن عاشور "وإذ قد جعلت المضغة من مبادئ الخلق"[4].

والخلق في اللغة العربية "خلق الله الشيء يخلقه خلقاً أحدثه بعد أن لم يكن"[5].

---

(1) البار ، محمد علي ، خلق الإنْسَان بين الطب والقرآن ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جده ، 1995، ص 363.

(2) البار ، التارات السبع من الطين إلى الجنين ، الندوة العلمية للشباب الإسلامي، السعودية، الرياض، 1420 هـ، ص 33.

(3) سورة الحج ، آية 5.

(4) ابن عاشور ، محمد طاهر ، التحرير والتنوير ، دار سحنون ، تونس ، 1997 م ، 8 / 198.

(5) ابن منظور ، المصدر السابق ، 4 / 143.

كما قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم "إذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله ملكاً فقال : يا رب : مخلقة أم غير مخلقة ؟ فان قال: غير مخلقة مجتها الأرحام دمـــاً، وإن قال: مخلقة قال: يا رب : فما صفة هذه النطفة"[1].

وهذا يعني أن المضغة المخلقة وغير المخلقة تعنى مضغة تخلقت جزئياً ، ولكن لم يكتمل تخلقها أو صورتها بعد، فالمضغة تظهر للعيان على شكل فلقـــات ولا تتمـــايز الفلقات في البداية، ولكنها سرعان ما تتمايز إلى خلايا تتطور إلـــى أعضـــاء مختلفـــة، بعضها يتكون في مرحلة المضغة والبعض الآخر يتكون فـــي مراحـــل لاحقـــة، أمـــا الأعضاء التي تتكون في هذه المرحلة فهي تظهر على شكل براعم وهى غير مكتملـــة بعد، فعلى سبيل المثال "يوجد القلب والدماغ البدائي والكبد ، ولكن لا يكتمل نموها أثناء هذه الفترة ، كما تظهر بداية الأيدي والأرجل في الأسبوع الثالث أو الرابـــع، وتتطـــور إلى أن تظهر وكأنها مبتورة، ومن ثمّ تظهر الأصابع على شكل إشعاعات في الكف في نهاية مرحلة المضغة، إلى ذلك فان الهيكل البدائي للعينيين والأذنين يتكون قبـــل نهايـــة الأسبوع السادس، ولكن كلاً من العينين والأذنين لا يتشكل إلا لاحقاً"[2].

وقد فهم علماؤنا هذه الحقائق العلمية من خلال تفسير القرآن الكريم " فهو عبارة عن قطعة لحم لا شكل فيها ولا تخطيط، ثمّ يشرع في التشكيل والتخطيط، فيصور منها رأس ويدان وصدر وبطن وفخذان ورجلان وسائر الأعضاء"[3].

"والمشهور المتبادر أن المخلقة المستبينة الخلق ، مضغة مستبينة الخلق مصورة، ومضغة لم يستبين خلقها وصورتها بعد، والمراد تفصيل حال المضـــغة وكونهـــا أولاً قطعة لم يظهر فيها شيء من الأعضاء ثمّ ظهرت بعد ذلك شيئاً فشيئاً"[4].

وهكذا نفهم كيف أن الصفتين مخلقة وغير المخلقة لازمتان للمضغة وكيف أنهـــا تصف حالة أعضاء الجنين ومن الجدير بالذكر أن تسمية هذه المرحلة بالمضغة المخلقة وغير المخلقة هي إعجاز علمي فإلى جانب أنها تشير إلى أن المضغة تخلقـــت جزئيـــاً بصورة غير تامة فإنها توحي إلينا أن المضغة تتطور تدريجياً، فالأعضاء تتخلق ولكن

---

[1] الطبري ، المصدر السابق، ح 32.

[2] الأغر ، المرجع السابق ، ص 298 .

[3] ابن كثير ، المصدر السابق ، 3 / 206.

[4] الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1985م، 116/17.

تحتاج إلى وقت أكثر ليكتمل تخلقها، فهي على مرحلة من التدريج في النمو، كما قال سبحانه وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾[1].

فتأتى هنا مرحلة الاستقرار في الرحم إلى أن تحين الولادة لتنتهي المرحلة الجنينية وتبدأ مرحلة الطفولة "والقرار في المكان الاستقرار فيه تقول: قررت بالمكان بالكسر أقر قراراً، وقررت أيضا بالفتح، أقر قراراً ...وأقره في مكانه فاستقر"[2].

"قرر... وصار الأَمر إلى قراره ومستقره : تناهى وثبت وأقرت الناقةُ : ثبت حملها"[3].

والله عز وجل يُقر الحمل إلى أجل مسمى، والأجل المسمى هو القدر المعلوم الذي جاء في الآية الكريمة ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ(20) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ(21) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ(22)﴾ [4].

والقدر المعلوم هو الوقت الذي قدره الله تعالى لنهاية الحمل، وبالتالي فهو يشمل ما تبقى من المراحل الجنينية، وفى خلال الأسبوع السادس يبدأ الهيكل العظمي الغضروفي في الانتشار في الجسم: " ولكن لا تُرى في الجنين ملامح الصورة الآدمية حتى بداية الأسبوع السابع حيث يأخذ شكل الجنين شكل الهيكل العظمى ، ويتم الانتقال من شكل المضغة إلى بداية شكل الهيكل العظمي، في فترة زمنية وجيزة خلال نهاية الأسبوع السادس وبداية الأسبوع السابع، ويتميز هذا الطور بظهور الهيكل العظمى الذي يعطى الجنين مظهره الآدمي"[5].

وقد أطلق القرآن الكريم مصطلح العظام على هذا الطور الذي يعبر عن هذه المرحلة من حياة الجنين تعبيراً دقيقاً يشمل المظهر الخارجي، وهو أهم تغيير في البناء الداخلي وما يصاحبه من علاقات جديدة بين أجزاء الجسم واستواء في مظهر الجنين

---

(1) سورة الحج ، الآية 5.

(2) الجوهري ، المصدر السابق ، ص 528 .

(3) ابن منظور ، المصدر السابق ، 11/100-102.

(4) سورة المرسلات ، الآيتان 20 ــ 22 .

(5) يوسف الحاج أحمد ، المرجع السابق ، ص106 .

ويتميز بوضوح هذا الطور عن طور المضغـــة الذي قبله فقال تعـــالى ﴿ ... فَخَلَقْنَـــا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾[1].

ثمّ تأتي مرحلة كساء العظم باللحم في قوله تعالى﴿...فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً... ﴾[2].

وعلى هذا فإن المعطيات العلمية التي تشير إلى تلك الحقائق التـــي ذكرهـــا الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ، فقد أشار العلماء إلى أن " فور تفكك القسمين البطني والأوسط للكتل البدنية ينشأ مـــــن القسم المتبقي للكتل البدنية، أي من القسم الظهـــري الجانبي للخلايا، طبقة جديدة من الخلايا تتميز بنوى سوداء وبلون شاحب، تلك الخلايـــا تؤلف ما يسمى بالقسم الهيكلي العضلي، فمن هذه الخلايا ستنشأ غالبية عضلات الجسم، مثل عضلات العمود الفقري وعضلات البطن وعضلات الرجلين واليدين والرأس مـــا عدا عضلات قزحية العين[3].

وهكذا يتوافق القرآن الكريم والمعطيات العلمية في إن اللحم ينشأ من القسم الأعلى للكتل البدنية، بينما ينشأ العظم من القسمين البطني والأوسط، فيتحقق الإعجاز العلمـــي الذي تشير إليه الآية الكريمة وبعد أن تتم مراحل تخلـــــق الجنين في بطن أمه تـــأتي مرحلة الولادة، وقد أشارت بعض الكتب أن هناك جلدة تخرج مع الجنين هي "الحِوَلاء، أو الحُوَلاءِ، وهـــي جلدة تخرج مع الولد فيها ماء وخطوط حُمر وخُضـــــــر تُعـــرفُ حديثاً بالغشاء الباطني للجنين"[4].

كما عرفوا المرأة التي تلد بِكراً فهي"الخروس وهى البِكر في أول بطن تحمله"[5].

و "الصيأَة أو الصيأة وهو السائل النفاسي الذي يخرج عَقِب الولادة"[6].

كما أشارت الكتب العربية إلى الحمل الكاذب وهو يعرف بـــ " الرجاء حيث يكون هذا الحمل من احتباس ريح أو احتقان ما فينتفخ بطن المرأة فتظهر فيها علامات الحمل ثمّ يضربها المخاض فتلد ماءً أو ريحاً وربما ولدت قطعة لحم لا صورة لها"[7].

---

(1) سورة المؤمنون ، الآية 14.

(2) سورة المؤمنون، الآية 14.

(3) الأغر، المرجع السابق، ص 336.

(4) عبد الحميد ، محمد ، اللغة العربية والطب ، محلة المقتطف , 38 / 32.

(5) المرجع نفسه، 1058/37 .

(6) المرجع نفسه ،1058/37 .

(7) المرجع نفسه : 7 ، 979 .

ولم يهمل القرآن الكريم ولا العلم الطفل ما بعد الولادة فقد اهتم به، وذلك من خلال الإشارة إلى الرضاعة والتربية والصحة، فالرضاعة التي أشار إليها القرآن في آياته أثبت العلماء أنها تحمى الطفل من أمراض عِدة كما تقويه فقال تعالى ... ﴿وَالوَلِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ... ﴾[1].

وقال تعالى ﴿ ... فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَأْتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ [2].

ويضع الإسلام الأولوية في الإرضاع للأم ، فإذا حدث ما يعيق إرضاعها اختارت امرأة مناسبة لإرضاع ولدها ، والرضاعة تتم بواسطة الثدي " وهو عبارة عن أوعية شبكية كبيرة العدد دقيقة الحجم وأوعية الثدي تتميز عن غيرها من الأوعية الدموية بكثرة مرور الدم فيها ويوجد في الثدي غدد لبنية تشتمل هذه الغدد على شكل عناقيد حول خمسة عشرة إلى عشرين قناة لبنية رئيسية يسيل فيها اللبن إلى أن يصل إلى قمة حلمة الثدي وهذه الغدد مكونة من خلايا مفرزة للبن"[3].

ولم تحدد فترة الرضاعة للطفل إلا في القرآن الكريم كما ذكرت الآية عامين كاملين لذلك قام الأطباء بدراسة ذلك فوجدوا أن "الجهاز الهضمي للرضيع يكتمل نموه تدريجيا حتى نهاية العامين، ويمكن للولد بعد ذلك أن يعتمد في غذائه على المصادر غير الإنسانية بدون أي خطر على صحته، أما إذا تناول الطفل لبناً صناعياً أو لبناً بقرياً قبل انتهاء هذه المدة فهو معرض أن يصاب بمرض السكري أو أمراض الحساسية"[4].

وهكذا تتضح جلياً حكمة تحديد الرضاعة بحولين كاملين في إشارة علمية دقيقة عن القرآن الكريم، وجاءت الأبحاث العلمية الحديثة لتؤكد ولتبرهن على صدق وإعجاز ما أخبر به القرآن الكريم ومن هذا الإعجاز الذي أشار إليه القرآن " إن اللبن الإنساني لا يماثله إلا لبن إنساني آخر وان اللبن يدخل في تركيب أنسجة الطفل , ضرورة الاعتماد على لبن الأم لمدة سنتين حتى يستعد الجهاز الهضمي على ممارسة نشاطه

---

(1) سورة البقرة الآية ، 231 .

(2) سورة الطلاق الآية 5 .

(3) التنير ، علي، الرضاعة الطبيعية ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 1982 م ، ص 83.

(4) الأغر ، المرجع السابق ، ص 461 .

على أكمل وجه، والقيمة الغذائية للبن لا تعادلها أي قيمة لأي غذاء آخر، كما إن احتمال حمل المُرْضِع ضئيل جداً " [1].

وإذا حدث وحملت الأمُّ المُرضِع فعليها أن تفطم طفلها وذلك لتردي لبنها كما أشار الحديث النبوي "لا تَقْتُلُواْ أَوْلادكم سراً، فإن الغَيْلَ يُدرك الفارس فُيَد عثِره عن فرسه" [2].

وقد جاء في لسان العرب أن "غول: غاله الشيء غولاً واغتاله : أهلكه وأخذه من حيث لا يدرى. والغول: المنية واغتاله قتله غيله " [3].

ونفهم من التفسير أن أصل كلمة الغيل يشير إلى قتل الشخص من حيث لا يدري، والغيلة عند العرب هي أن تُرضع المرأة وهى حامل.

ومن خلال ما تقدم نجد أن القرآن الكريم قد أتى بالكثير عن طب الأطفال حيــث أخذ العلماء آيات القرآن الكريم كمرجع لهم في أبحاثهم وفي ما قدموه لنا، فكان القــرآن الكريم إعجازاً علمياً استفاد منه العلماء في هذا العلم ولا ننسى فضلهم فيما توصلوا إليه , من معلومات عن طب الأطفال أفادتنا حتى وقتنا الحالي.

---

(1) الأغر ، المرجع السابق ، ص 492 ــ 493.

(2) أبو داود ، المصدر السابق ، ح 53.

(3) ابن منظور ، المصدر السابق ، 146/10.

الفصل الثالث

أهم الأطباء العرب المسلمين

الذين كتبوا في طب الأطفال

المبحث الأول : عريب بن سعيد الكاتب القرطبي

المبحث الثاني : ابن الجزار القيرواني

المبحث الثالث : ابن البلدي

المبحث الرابع : ابوبكر الرازي

المبحث الخامس : ابن سينا

نبغ عدد كبير من العرب المسلمين في مختلف فروع العلم، وصنفت المؤلفات العلمية التي أثرت تأثيراً كبير في أمور الحياة البشرية وفتحت آفاقا جديدة لم يعرفها الإنسان في حضاراته السابقة. وهذه المؤلفات التي حملت آراء ونظريات العلماء المسلمين ساهمت في رفع شأن العرب المسلمين، وكونت صرح الحضارة العربية الإسلامية التي استمرت لقرون عديدة في العطاء الإنساني، فبرز عشرات العلماء في كل فرع من فروع العلوم النظرية والتطبيقية، وظهر في الطب العربي علماء أفذاذ تألقوا في جميع فروعه من بينها طب الأطفال، فأبدعَ الأطباء والعلماء العرب المسلمون في الأمور المتعلقة بالطفل، نشأته ، تطوره، معالجة أمراضه وتربيته، وسجلوا فيما خلفوه لنا من مخطوطات ، وقد كان اهتمامهم بطب الأطفال واضحاً من خلال ما ورد في صفحات مؤلفاتهم، فهناك من أدرج فصولاً كاملة لذلك أمثال الرازي حيث يتفق " اغلب مؤرخوا الطلب على أن الرازي كان أول من فصل بين طب الاطفال والأمراض النسائية وجعله يأخذ شكلاً مستقلاً بذاته عندما الف رسالته في طب الأطفال في حدود / 300 هـ 900 م [1]

ثم كتب ابن الجزار القيرواني كتاب سياسة الصبيان وتدبيرهم وجاء بعده أحمد بن محمد البلدي وألف كتابه تدبير الحبالى والأطفال والصبيان والذي نعتبره القمة فيما وصل إليه طب الأطفال عند العرب المسلمين وذلك لكونه أشمل من كل ما كتب قبله وبعده في هذا الموضوع، فهو يحتوي إضافة لمسألة العناية بالطفل من الناحية الجسمية والنفسية والتربوية أمراضاً لم يذكرها غيره من الأطباء". [2]

والزهراوي في كتابه التصريف لمن عجز عن التأليف، حيث ذكر طرق لعلاج الأطفال بالجراحة ووضع فيه الآلات الجراحية الخاصة بالأطفال. وأحمد بن محمد الطبري حيث أفرد جزء خاص بعلل الأطفال في كتابه المعالجات البقراطية.

ابن سينا في كتابه القانون في الطب والذي خصص في الجزء الأول منه قسماً لتربية الأطفال وأمراضهم سماه التعليم الأول في التربية وهو أربعة فصول، وفي الجزء الثالث من الكتاب نفسه وضع فصلاً عن الحصبة وفصلاً عن الجدري وآخر في الحميات وفصلاً عن التشنج عند الأطفال، ومن الذين تناولوا طب الأطفال " ابن جزلة

---

(1) محمود الحاج قاسم ، الطب عند العرب ص 235 .

(2) المرجع نفسه، ص 236.

البغدادي المتوفى سنة 493 هـ/ 1099 م، ومن مؤلفاته كتاب تقويم الأبدان في تـدبير الإنسان يفرق فيه بين أمراض الأطفال والشباب والشيخوخة ويتكلم عـن كثيـر مـن أمراض الأطفال وكيفية علاجها".[1]

فوضع تقويماً للأمراض " قريب الشبه بالتقاويم الفلكية من ناحية الشكل، عدد فيه الأمراض وأوجز أدواءها وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية سنة 1532م" [2]

ومثلهم كثير ولكني خصصت هذا الفصل للحديث عـن أهـم الأطبـاء العـرب المسلمين الذين كتبوا في مجال طب الأطفال ووضعوا مؤلفاتهم في هذا الموضوع .

---

[1] مؤسسة الطفل، دليل الأردن الدردشة التجاري، Could not write to counterfile.dat ، ص 2.

[2] شلبي ، أحمد ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1978م ، ص 127.

المبحث الأول عُريب بن سعيد الكاتب القرطبي (ت. 369هـ / 980م)

هو أحد أطباء الأندلس المشهورين "ومن أسرة تعرف ببني التركي، وهو ذو علم في النحو واللغة ، بالإضافة إلى كونه من الأطباء اللامعين والممارسين الماهرين في الصنعة،وكان يعتمد على آراء الأقدمين ، ويتابع أفكار المعاصرين" [1] وهو من قرطبة ومن أصل مسيحي" [2].

"وهو شاعر ومؤرخ عاش في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، ألف كتاباً أسماه خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين، وهو على حسب ما يبدو أول مؤلف في علم الولادة، كما أنه أنفس مؤلف في طب الأطفال وأروع إنتاج كامل في هذا الحقل بالنسبة لتلك الحقبة التاريخية " [3]. عاش في فترة حكم الخليفة الأموي الحكم الثاني"المعروف بالمستنصر بالله الذي حكم قرطبة سنة(350هـ/366هـ/961–976م) وقد شهدت قرطبة في فترة حكمه مستوىً رفيعاً من الرخاء والثراء لم تبلغه حاضرة أخرى من قبل وظلت تُنعم بهذا التفوق على سائر مدن إسبانيا(الأندلس)زمنا طويلا،وفي هذا المناخ العلمي والحضاري الزاهرعاشر عُريب بن سعيد وغيره من علماء عصره،وقد كان له من الكتب كتاباً مختصراً لكتاب الطبري المشهورفي التاريخ،وقد زاد عليه أخبار المغرب والأندلس" [4].

وكتاب خلق الجنين وتدبير الحُبالى والمولودين الذي وضعه بإشارة من الحكم المستنصِر كما ذكر في بداية مخطوطه حيث يقول " إن حق ما تطرقت إليه واستعملت الأفكار فيه بعد حقوق الله عز وجل واستيفاء حدود الشكك طلب إليه الإمام الأمير الحكم المستنصِر بالله أمير المؤمنين أطال الله في عمره، ولما رأيت أن أكتب في هذا العلم واجمع منثور الحِكَم وغزير آثار الأوائِل الذين سبقونا إلى الفضيلة وبرزوا بالرفعة ونهجوا سبيل الحكمة ومنحوا من بعدهم صنوف المنفعة تكلفنا [بكتاب] يشتمل على أقاويل العلماء في اقتداء خلق الله تعالى للإنسان الذي جعله أشرف المخلوقات"[5].

---

[1] المراكشي، الذيل والتكملة، 141.

[2] القاسمي، جاسم بن محمد، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،1999م،ص 102.

[3] دليل الأردن للدردشة، Counters/arabys.dat ، ص 1.

[4] القاسمي، المرجع السابق، ص 102.

[5]القرطبي،عريب بن سعيد الكاتب، مخطوط خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين،الجزائر،مكتبة فراريس، 1956م، الورقة1-2.

ومن ثم اكتمل الحديث عن هذا الكتاب وتقسيماته كما سأشير إليه فيما بعد، وهـذا الكتاب من أشهر مؤلفاته، وعند الاطلاع عليه تجد مدى عمق تفكير المؤلف ومهارتـه في صناعة الطب التي كانت صعبة المسالك والدروب في تلك الفترة، ولدى تصفح هذا الكتاب تجده قد يُنسِقُ تنسيقاً جميلاً وبُوِّبَ تبويباً كاملاً "من الناحية الأكاديمية ليسهل على طالب الطب الإحاطة به ودراسته بالنسبة لتلك الحقبة من التاريخ الحضاري وعلى مـر العصور والأجيال"[1].

ولم يكتف عُريب بالجانب الطبي فقط في كتابه هذا بل تطرق إلى وسائل التربيـة كما أشار إليها الإسلام ليكون بذلك الكتاب شاملاً كاملاً لكل ما يخص الأطفال والاهتمام بهم فيقول عُريب في ذلك " في الفصل الرابع من أسنان الطفل يضمون إلـى التأديـب ويحملون على تعلم شرائع الدين ويؤمرون بالصلاة، ويوعدون من الخير ما يبقى راسخاً في القلوب، ويُأمر عند ذلك يُرفع الصبي إلى معلم حاذق رقيق يداريه بالتخويف مـرة وباللين مرة أخرى لأن الصبي يربو جسمه وتحسن تربيته وخصبه مع السرور ويتحمل بدنه بالذبول مع الخوف وتعب النفس وربما تبلد عند ذكر التخويف والحذر، فـإذا بلـغ الغلام اثنى عشر سنة عُلِّمَ الحساب والمساحة وسائر ذلك من علوم الفلسفة والطب فـإن ذهنه يقوى على ذلك في هذا السن"[2] .

لذلك يعتبر هذا الكتاب " أحسن وأهم مرجع في كل من طب الـولادة وأمـراض النساء، وطب الأطفال للباحثين وطلاب العلوم الطبية، لاحتوائه على معلومات أصـيلة تدل على سعة إطلاع الطبيب عُريب في هذا المجال [3].

وقد قسم عُريب كتابه هذا إلى خمسة عشر باباً مقسمة على النحو التالي " البـاب الأول: في المني والتلقيح فكيف يولد ومن أين يتدفق والأسباب التي منه يكثُـر، البـاب الثاني: في الباه وأعضائه والأدوية المستعملة له ، الباب الثالث: في الأرحام ومواضعها والعلل الموجبة لامتناع الحمل وتعديل الحيض، الباب الرابع: في أسباب النُّطـف مـن جماع واحد وذكر التآتي لولادة الذكور بإذن الله عز وجل وما استُعمِلَ لذلك من صنوف العلاجات، الباب الخامس: في تكوين الجنين والتفريق بين جنسي الذكر والأنثى وتخلق

---

(1) الحاج قاسم، تاريخ طب الأطفال عند العرب، ص 176.

(2) عريب القرطبي، المصدر السابق، ص 59.

(3) الأسرار، كاتم، نجوم الطب في الإسلام، منتديات الزاحف الدولي، www.google.com, 4/3/2008/ ص 1.

أعضائه وقول العرب في ذلك، الباب السادس: في مدة الحمل وعدد الشهور وإذا وُلـد المولود لسبعة أشهر أو ثمانية وما فوق، وكلام الأوائل من الأطباء في ذلك، الباب السابع: في تدبير الحُبالى وحفظ صحتهم ومداواة ما يعرض لهن من أول الحمل إلى وقت الوضع والقول في الإسقاط وأسبابه وتلافي أعراضه والاحتراس مما يُحْدِثُه، الباب الثامن: في دلائل الوضع ويشمل الولادة وأحكام قبول الجنين واستخراج المشيمة، الباب التاسع: في تكوين اللبن وإرضاع المولود وكيف تختار المُرضِعة، الباب العاشر: في أسنان المولودين، الباب الحادي عشر: في تدبير الطفل وعلاج الأمراض العارضة له، الباب الثاني عشر: في تدبير الأطفال وذلك من بعد الأربعين يوم إلى وقت نبات الأضراس وما يعملون عليه من التدابير والعلاج عند أمراضهم المخصوصة بهم في مثل هذه السن، الباب الثالث عشر: في تدبير الصبي من بعد نبات أضراسه إلى وقت مشيه وابتداء كلامه وفِطامه وذكر ما يخصه من الأمراض، الباب الرابع عشر: في تدبير الصبيان من بعد أثغارهم إلى وقت إشعارهم وقرب احتلامهم وما يحدث لهم في هذه السن من علل وطرق علاجها، الباب الخامس عشر: في احتلام الغُلمان وحيض الجواري ومواقيت البلوغ والاختلاف الحادث عند ذلك".[1]

فذكر عريب فأن " الأطفال في الأربعين يوما الأولى من أيام ولادتهم تلحقهم الآم كثيرة ويلقون أمورا صعبة " [2]

" في الأغلب تنبت الأضراس للأطفال في الشهر السابع من ولادتهم وربما عجل نباتها عند بعضهم في الشهر الخامس من ولادتهم وربما تأخرت إلى عشرة أشهر "[3]

وهذا يتفق فيه عما جاء عند أطباء العصر الحديث إلى جانب ما يصاحب نباتها من حمى وإسهال .

وقد تُرجِمَ هذا الكتاب " إلى العبرية وطُبِعَ بصيغته العربية في الجزائر سنة 1956م على مخطوطة الأسكوريال".[4]

---

[1] عريب القرطبي، المصدر السابق، ورقة 1-4.

[2] المصدر نفسه ، ورقة 57 .

[3] المصدر نفسه ، ورقة 66 .

[4] كمال السامرائي، مختصر تاريخ الطب، ص 156.

حيث قام كل من ..."نور الدين عبد القادر وهنري جابيه بترجمة كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين من الخطوط المحفوظ بمكتبة الأسكوريال بإسبانيا من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية، ونشرت جامعة الجزائر الترجمة الفرنسية مع المخطوط بصيغته القديمة باللغة العربية [1].

وقد انتهى من تأليفه لهذا الكتاب قبل وفاته بنحو خمس سنوات " [2].

وقد " توفي سعيد في سنة 369هـ/979م " [3].

مخلفاً أعظم مخطوط في علم التوليد والأطفال، وهو كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين الذي ظل نبراساً يضيء تاريخ الطب العربي حتى وقتنا الحاضر.

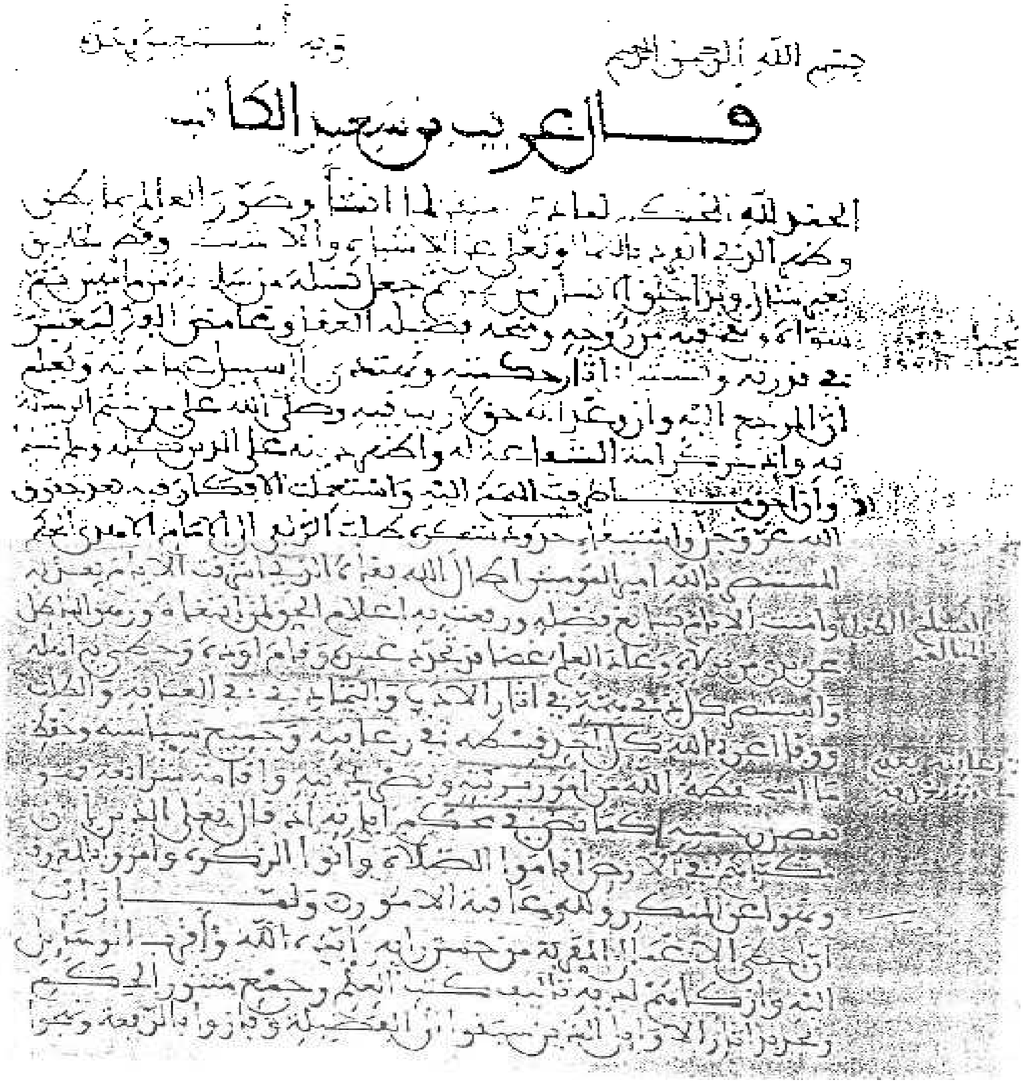
---

(1) كاتم الأسرار، المرجع السابق، ص1.

(2) الطب الأندلسي نظرياته وتطبيقاته، 4/3/2003 www.arabts.com ، ص 5.

(3) أبو الرب، صلاح الدين، الطب والصيدلة عبر العصور، الأهلية للنشر والتوزيع، 1991م، ص 145.

وقد وضعت صورة لواجهة المخطوطة من اجل التأكيد على اسم المؤلـــف هـــو عريب بن سعيد كما كتب هو بنفسه في مخطوطه وليس عريب بن سعد .


بسم الله الرحمن الرحيم

قال عريب بن سعيد الكاتب

صورة لمخطوط عُريب بن سعيد القرطبي

المبحث الثاني ابن الجزار القيرواني (ت 369 هـ / 979 م)

هو أبو جعفر أحمد إبراهيم بن أبي خالد أحمد ، المعروف بابن الجزار القيرواني، لقد اختلف الرواة في تاريخ ولادته ووفاته فإنه من الأرجح ولد في حدود "285هـ/898م في القيروان في أواخر العهد(العصر)الأغلبي في عائلة مشهورة بالعلم وخاصةبالطب،فقد كان والده إبراهيم بن أحمد كحالا،وكان عمه أبو بكرعالماً بالطب"[(1)].

وقد كان ابن الجزار صاحب أخلاق رفيعة وعزة نفس لا يجامل الملوك " وكان قد أخذ بنفسه مأخذاً عجيباً في سمته وهَديه وقعوده ولم تحفظ عليه بالقيروان زلة قط، ولا أخلد إلى لذة وكان يشهد الجنائز والعرائس ولا يأكل فيها ...وكان ذا ثروة كبيرة، فقد ترك بعد وفاته أربعة وعشرون ألف دينار"[(2)].

إلا أنه لم يكن متكبراً أو مغروراً، فقد عرف بالتواضع والرأفة خاصة على الفقراء، فقد كان له عليهم " معروف كثير وأدوية يوزعها عليهم"[(3)].

بل إنه قد خصهم بكتاب وضع فيه الأدوية التي يسهل على الفقراء اقتناؤها والانتفاع بها وهو كتاب طب الفقراء والمساكين، وقد اشتغل ابن الجزار بالتدريس، فكان يدرس الطب ومن أبرز تلاميذه " عمر بن حفص بن بريق الذي عاش في أواسط القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، فقد أتى هذا الطبيب إلى القيروان ولازم ابن الجزار ستة أشهر في حدود سنة (350هـ/961م) ، وهذا الطبيب هو الذي أدخل للأندلس كتاب ابن الجزار (زاد المسافر وقوت الحاضر)"[(4)].

وكان ابن الجزار ذا ثقافة موسوعية وذا معرفة بشتى أنواع العلوم لأنه لم يؤلف في الطب فقط، بل وضع مؤلفات في التاريخ والجغرافية والفلسفة والأدب واللغة والسير ولكن معرفته بالطب والصيدلة غلبت على ما عداها، فاشتهر بها، وذاع صيته فيها، فكان طبيباً وصيدلانياً ممارساً ، فقد كان له في " منزله عيادة يستقبل فيها المرضى ويعالجهم، وكان حَسن الطب والعلاج ومقصوداً من أجل ذلك، فكانت عيادته تغص بالناس"[(5)].

---

(1) محمود الحاج قاسم محمد ، المؤجز لما أضافه العرب ، ص 51.

(2) ابن جلجل ، المصدر السابق ، ص 89-90.

(3) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي البغدادي، معجم الأدباء، دار المأمون، القاهرة، 1939م، 137/2.

(4) ابن جلجل، المصدر السابق، ص 90.

(5) المصدر نفسه، ص 89.

" وكان يمارس الشق والبط، أي الجراحة، وكان يهتم بأسباب الأمراض وعلاماتها وأعراضها، وطرق علاجها، وكان في نفس العيادة بمنزله قد أقام صيدلية وضع فيها مُعاوِناً له اسمه(رشيق) وكان يعد له بنفسه الأدوية والجوارشنات والفتائل والأرياج، وكان يستحضر الأدوية المفردة والأغذية الدوائية، وقد جمع إلى ذلك كله علماً بالنبات، لأن النبات من أهم عناصر التراكيب الصيدلية"[1].

فكان على معرفة بجميع اختصاصات الطب، إلا أنه يتميز بطب الأطفال، وهذه المعرفة لم تأتِ من فراغ، فقد كان مطلع على الكتب ويحب اقتنائها لذلك ترك بعد موته مكتبة ..."زنتُها خمسة وعشرون قنطاراً من كتب طبية وغيرها"[2].

كما ترك ابن الجزار كتب عدة من تأليفه من بينها على سبيل المثال لا الحصر كتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها، كتاب الاعتماد في الأدوية المفردة، طب الفقراء والمساكين، الفروق بين الاشتباهات في العلل، طب المشائخ وحفظ صحتهم، رسالة في البول، كتاب في الكلي والمثانة، زاد المسافر وقوت الحاضر، وقد ترجم هذا الكتاب " إلى اللغة اليونانية بعد وفاته بقليل، وقد كانت الثقافة اليونانية الطبية والصيدلية لا تزال في عصر ابن الجزار الرافد الأساسي للثقافة العربية الإسلامية، وكانت العربية المنقولة إلى اليونانية لا تتجاوز الستة، وكان زاد المسافر أحدها، وكان أهمما أيضاً"[3].

ومن بين كتبه العديدة في الطب نذكر كتابه المشهور في طب الأطفال وهو سياسة الصبيان وتدبيرهم حيث اختص هذا الكتاب اختصاص كامل في طب الأطفال وقد أثنى عليه المؤلف نفسه في مقدمة كتابه حين قال " ولم أرى لأحد من الأوائل المتقدمين المرضيين في ذلك كتاباً كاملاً شافياً بل رأيت ما يحتاج من علمه ومعرفته من ذلك متفرقاً في كتب شتى وأماكن مختلفة " [4].

ويحتوي كتاب سياسة الصبيان على أثنى وعشرون باباً مقسمة على النحو الآتي " ففي الباب الأول يبحث ابن الجرار كيفية العناية بالأطفال وعن طريقة قطع السرة وغسل الصبي ويصف بكل دقة الظروف التي يجب أن يحمم فيها وكيفية مسكه وسكب

---

[1] بن مراد ، إبراهيم، بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م، ص 191.

[2] ابن جلجل، المصدر السابق، ص 90.

[3] Lucien Leclerc: Histoire de la medecine Arabe, Paris, 1876. Vol. 2. P. 484. عن كتاب تاريخ الجراحة لعلي الشطشاط

[4] أبن الجزار أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد القيراوني ، كتاب سياسة الصبيان وتدبيرهم، تحقيق محمد حبيب الهيلة، مطبعة المنار، تونس، 1968م، ص 57.

الماء عليه وتنشيفه ولفه في خرق لينة وربطة بدون ضغط ثم يتحدث عن الرضاعة وكمية اللبن في كل رضعة وطريقة نومه وتسويته في المهد، ثم كيف يجب مداعبته وإسكاته عند البكاء مع النظر في سبب ذلك، وهذه نصائح أراد ابن الجزار بها حماية المولود، ثم يبحث في الأبواب الخمسة الموالية صفات المرضعة ويصف علاج لمختلف الحالات المرضية والأدوية الصالحة لذلك، من الباب السابع حتى الحادي والعشرون يستعرض الأمراض التي تصيب الأطفال حيث يبدأ بتعريف المرض ووصف أعراضه ثم يذكر الأسباب المباشرة له وطرق علاج هذه الأمراض وطرق صناعة هذه الأدوية ونسب أوزانها والكمية الواجب تناولها ووقت تناولها مع تعيين مدة العلاج ثم وضع فصلاً تربوياً في الباب الثاني والعشرين الذي فقد أوله تناوله من المخطوطة وكامل الفصل الواحد والعشرين، وقد لوحظ على ابن الجزار عند تنظيمه لفصول هذا الكتاب أنه اعتمد على ترتيب أعضاء الجسم من أعلى إلى أسفل مبتدئاً بأمراض جلدة الرأس ومنتهياً إلى أمراض المثانة وقد ختم ابن الجزار هذا الكتاب بقوله " ولولا حب الاختصار وترك الإكثار لأتينا الطريق إلى نهاية ولكنه فيما ذكرناه كفاية لمن فهم عنا المعنى والمراد في كلامنا وقد أتممنا كتابنا وبلغنا فيه مرادنا ، والله المعين لا رب غيره".[1]

وقد اعتمد ابن الجزار في تأليف كتابه على بعض المصادر الأعجمية والعربية التي أشار إليها منها كتاب جالينوس ، وكتاب أبو قراط ، وكتاب يوحنا بن ماسويه ، وكتاب سابور بن سهل ، كما نقل بعض المؤلفون أفكار ابن الجزار واقتبسوا آرائه وأخذوا بنظرياته وأهم الناقلين عنه: ابن أبي أصيبعة في كتابه "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" وأبو القاسم الزهراوي في كتابه " التصريف لمن عجز عن التأليف " وابن سينا في كتابه " القانون في الطب" حيث أخذ آراء ابن الجزار في تربية الأطفال فتجد عند ابن سينا جمل مشابهة لما هو موجود في كتاب ابن الجزار فأبن الجزار يقول عن حليب الأم الجيد وفائدته للطفل " ينبغي أن يكون لبن المرضع للصبي معتدلاً لا ثخيناً ولا رقيقاً ولا كثيراً ولا قليلاً والفرق بين اللبن المذموم واللبن المحمود أن اللبن المحمود لذيذ الطعم أبيض اللون طيب الرائحة " [2]

---

[1] ابن الجزار، سياسة الصبيان، ص 138 .

[2] المصدر نفسه ، ص 79 - 80 .

وهي من الأمور الصحيحة والمجربة فالطفل لا يشبع الا اذا كان حليب امه ابيض اللون جيد القوام .

، وقد توفي ابن الجزار بعد أن عاش " نيفاً وثمانين سنة " [1].

وكانت وفاته " في سنه 269 توفي أحمد بن أبي خالد الطبيب الكبيـــر المعـــروف بابن الجزار [2]

---

[1] ابن جلجل، المصدر السابق، ص 89 .

[2] ابن عذاري ، ابو عبدالله أحمد بن محمد المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق إحسان عباس ، مطبعة دار الثقافة ، بيروت ، 1967م ، 237/1 .

المبحث الثالث ابن البلدي (ت 380هـ / 990م)

هو أبو العباس أحمد محمد ابن يحيى البلدي، وقد لقب بالبلدي نسبة إلى بلد " وهي البلدة القريبة من الموصل بالعراق، وكان الأتراك يسمون بقاياها أسكن موصل، أي الموصل القديمة. [1]

تعلم ممارسة الطب في الموصل على يد أحمد بن الأشعث ولازمه سنتين، وكان من أفضل تلاميذه، ونظراً لما يتمتع به البلدي من مكانة طيبة عند أستاذه ابن الأشعث طلب منه تأليف كتاب خاص بالولادة فلبى الأستاذ " طلب تلميذه وألف كتاباً خاصاً بالمتقدمين في العلوم الطبية ".[2]

وعندما قويت ممارسة البلدي الطبية سافر إلى مصر الفاطمية واتصل بيعقوب بن يوسف بن كلس وزير العزيز الفاطمي فظل في خدمته ونال منه الإكرام والتقدير، لذلك قام بتأليف كتابه تدبير الحبالة والصبيان له لأنه كان يحب اقتناء الكتب " فكان في داره قوم يكتبون القرآن وآخرون يكتبون كتب شتى في عديد من العلوم ومنه الطب وهكذا طلب من أحمد بن محمد البلدي أن يكتب كتاباً في تدبير الحبالي والأطفال ".[3]

ولا يعرف لابن البلدي إلا كتاب واحد وهو "تدبير الحبالي والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم"، وهذا الكتاب يعتبر من أفضل ما كتب في تاريخ طب الأطفال إلا أنه لم ينال حظه من الانتشار والتداول بين أطباء العرب، وقد قسم البلدي كتابه إلى ثلاث مقالات وكانت مكتوبة بخط نسخي جميل وفي الهوامش بعض التصحيحات، وفي الصفحة ثلاث وعشرون سطراً، وقد قسم هذه المقالات الثلاث على النحو التالي: المقالة الأولى تحتوي على سبعة وخمسين باباً وهي في تدبير الحبالة والأطفال والأجنة ومداواة ما يعرض من الأعراض، والأمراض فيهم وقدم بعض النصائح للمرأة العامل لكي ينمو الجنين بصورة طبيعية.

" فيجب أن تزيد في غذائها الزيادة التي لا تثقلها عندما تنهض بها وبمقدار ما لا يثقل على معدتها ولا يفسد هضمها فيها، بل يكون ذلك بالمقدار المعتدل الموافق الذي

---

(1) السامرائي، كمال، مختصر تاريخ الطب العربي، منشورات دار النضال، بيروت، 1990م، ص 21.

(2) قنواتي، جورج شحاتة، الطبيب أحمد بن محمد البلدي وكتابه (في تدبير الحبالي والأطفال)، الندوة الطبية العالمية عن الطفل في الطب العربي، المنعقدة في طرابلس خلال المدة من 10 إلى 20 مارس 1982م، ص 81.

(3) المرجع نفسه ، ص 82.

يجود هضمه ويحسن استمرارها ويكون على دفعات لا في دفعة واحدة علـــى تـــدريج وترتيب".[1]

كما قال " وبحسب الزيادة في الغذاء يجب أن تكـــون زيـــادتهن فـــي الرياضـــة والحركة ، فإن الحركة والرياضة والتعب والأعمال مع إعانتها على الهضـــم وإثـــارة الحرارة الغريزية وتقلل الفضول وتخففها من البدن ".[2]

كما قام بنصح المرأة الحامل للحفاظ على صحتها فقال " أما الحمام فليست ضارة بل نافعة إلا أنه يجب أن يكون استعمالهن لها باعتدال ولا يطلن فيها الجلوس، ولـــيكن دخولهن الحمامات المعتدلة الحرارة العذبة الماء الرفيعة البناء الطيبة الهواء، ويكون ما يستعملون من الماء الفاتر، ويكون فيه الطيب والبخور".[3]

وعند قراءة هذه النصائح لا نجد اختلاف فيما يقدمه الطـــب الحـــديث فـــي هـــذا المجال، فعندما تحمل المرأة وتقوم بمراجعة طبيبها الخاص يقدم لها مثل هذه النصائح، كما اهتم ابن البلدي في هذه المقالة بتربية الأطفال ومعالجة أمراضهم، وأشار إلى تطور ونمو الجنين في الرحم ، وتكلم عن العلامات الدالة على قوة الجنـــين أثنـــاء الحمـــل، والعوامل التي تساعد على سلامته، وأسهب البلدي في ذلك خاصة وأنه قد وضع جداول عن نمو الجنين وتتضح أهمية المعلومات التي قدمها هذا الطبيب فهي لا تختلـــف عمـــا جاء في الطب الحديث باستثناء استخدامهم حديثاً للطرق المتقدمة للتعرف على أحـــوال الجنين مباشرةً فتكون معلوماتهم اكثر دقة .

التاريخ	الطب الحديث	رأي البلدي
الأسبوع الأول بعد الإخصاب	إن اليـــوم الأول مـــن دورتـــك الشهرية هو أول يـــوم لحســـاب الحمل مع انك لـــم تحملـــي بعـــد وبـــالنظر إلـــى النســـاء ينـــتجن	ففي اليوم السادس فيه سقوط في الرحم يصير المني زبداً لتحركه

(1) البلدي، أبو جعفر أحمد بن محمد، تدبير الحبالي والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهـم، تحقيـق محمود الحاج قاسم، وزارة الثقافة، بغداد، 1980م، ص 132.

(2) المصدر نفسه، ص 130.

(3) المصدر نفسه، ص 133.

	بويضات لا حيضيه في أوقات مختلفة وعلى أساس مواعيد دورة الحيض فإن تسجيل بدء الحمل بهذا الأسلوب يعطي إشارة واضحة حول الموعد المتوقع للولادة وفيه تنتقل البويضة من خلال القناة وتطفوا في الرحم .	
بدء الأسبوع الثاني حتى الرابع .	تغرس فيه البويضة المخصبة على جدار الرحم ويبداء الريم بالتوسع في حجمه وفي تمدده وليونته في حين عن عنق الرحم وقوامه يتغير كما يتحدد جنس الجنين .	اليوم السابع ينشأ من وسطه أصل وعرق ملقية عند فم الرحم ليجتذب من تلك الأفواه ما يحتاج إليه كما تلقى الغروس المغروسة في الأرض عرقاً تجتذب بها الرطوبة من الأرض على أن المني يتلين أعلى الرحم ويصير منه غشاء وأنه أول ما يتبين في خلق جسم العيون شبيه ثلاث نقط متقاربة بعضها من بعض يتوهم أنه رسم الكبد والقلب والدماغ ثم يزاد بعضها من بعض بعد ما امتدت أيام الحمل
خلال الخامس والسادس	يتكون صمام مخاطي يحيط بالرحم ويحميه كما تتكون الأطراف .	

التاريخ	الطب الحديث	رأي البلدي
نهاية الشهر الثالث	الجلد يبدأ في التكون لكن الخلايا الدهنية لا توجد بعد ، والحواجب والرموش تبدأ في النمو ويبدأ الطفل يتحرك سريعاً .	ومع ابتداء الفقار وعظم الرأس يبدأ المخ والدماغ والأعصاب وعند ذلك يتكون اللحم والشريانات والأوردة من القلب والكبد وتنتشر في جميع الجسد وتلتف وترتبط بالعظام وتتصل وتجتمع بعضاً إلى بعض ويتلو ما بعد ذلك الجلد فتكتمل الصورة ويتم الحلق وتتميز العينان والأنف والفم وجميع الأعضاء ويجري فيه روح الحياة
نهاية الشهر الرابع	تبدأ الأظافر في النمو ووظائف السمع شكلت تماماً .	ويتحرك في تمام السبعين يوماً ومنه ما تكون حركته في ثمانين يوماً ومنه في تسعين يوماً ومنه في مائة يوم أكثره. فأما في الثلاثة أشهر الثانية والثلاثة أشهر الأخيرة فيتولد فيها الشعر [1]

[1] WWW . د . نجيب لويس .COM

أما المقالة الثانية فهي تشتمل على ثمانية وأربعين باباً في تربية الأطفال وحفظ صحتهم وكيفية العناية بنموهم واستحمامهم وملابسهم وتغذيتهم وتتطور حركتهم ونموهم، وذكر العلامات التي يستدل بها على حال المولود عند الولادة إن كان صحيحاً أو لا "فأما استدلالك على حال المولود إن كان صحيحاً أو سقيماً فإن ذلك يكون من تعرفك حال المرأة في حال حملها وذلك أن صحة الأم وخفة الأعراض الردية العارضة فيها وقلتها أو ضعفها في وقت واحد حملها يدل على صحته".[1]

وأما المقالة الثالثة فهي في الأمراض والأوجاع الحادثة للأطفال وطرق علاجها حيث كان البلدي يستدل على هذه الأمراض من اللحظة الأولى لولادته وذلك من خلال ... بكاءه ساعة ولادته وقد يدل على ذلك من صحة أعضاءه وقواه وجودة حواسه ، فهذه كلها تدل على صحة المولود وسلامته، فأما استدلالك على سقمه ومرضه وضعفه فيكون بخلاف ذلك .

وأهم ما يميز البلدي أنه يعطي النصائح الطبية حتى يتفادى المرض وإذا وقع وأن مرض الصبي يصف له العلاج فمن بين النصائح التي ذكرها في كتابه " وأما الطفل فإن مداخله كثيرة ، كالفم والمنخرين، ومخارجه كثيرة كمخرج البول والبراز فيجب أن تكون هذه المداخل والمخارج سليمة منفتحة يعني بتفتحها وتنظيفها لئلا يحتقن فيها فضل يسدها يسهل خروج ما يخرج منه ودخول ما يدخل فيها ".[2]

أما عن النصيحة الثانية فإن لا يرغم الصبي على الوقوف قبل أوان ذلك "وليس ينبغي أن يحمل للصبيان على المشي قبل وقتهم لكي لا يعرض في أرجلهم الإعوجاج"[3]

كما ذكر في هذا المجال بعدم تحريك الطفل حركات عنيفة وعدم استعمال الخشونة معه، ولأن الأطباء العرب أجمعوا على أهمية حليب الأم ، في الرضاعة فقد ذكر البلدي ذلك في كتابه بقوله " فلأخلق بلبن الأم أن يكون أوفق الألبان كلها لسائر الأطفال إن لم يكن لها علة أو سبب يفسد اللبن فضلاً عن الطفل ... وقد نجد الطبيعة له تقتصر على أن أعدت هذا الغذاء للطفل ولكنها غرست في الأطفال منذ أول الأمر قوى

---

(1) البلدي، المصدر السابق ، ص 181.

(2) المصدر نفسه ، ص 185.

(3) المصدر نفسه ، ص 215.

غريزية في استعماله ... وفي سلامة لبن الأم للطفل نفع له ونفع لها في الرضاع منهـــا وحفظ لصحتها وصحته".[1]

وقد أكد القرآن الكريم على صحة ذلك كما ذكرنا سابقاً وهذا ما ينادي به أطبـــاء العصر الحديث، ومن الغريب أن شخص مثل البلدي وكتابه القيم الذي يعتبر موســـوعة طبية في تاريخ الطب العربي لم يذكر في المؤلفات الطبية ولم يعط الأهمية باستثناء ما كتبه محمود الحاج قاسم عن هذا الطبيب حيث قام بتحقيق كتابه، فلولاه لبقيـــت أخبـــار البلدي متناثرة في وريقات بعض الكتب، ونظراً لقلة ما كتب عنـــه قمـــت بالاســـتعانة بالمخطوط نفسه للحديث عن ما قدمه هذا الطبيب في مجال طب الأطفال، وقـــد تـــوفي البلدي " 368هـــ /978م".[2]

---

[1] المصدر نفسه ، ص 186.

[2] عزب، خالد، طب الأطفال في التراث الإسلامي ، (د ، ت) 2006م ، ص 1 .

المبحث الرابع أبو بكر الرازي (ت 313هـ / 925م)

أبو بكر محمد بن زكريا الرازي عالم وطبيب فارسي ولد في " مدينة الري" [1].

في خراسان ببلاد فارس ثم سافر إلى بغداد، فبقى فيها فترة طويلة " كان منذ صغره ميلاً إلى العلوم العقلية والأدب، أما صناعة الطب فإنما تعلمها وقد كبر"[2].

وقد قال عنه ابن النديم " أنه كان أوحد دهره، وفريد عصره ، وقد جمع المعرفة بعلوم القدماء، سيما الطب " [3].

فقد كان مؤمنا باستمرار التقدم في البحوث الطبية ولا يتم ذلك على حد قوله إلا بدراسة كتب الأوائل، لذلك كان الرازي من أهم من وضعوا الأسس الراسخة والقواعد الثابتة لتعليم الطب أو ممارسته، ليس في العالم الإسلامي فحسب، لذلك لا نستغرب عندما نجد له مؤلفات قيمة في الطب السريري والنفساني، والكيمياء ذات شهرة واسعة والتي تناول فيها كل العلوم مثل علوم البصريات والبيئية، والعلم الإلهي وعلم الأخلاق وأمراض الأطفال، فأصبح له أسلوب خاص في تعليم الطب وممارسته، ويختلف الرازي عن الأطباء اليونانيين في الاهتمام بالتجربة حيث قام بإجراء بعض " التجارب الطبية على الحيوان وخاصة القرود باعتبارها من حيث الشبه بالإنسان، كما يفعل الطب الحديث الذي يفضل إجراء التجارب العلمية على الحيوانات قبل إجرائها على الإنسان " [4].

كما أهتم الرازي بتاريخ المرض، فذكر علاماته ودوَّن ملاحظاته عليه كما يفعل أطباء العصر الحديث، فكان يبحث دائماَ " عن العلاج الأصلي للمرض، إذ أن ضعف المريض، وعدم احتفاظه بقوته، قد يجعل العلاج بلا جدوى " [5].

بذلك يكون الرازي قد سبق غيره في تدوين الملاحظات السريرية للرجوع إليها والاستفادة منها " كما استطاع التفريق بين الأمراض المتشابهة الأعراض، ففرق بين القولونج ووجع الكلى، أو بين ذات الجنب أو ذات الرئة وغيرهما " [6].

---

(1) الطبري ، فردوس الحكمة في الطب، ص 2.
(2) الهوني، تاريخ الطب، ص 130.
(3) ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن اسحق ، الفهرست ، بيروت ، 1978م ، ص 415 .
(4) جلال موسى، المرجع السابق، ص 186.
(5) المرجع نفسه، ص 190.
(6) المرجع نفسه، ص 197.

ولأن العامل النفسي له دور كبير في علاج المريض فقد اهتم به الرازي موضحاً أهمية الوضع النفسي للمريض، فقد ينجح العلاج أو يفشل على حسب وضع المــريض النفسي " ينبغي للطبيب أن يوهم المريض أبداً بالصحة ويرجّيه بها، وإن كـــان غيـــر واثق بذلك، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس" [1]

ويعتبر الرازي أول من كتب مقالات خاصة عن أمراض الأطفـــال إلـــى جانـــب مؤلفاته العديدة في الطب، فقد وضع العديد من المؤلفات التي تعتبـــر دوائـــر معـــارف لكثرتها وشمولها " فقد كتب في الطب وحده مائتي كتاب، ومن أجل هذا يعد Edward Browne أقدر الأطباء المسلمين وأكثرهم ابتكاراً وأعظمهم إنتاجاً"[2].

ومن مؤلفاته الرائعة كتاب عن الجدري والحصـــبة وهـــي أول رســـالة حـــوت معلومات دقيقة عن تشخيص هذين المرضين وعلاجهما، فقدم أول خطـــوات المـــنهج التجريبي في هذه الرسالة حيث تناول فيها أقدم وصف ســـريري للجـــدري ..."وكـــان الوصف الذي ورد في رسالته عن الحصبة والجدري من وجهة نظر بعـــض البـــاحثين وصفا دقيقاً للغاية، حتى على ضوء علم الطب الحديث " [3].

" وقد ترجم على عدة لغات أوربية وطبع بالغة الانجليزية اربعين مرة ما بـــين عـــامي 1498 – 1866م " [4]

فهو أول من ميّز بين الجدري والحصبة " مع تشابه الأطوار الأولى للمرضـــين، وقديماً كانت أغلب الأمراض التي ظهر فيها طفح على الجلد تعد صوراً مختلفـــة عـــن مرض الجذام" [5]

وترجمت هذه الرسالة إلى عدة لغات أجنبية فـــ " ترجمت إلـــى اللاتينيـــة ســـنة (973هـــ / 1565 م) ، واتخذت هذه الرسالة مكانها خلال العصور الوسطى فكانـــت أهـــم المراجـــع الطبيـــة فـــي موضـــوعها، وقـــد ترجمـــت إلـــى الإنجليزيـــة ســـنة (1264هـــ /1847م) " [6].

---

(1) ابن أبي إصبيعة، المصدر السابق، 351/2 .

(2) محمد ، شريف محمد ، موسوعة النظم والحضارة الإسلامية الفكر الإسلامي في منابعه وآثاره، ترجمة، أحمد شلبي، دار الإتحاد العربي، القـــاهرة، 1962م، ص 123.

(3) دوم، لاندو، الإسلام والعرب، ترجمة منير بعلبكي، بيروت، 1962م، ص 462 .

(4) علي الشطشاط ، تاريخ الجراحة ، 805/2 – 806 .

(5) موسى ، كمال، أبو بكر الرازي في مرآة الغرب، مطبعة الهلال (د ، م) ، 1958 م، 40/12.

(6) محمد ، المرجع السابق ص 123 .

ولأن هذه الرسالة أصبحت ذائعة الصيت نشر النص العربي لها مصحوباً بترجمتها اللاتينية "وقد وصف نيوبرجر المؤرخ الطبي المشهور هذه الرسالة بقوله إن هذه الرسالة تعد حلية في جيّد الطب العربي وإن لها أهمية عظمى في تاريخ الأمراض الوبائية لأنها أول بحث كتب عن مرض الجدري " [1].

"وقد تناول الرازي في رسالته هذه ظواهر المرض وتطوره ورسم فيها صورته الكاملة، حتى أصبحت المرجع الأول والأخير في أوروبا حتى القرن الثامن عشر الميلادي ، وعدّت أحسن ما صنف عن الأمراض المذكورة في رسالة الجدري والحصبة التي تناولت المرضين بأهمية بالغة"[2].

كما أشار إلى بعض الأمراض الأخرى التي قد يصاب بها الأطفال في مؤلفاته المختلفة فعن تورم السرة وبروزها يقول " بروز السرة في الأطفال يحدث عند بكائهم بكثرة أو عند العصر، أو من السعال الشديد أو صدفة أو ربما يحدث من حادثة أو ضربة ... وإذا كانت من النوع التي تصغر عند الدفع أكوِ السرة حول الحلقة وليس في البقة التي تصغر منها بسبب رقة الجلد"[3].

كما وضع الرازي رسالة في أمراض الأطفال والعناية بهم"ترجمت هذه الرسالة قديماً إلى العبرية ، ثم ترجمت اللاتينية قبل ظهور الطباعة في مدرسة جيرارد كريمون 1114-1187م من قبل سومون...ومن الحقائق المؤكدة بأن جميع كُتاب الأطفال من القرن العاشر حتى السابع عشر الميلادي ساروا بكتاباتهم على غرار النسخة اللاتينية من رسالة الرازي" [4].

---

[1] شلش، إسماعيل سرور ، طب العربي في نظر العلماء والمؤرخين في دراسة نقدية ، مجلة التاريخ العربي والعالم ، السنة الخامسة ، العددان 59 – 60 ، دار النشر العربية ، بيروت ، 1983م ، ص 40 .

[2] هونكة ، زيغريد ، شمس العرب تسطع على الغرب ، تعريب فاروق بيضون وكمال دسوقي ، بيروت ن 1963م ، ص 271.

[3] محمود الحاج قاسم ، تاريخ طب الأطفال، ص 141.

[4] المرجع نفسه ، ص 161.



شكل رقم (2)[1]

صورة للرازي يفحص طفل مصاب بمرض الحصبة .

ولو نظرنا لهذا التاريخ لوجدنا بأن الأطباء العرب قد سبقوا الأوروبيين بآلاف السنين في دراسة موضوع طب الأطفال ومن بينهم الرازي الذي أمتاز عن غيره من الأطباء بالمعارف الطبية الواسعة الشاملة ، وكان في سعي دائم وراء المعرفة حتى أصبح أعلم أهل زمانه في كل العلوم وأنار الطريق أما كل باحث في نفائس الطب العربي الإسلامي.

(1) ينظر غلاف كتاب تاريخ الجراحة لعلي الشطشاط .

المبحث الخامس ابن سـينا (ت 428هـ / 1036م)

هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا المعــروف بالشــيخ والملقب بالرئيس[1]. ولد عام 375هــ/985م[2]. بينما ذكر ابن خلكان عن مولده فـــي " شهر صفر سنة 370هــ" [3].

وقد أقبل على طلب العلم منذ أن كان صغيراً، فحفظ القرآن وهو ابن عشر سنوات ولم يترك فرعاً من المعارف إلا أطلع عليه فكان صاحب أثر في شتى العلــوم " فلمـــا بلغت ثماني عشرة سنة من عمري فرغت من هذه العلوم كلها " [4]. خاصة الطب الذي أشتهر فيه وتطرق إلى جميع فروعه فنبغ فيها، وألّف فأجاد التـــأليف حتـــى أصـــبحت مؤلفاته من أهم المراجع الطبية في الشرق والغرب لعدة قرون "وعلم الطب لـــيس مـــن العلوم الصعبة، فلا جرم أني برزت في أقل مدة حتى بدأ فضلاء الطب يقـــرأون علـــي علم الطب، وتعهدت المرضى فانفتح علي من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربـــة مالا يوصف" [5].

لذلك لا نستغرب عندما نجد له العديد من الكتب القيمة في العلوم المختلفـــة، إمـــا فيما يخص الطب " القانون، الأدوية القلبية ، والقولنج، وقد تدارك ابن سينا الخطأ الواقع في التدبير الطبي، ورسالته في السكنجبين " [6].

ولا ننسى الأرجوزة والتي تعتبر أغرب ما ألف في الطب، فقد وضعها ابن ســـينا على أشكال أبيات شعرية تضمنت معلومات طبية ..."علا خلاف القانون بشكل مختصر وجامع وعلى شكل أشعار من بحر الرجز ليسهل على طالب الطب حفظها " [7].

وكان من أهم كتبه التي ذاع صيتها القانون في الطب " وهو أكبر موسوعة طبية، وصلت إلى أيدي الباحثين في القرون الوسطى " [1].

---

[1] القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، تاريخ الحكماء ، ليبزك 1903م، ص 413.

[2] دوغروماجي، إحسان، ابن سينا، بعض الحقائق عن حياته وأعماله، أبحاث وأعمال المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي المنعقد بالكويت خلال الفترة من 12 إلى 16 يناير، 1981م، ص 155.

[3] ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، بيروت، 1978م، 161/2 .

[4] ابن أبي إصيبعة، المصدر السابق، 6/3 .

[5] المصدر نفسه ، 4/3.

[6] البيهقي، أبو الحسن علي بن زيد ظهير الدين، تاريخ حكماء الإسلام، دمشق، 1979م، ص 52.

[7] محمود الحاج قاسم ، تاريخ طب الأطفال عند العرب، ص 190.

فأصبح يعلم في أوروبا حتى عهد قريب وقسم ابن سينا كتابه القانون إلى أبـــواب سماها فنوناً ، والفن مقسم إلى مقالات سماها تعاليم ، والتعاليم مقسمة إلى فصول علـــى النحو التالي " الكتاب الأول بحث في تعريف الطب وموضوعاته ، ويحتوي على أربعة فنون:-

الفن الأول / في ست تعاليم:-

أ - تعريف الطب وأغراضه.

ب - أبحاث العناصر الأربعة.

ج - ثلاث فصول في الأمزجة.

د - فصلين في الأخلاط.

هـ - خاص بالتشريح.

و - أبحاث في وظائف الأعضاء وعلم النفس.

الفن الثاني / في ثلاث تعاليم:

أ - ثمانية فصول في تعريف الأمراض وأسبابها وأنواعها.

ب - مسببات الأمراض وعوامل البيئة المختلفة، وأثرها فـــي صـــحة الإنسان كالطقس، والتربة والغذاء والماء.

ج - أعراض الأمراض وعلامتها وبه ملحق في النبض وفصول فـــي فحص البول والبراز.

الفن الثالث في خمسة تعاليم

أ - تدبير المولود وفصـــله عـــن الرضـــاعة وأمـــراض الصـــبيان وعلاجهم.

ب - في الرياضة والحمام وتدبير الغذاء.

ج - ستة فصول في أمراض الشيخوخة وتدبير الشيوخ.

د - في تدبير الأمزجة وإصلاحها.

هـ - في تدبير المسافرين.

الفن الرابع في العلاج

---

(1) القربي، أحمد حسنين، قصة الطب عند العرب، الموصل، 1974م، ص 82.

الكتاب الثاني من القانون خاص بعلم الصيدلة والكتاب الثالث يحتوي على نيف وعشرين فناً في أمراض الرأس والدماغ والعقل والأعصاب والعين والأنف والأذن والحنجرة والفم والأسنان والرئة والقلب وأعضاء الهضم والتناسل للذكور والإناث .

الكتاب الرابع يحتوي على:

1. الحميات وعلاجها.
2. مآل المرض.
3. في الأورام والبثور.
4. الكسر والخلع والتجبير.
5. في السموم.
6. في الزينة.

الكتاب الخامس كتاب الأقرباذين أي عن تركيب الأدوية

ونظرة إلى ما احتواه كتاب القانون تظهر جلياً عظمة الفيلسوف والطبيب العالم ابن سينا والذي احصيت مؤلفاته فبلغت مائة وسبعة ، فلم تقتصر جهوده على الطب بل تعدتها إلى سائر علوم عصره ، فبرز فيها ونبغ ، فاستحق لقب الشيخ الرئيس " [(1)].

وما يهمني القسم الخاص بالأطفال، فقد خصص في الجزء الأول من كتابه قسماً لتربية الأطفال وأمراضهم وسماه (التعليم الأول في التربية) وهو أربعة فصول وفي الجزء الثالث تحدث عن الحصبة والجدري وآخر في الحميات كما تحدث عن التشنج، والملاحظ هنا أن ابن سينا لا يختلف عن أطباء الأطفال في العصر الحديث عند تشخيص أي مرض وطريقة علاجه فعند فحصه للمريض كان يستخدم طريقة "التشخيص المقارن بين الأمراض المتشابهة، استخدم طريقة الاستدلال بالبول والبراز والنبض في مجال الحمى وأنواعها" [(2)].

وهذه من الطرق الحديثة المتبعة لفحص الأطفال من أجل تشخيص أمراضهم وأسبابها، أما باقي المعلومات فقد جاءت متفرقة في صفحات هذا الكتاب ، فعند حديثه

[(1)] فرج الهوني ، المرجع السابق، ص 165.

[(2)] موسى، جلال محمد، منهج البحث العلمي عند العرب، بيروت، 1972م ص 210-211 .

عن الأمراض بصفة عامة ذكر فيها ما قد يصيب الأطفال، فعند حديثة عن الديدان ذكر أسباب توالدها وأنواعها فقال " مادة الديدان هي البلغم إذا سخن وكثر وعفن في الأمعاء وبقي فيها وأنت تعلم أسباب كثرة تولد البلغم من المأكولات والتخم وضعف الهضم بأي سبب كان، ومن مزاج الأعضاء الباردة وما تولده الأغذية اللينة اللزجة ... وأصناف الديدان أربعة طوال عظام ومستديرة ومعترضة وصغار وإنما اختلف تولدها بحسب اختلاف ما منه تتولد واختلاف ما فيه تتولد " [1].

كما تحدث عن أمراض أخرى منها الحول فذكر أنواعاً للحول على خلاف ما يعرف بأن الحول شيء عام يصيب العين، فقد ذكر بأنه قد يكون " لاسترخاء بعض العضل المحركة للمقلة فتميل عن تلك الجهة إلى الجهة المضادة لها وقد يكون من تشنج بعضها فتميل المقلة إلى جهتها وكيف كان فقد يكون من رطوبة وقد يعرض عن يبوسة " [2].

وعند حديثه عن علاج الحول فإنه يقول "أما المولودية فلا يبرأ اللهم إلا في حال الطفولية الرطبة جداً فربما رجاء أن يبرأ خصوصاً إذا كان حادثاً فينبغي في مثله أن يسوي المهد ويوضع السراج في الجهة المقابلة لجهة الحول أو يلصق شيء أحمر عند الصدغ المقابل أو الأذن وكل ذلك بحيث يلحقه في تأمله تبصره أدنى كلفة فربما نجح ذلك التكليف في تسوية العين وإرسال الدم مما يجعل النظر مستقيماً " [3].

" وقد يعرض للطفل سوء تنفس فيجب حينئذ أن تدهن أصول أذنيه واصل لسانه بالزيت ... ويقطر الماء الحار في أفواههم ويلعقوا أشياء من برز الكتان والعسل " [4]

---

[1] ابن سينا، المصدر السابق، 2/ 473.

[2] المصدر نفسه، 129/2.

[3] المصدر نفسه.

[4] المصدر نفسه ، 1 / 155 .

وترجع أهمية كتاب القانون بصفة خاصة إلى أن ما ورد فيه من معلومات طبيـــة لا تختلف عما هو موجود في كتب الطب الحديث رغم الفارق الزمني " فالكتاب حســـب التقسيم الحديث ابتدأ بالتشريح Anatomy ، ثم علم وظائف الأعضـــاء Physiology ثم ما يسمى حديثاً بعلم طبائع الأمراض Pathology وأخير علم العلاج Therapy"[1].

وقد أجمعت الأمم العربية واللاتينية على الإعجاب بتأليفه ولا يزال الناس يتعلمون ويستفيدون من هذا الكتاب الشيء الكثير ففي " باكستان يتعلم الناس الطب كما جاء فيه وظل الأطباء يدرسونه في جامعات أوروبا حتى منتصف القرن السادس عشر، وكتـــاب القانون يمتاز بالوضوح والتنسيق وحسن التأليف، وهو منظم جداً بل لعل فيه إسرافاً في التنظيم والتنسيق ولا يشك القارئ أن مؤلفه فيلسوف ممتـــاز، فهـــو يستقصـــي تقســـيم الأمراض أو الأعراض أو العلاج وقد يجـــره هـــذا ... إلـــى شـــرح أمـــور نـــادرة جداً " [2].

ولم تكن مكانة ابن سينا مقتصرة على العالم العربي وإنما تخطته إلى أوروبا فأشاد به الأوروبيون كثيراً وبإنجازاته العظيمة و مآثره على الطب في الغرب، فقـــال عنـــه المســـــتشرق دي بور " إن آثاره امتدت إلى القرن التاسع عشر... فأصـــبح مرجعـــاً أساسياً للأساتذة والطلاب في دراسة الطب بالجامعات الأوروبية وطبع كتابه باللاتينيـــة كاملاً ست عشرة طبعة في السنوات الثلاثين الأخيرة من القرن السادس عشر " [3].

وقد تعدت مكانه ابن سينا إلى أكثر من ذلك فقـــد اعتمـــد كتابـــه للتـــدريس فـــي الجامعات الأوروبية " أما القانون لأبن سينا فبلغ من المكانة ما بلغت كتابات جالينوس وأبو قراط وأقر البابا كليمنت الخامس (709هـــ / 1309م) أن يمتحن الطلبة إجباريـــا في كتابي ابن سينا والرازي للحصول على إجازة الطب، وكان كتاب القانون يدرس في جامعة مونبيليه حتى أواسط القرن السابع عشر " [4].

لذلك لا نستغرب عندما نقول بأن الغرب إعتمد على كتب العرب المسلمين في بدء نهضتهم وكتاب ابن سينا القانون كان نبراسا للطب في الشرق والغرب والدليل على ذلك

---

[1] فرج الهوني المرجع السابق ص 167.

[2] شلش ، المرجع السابق ، ص 35 .

[3] نوفل، سيد ، ابن سينا الطبيب الأديب، مجلة الهلال، العدد الثاني، مطبعة الهلال، القاهرة 1973، ص 12 .

[4] شلش ، المرجع السابق، ص 40 .

"ظهر في ميلانو سنة 1473 م، ثم بعد مرور سنتين طبع للمرة الثانية، وظهـرت لـه تعليقات وشروح بقلم إيطالي لقب بروح ابن سينا، وظهرت الطبعة الثالثة للكتاب قبل أن تطبع مخطوطات جالينوس، وحتى عام 1500م كان هناك ستة عشر طبعة للقـانون، مقابل طبعة واحدة لجالينوس في جزءين اثنين، وفي القرن الذي يليه زاد عدد الطبعات إلى عشرين وظلت الطبعة تلي الطبعة إلى منتصف القرن السابع عشر، وبهـذا يكـون كتاب القانون أكثر كتاب طبي درسه طلاب العلم في تاريخ العالم " [1].

وهذا الإكبار والإجلال لم يأت من فراغ فابن سينا لم يترك جانباً من جوانب علم الطب وفروعه إلا بحث فيه، وأعطاه حقه من الدراسة فكان ، مبتكراً صادق في نتاجـه العلمي ولم يوقفه مرضه عن تقديم جهوده الطبية حتى آخر أيامه، فقد أصيب بتقرح في أمعائه " وعندما يئس من الشفاء من المرض الذي ألم به، كان يتصدق علـى الفقـراء، ويعتق مماليكه، ويختم القرآن الكريم مرة كل ثلاثة أيام إلى أن مات في شهر رمضـان (428هـ/1036م)"[2].

" وقد عاش طوال حياته في فارس إذ ولد قرب مدينة بخارى وتجول في أنحـاء فارس متنقلاً من مدينة إلى مدينة حتى وافاه أجله، فمات من مرض بمعدته في همذان سنة 428هـ/1036م ، وقد تعلم بنفسه الطب حتى أصبح طبيباً يشار إليه بالبنان وهـو في الثامنة عشر من عمره"[3].

هكذا كان ابن سينا طبيبا ماهراً يستحق لقب شيخ الأطباء فقد جمع الطب والفلسفة والدين فقدم للإنسانية أعظم خدمة خلدت اسمه على مر العصور، فمازلنا نرى الكثيـر من أقوال ابن سينا في هذا العصر رغم ما شهده من تطور في ميدان الطب.

---

(1) فرج الهوني ، المرجع السابق ، 163 .

(2) ابن خلكان ، المصدر السابق ، 153/2 .

(3) المصدر نفسه ، 153/2 .

من مثل رحمين لهما عنق واحد لا كرحم واحد وتجد أصناف الليف كلها في الطبقة الداخلة والرحم تغلظ وتثخن كأنها تسمن وذلك في وقت الطمث ثم إذا طهرت ذبلت ويبست وإنها أيضاً ترق مع عظم الجنين وانبساطها بحسب انبساط جثة الجنين وإذا جومعت المرأة تداقمت الرحم إلى فم الفرج كأنها تبرز وكأنها تجذب المني بالطبع وإذا قيل الرحم عصباني فليس نعني بها أن خلقها من عصب دماغي بل أن خلقها من جوهر يشبه العصب أبيض عديم الدم لدن ممتد وإنما يأتيها من الدماغ عصب يسير يحس به ولو كانت أشد عصبانية لكانت أشد مشاركة للدماغ ورقبة الرحم عضلانية لحمية كأنها غضروفية كأنها غضون على غضون يزيدها السمن صلابة وتغضرفاً والحمل أيضاً في وقت الحمل وفيها مجرى يحاذيه فم الفرج الخارج ومنها يتبع المني وتقذف الطمث وتلد الجنين وتكون في حال العلوق في غاية الضيق لا يكاد يدخلها طرف ميل ثم تتسع بإذن الله تعالى فيخرج منها الجنين وأما مجرى البول ففي موضع آخر وهو أقرب إلى فم الرحم مما يلي أعاليها ومن النساء من رقبة رحمها إلى اليسار ومنهن من هي منها إلى اليمين وقبل افتضاض الجارية البكر يكون في رقبة الرحم أغشية تنتسج من عروق ومن رباطات رقيقة جداً ينبت من كل غضن منها شيء يهتكها الافتضاض ويسيل ما فيها من الدم فاعلم جميع ما قلناه

• (فصل في تولد الجنين) • إذا اشتملت الرحم على المني فإن أول الأحوال أن تحدث هناك زبدية المني وهو من فعل القوة المصورة والحقيقة من حال تلك الزبدية تحريك من القوة المصورة لما كان في المني من الروح النفساني والطبيعي والحيواني إلى معدن كل واحد منها ليستقر فيه ويتخلق ذلك العضو منه على الوجه الذي أوضحناه وبيناه في كتب الأصول والثلاث ثم يجد النفخ كله يندفع إلى الوسط الرطوبة لاستعداد المكان القلب ثم يكون من جانبه الأيمن وجانبه الأعلى نقطتان كالمندفعتين منه متباعدتان إلى حين ثم يتقضيان عنه ويتميزان ويصير الأول علقة القلب والأيمن علقة الكبد ويتلو الآخر من دم إلى بياض وينفذ إلى ظاهر الرطوبة المنبثة نفذ نفخ ريحي يتقبه لينال منه المدد من الرحم من الروح والدم وتتخلق السرة وأول ما تتخلق السرة تتبين الآن نفخات القلب والكبد والدماغ تتقدم خلق السرة وإن كان استتمام هذه الثلاثة يتأخر عن استتمام جوهر السرة وهذا شيء قد حققناه وبينا الخلاف فيه في كتب الأصول من العلم الطبيعي وكما يستقر المني ويزبد وينفذ الزبد إلى الغور نفخ القلب يتولد الغشاء من حركة مني الأنثى إلى مني الذكر ويكون منتشراً ثم لا يتعلق من الرحم إلا بالنقر لجذب الغذاء وإنما يغتذي الجنين بهذا الغشاء ما دام الغشاء رقيقاً فيها فكانت الحاجة إلى قليل من الغذاء وأما إذا صلب فيكون الاغتذاء اجتيازاً في مسامه من المنافذ الواضحة العرقية ثم ينقسم بعد عدة الأغشية والحق أن أول عضو يتكون هو القلب وإن كان يحكى عن أبقراط أنه قال أول عضو يتكون هو الدماغ والعينان بسبب ما يشاهد عليه حال فراخ البيض لكن القلب لا يكون في أول ما يتخلق في كل شيء ظاهراً جلياً وقد يتبع فضولي من بعد يقول إن الصواب أن يكون أول ما يتخلق هو الكبد لأن أول فعل البدن هو التغذي كأن الأمر على شهوته واستصوابه وقوله هذا فاسد من طريق التجربة فإن أصحاب العناية بهذا الشأن لم يشاهدوا الأمر على ما زعم

الفصل الرابع

الأمراض

التي تصيب الأطفال وعلاجها

المبحث الأول : التشوهات الخلقية

المبحث الثاني : الأمراض المكتسبة

المبحث الثالث : علاج الأمراض بالجراحة

المبحث الأول التشوهات الخلقية وعلاجها بالجراحة التجميلية

لقد ذُكر المرض في القرآن الكريم وطرق الوقاية منه، ولأن التطور في الطب لا يعني الوصول إلى علاج الأمراض بل الوقاية منها، وهذا دليل على قدرة الله سبحانه وتعالى حين ذكر في كتابه الحكيم ﴿ لَّيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ" ﴾ .[1]

كما ذكر سبحانه وتعالى تجنب المرض في الحج، حتى لا يصاب الناس بالعدوى ﴿ وأَتِمُّواْ الحَجَّ وَالعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الهَدْيِ" ..."وَلاَ تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَىَّ يَبْلُغَ الهَدْيُ مَحِلَّهُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أو بِهِ أَذىً مِن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ ... ﴾ [2]

فكانت الوقاية خير من العلاج هي الأساس عند المسلمين في الحفاظ على صحتهم، فالوضوء خمس مرات في اليوم، والغسل يحافظ على نظافة البدن ويحميه من الأوساخ والأمراض، لذلك كانت قواعد طب الأبدان عند المسلمين ثلاثة " حفظ الصحة والحمية عن المؤذي، واستفراغ المواد الفاسدة".[3]

لذلك عرف ابن سينا المرض بأنه " هيئة غير طبيعية في بدن الإنسان ينجب عنها بالذات آفة في الفعل وجوباً أولياً وذلك إما مزاج غير طبيعي، وإما تركيب غير طبيعي".[4]

وإذا حدث وأن أصيب الإنسان بالمرض فكان الطبيب يقدم له العلاج المناسب حسب حالته المرضية ، فاستطاع الأطباء العرب المسلمون التوصل إلى علاج الأمراض عن طريق التجربة التي تعتمد على " فحص البول وجس النبض".[5]

كما كانوا يبحثون في النباتات والأعشاب التي استخدموها في تحضير الأدوية فتميزوا بذلك في علم الصيدلة وتفوقوا فيه حتى استطاعوا أن يفصلوا بين علاج الكبار

---

(1) سورة النور، الآية 58.

(2) سورة البقرة، الآية 196.

(3) ابن قيم الجوزية، شمس الدين ، محمد بن أبي بكر بن أيوب ، مراجعة طه الرؤوف السعدي ، مكتبة الصفا، القاهرة ، 2002م ، ص 18.

(4) ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله، القانون في الطب، مطبعة بولاق، القاهرة، 1988م ، 73/1.

(5) الخطيب، حنيفة، الطب عند العرب، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1988م، ص 237.

والأطفال، فالجرعة التي تعطى للأطفال تكون أقل حتى لا تؤذي أمعائهم " وهذه وصية يجب أن تستعمل في الأطفال والصبيان في كل مرض، فتقيس بين من ابتدأ بأكل الطعام وبين من لم يبتدئ بأكله لكن بعد، وبين من هو أقوى من المبتدئ بأكل الطعـــام كثيـــراً وقسماً بين من سعيه أكثر وأقل، وبين من هو منهم أقوى وأضعف".[1]

كما قسم أبن سينا الأمراض التي تصيب الأطفال ، ومنها مـــا يصـــيب الجهـــاز الهضمي ومنها التنفسي أو العيون، وكانوا يصفون العلاج لكل مـــرض، ولكـــن هنـــاك أمراض عرفت عند العرب لا تعالج إلا بالعمليات الجراحية مثل التشوهات الخلقية حيث يولد بعض الأطفال وفيهم بعض التشوهات، وقد وردت التشوهات عند أوائل الأطبـــاء العرب، وعرفت بأمراض الخلقة ، أو كما ذكرها ابن سينا باسم أمراض التركيب " وهي تنحصر في أمراض الخلقة وهي أربعة أجناس أمراض الشكل وهو أن يتغير الشكل عن مجراه الطبيعي فيحدث آفة في الفعل كإعوِجَاجْ المستقيم واســـتقامة المِعْـــوَّج، وتربـــع المستدير، واستدارة المربع، ومن هذا الباب سقيط الرأس إذا عرض منه ضرر، وشـــدة استدارة المعدة، وعدم القرحة في الحدقة"[2].

وفي التشوه الخلقي يقول الرسول(صلى الله عليه وسلم)"ما جعل الله لمسخ نسلاً ولا عقباً"[3].

والمسخ كما نعرف هو مخلوق ذو تشوهات خلقية خطيرة تـــؤثر علـــى الشـــكل الظاهري والداخلي للإنسان، وقد أثبت بأن الأجنة التي تولد ممسوخة، إما أن تولد ميتة، وإما أن تعيش بضعة أيام ثم تموت، فلا ينشـــأ لـــه نســـل كمـــا يقـــول ســـيدنا عمـــر (رضي الله عنه) " لم يقصر جنين في بطن حمقاء تسعة أشهر إلا خرج عائقاً".[4]

بينما كان يعتقد منذ آلاف السنين أن " الظواهر الفلكية تؤثر علـــى نمـــو الجنـــين وتكوين أعضائه، فلقد اعتقد علماء الفلك 2800 سنة قبل الميلاد في ارتبـــاط تشـــوهات الأجنة بحركات أو أوضاع المجرات، وفي القرن السادس عشر تصادف ولادة أطفـــال مشوهين بعد خسوف الشمس، ولذلك اعتقد الناس أن خسوف الشمس يعتبر من الأسباب التي تؤدي إلى حدوث تشوهات المواليد" [5].

---

[1] البلدي ، المصدر السابق، ص 134.

[2] ابن سينا ، المصدر السابق، 151/1 -152.

[3] كريم الأغر ، المرجع السابق، ص 569.

[4] العقاد، عباس محمود، عبقرية عمر، دار الهلال، القاهرة، 1969م، ص 210.

[5] الدنشاري، عز الدين سعيد، أمراض وتشوهات المواليد الأسباب والتشخيص والعلاج، دار المريخ، الرياض، 1995م، ص 91.

ويعزى ابن سينا أسباب التغيرات والتشوهات في أعضاء الإنسان إلى التغيــرات الحاصلة في مني الرجل ، فيقول أن مني السكران والشيخ والصبي والكثير الجمــاع لا يولد ، مني مؤوف الاعضاء قلما يولد سليم " [1].

كما يذكر مفسدات الشكل " بأن أسباب وقعت في الخلقة الأولــى فكثــرت القــوة المصورة أو المغيرة التي في المني بسببها عند تتميم فعلها وأسباب تقع عند الانفصـــال من الرحم، وأسباب تقع عند قمط الطفل وإمساكه، وأسباب بادية تقع مع خارج تســقطه أو ضربه وأسباب تتعلق بالمبادرة إلى الحركة قبل تصلب الأعضاء ، وأسباب مرضــية كالجذام والسل والتشنج والاسترخاء والتمدد، وقد يقع بسبب السمن المفرط وقد يكــون بسبب الهزال المفرط، وقد يكون بسبب الأورام وقد يكون بسبب أمراض الوضع، وقــد يكون بسبب سوء اندمال القروح " . [2]

ومن بين التشوهات التي ذكرت في المؤلفات العربية

1- كبر الرأس وصغره في الأطفال:-

كلمة Hydrocephalus أو استسقاء الرأس"تعني المخ المائي ويحتوي التشوه أساساً على زيادة في سائل المخ الشوكي الذي يشبه الماء ويدور وسط وحول المخ، ويحتــوي هذا السائل على الصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم والبروتينات ومواد كيميائية أخرى"[3]

فيقول الرازي " يلد بعض الأطفال برأس كبير وبعد الولادة يكبر أكثر بشكل غير طبيعي وقد شاهدت طفلاً كبير الرأس من ناحية الطول والسعة لدرجــة أن كــان مــن الصعوبة على جسمه حمل رأسه، ولم يتوقف تضخم رأسه حتى توفي الطفل، إن مثــل هذا الانتفاخ في الرأس يحدث إما من انتفاخ ينتشر في عظام الرأس أو من تجمع مــاء محصور داخل الرأس لا يجد له منفذاً للخروج".[4]

---

[1] ابن سينا ، المصدر السابق ، 536/2 .

[2] المصدر نفسه ، 105/1.

[3] أبجار، فيرجينيا ، وجوان بيك، التشوهات الخلقية الولادية، ترجمة عمر محمد المصراتي، منشورات جامعــة عمــر المختــار، البيضاء ، 2001، ص 466.

[4] الرازي ، المصدر السابق ، ص 49.

بينما يقول عريب في ذلك " وقد يعرض للصبي الرؤاس وهي ريح غليظة تحتقن في حجاب الرأس وعظامه فلا يجد مسلكاً تخرج منه وذلك ينفع فيه التدبير ويقبل العلاج،وأما صغر الرأس خلقة وتركيب الأدوية له" [1].

ومن حالات التشوهات الأخرى في الولادة التي جاء ذكرها " فمن ذلك توأمان ولدا ملتصقين بطونهما ووجوههما بعضهما إلى البعض، وصبي ولد برأسين".[2]

أما الحالة الأخرى فهي " ومنها ما روي عن الشافعي (رضي الله عنه) قال دخلت بلدة من بلاد اليمن فرأيت فيها إنساناً من وسطه إلى أسفله بدن إمرأة ومن وسطه إلى فوقه بدنان مفترقان بأربع أيدي ورأسين ووجهين وهما متقابلان ويأكلان ويشربان ويغضبان ويصطحبهما ، ثم غبت عنهما سنين ورجعت فقيل له أحسن الله عزائك في أحد الجسدين فتوفي وربط من أسفله بحبل وشد وترك حتى ذبل ثم قطع، فهدي بالجسد الآخر في السوق ذاهباً وجائياً".[3]

2- الصرع :-

يخبرنا الرازي بأنه نوعين، نوع خلقي ونوع عرضي " الصرع يحدث في طريقتين ، إما أن يولد الطفل مصاباً به بسبب رطوبة وعفونة باردة في المزاج الطبيعي للدماغ، أو أن يكون عرضياً لهؤلاء الأطفال، وعلامة كونه طبيعياً أن الطفل يولد مصاباً به، وعلامة كونه عرضياً حدوثه بعد الولادة، وشفاء النوع الأول الولادي هو ملاحظة الغذاء لأن الطفل حينما يتجاوز هذه المرحلة يشفى منه ولكن إذا لم يتحسن فإن هذا البلاء يؤدي بالطفل للوفاة " [4].

3- الحول :-

كما وردت بعض التشوهات التي تصيب العين، فقد يولد بعض الأطفال وفي عيونهم حولاً " وقد يعرض لبعض الصبيان حول زوال الحدقةُ إما في بطون أمهاتهم وإما بعد ولادتهم، ويحتاج ذلك في العلاج أن يسوى موضع رأس الصبي في المهد ويجعل بإزائه من الليل سراج مضيء فإن كان الحول مما يلي الجانب الأيمن يحول

---

(1) عريب القرطبي، المصدر السابق، ص 120.

(2) المصدر نفسه ص 34.

(3) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، نشر المكتبة الإسلامية (د ، ت) ، ص 389.

(4) الرازي، المصدر السابق ، ص 49.

السراج إلى الجانب الأيسر وأن كان الحول من الجانب الأيسر وضع السراج في الجانب الأيمن، وتؤخذ خرقة حمراء فتربط في أذن الصبي إذا زاغت الحدقة عن جانبها إلى الجانب الثاني ليقع نظر الصبي عليها " [1].

4- انسداد الأذن:-

ولانسداد الاذن أسباب مختلفة منها " وجود لحم نابت في الأذن ، أو قرحة التحمت ، أو نتيجة لجرح أصابها، أو أوساخ اجتمعت فيها، وقد يولد الطفل وأذنه غير مثقوبة ويكون الانسداد إما ظاهراً للحس وإما خفياً عنه " [2].

ويصف الزهراوي علاجاً لذلك قالاً " أن الأنسداد إذا كان في عمق الاذن ولا يدركة النظر فعلاجه عسر جداً ، أما إذا كان ظاهراً ويدركه النصر فيجب أن يفتح بمبضع لطيف " [3]

كما ذكر خبر صبي متفاوت الخلق ظهر في قرطبة "كان مولده في ذي الحجة سنة خمس وخمسين وثلاث مئة، خالف في خلقه وتركيبه وصورته الحد المتفاوت من ضعف الولدان إلى الشدة والقوة فأرسل فيه فأحضر إلى قرطبة في آخر ذي القعدة ، لتقع عليه العين ... وكان اسم الغلام عمر بن أراقي بن خلف، فأخبرني أن أمه أتت به لتسعة أشهر آخرها ذو الحجة المؤرخ من العام المؤرخ لثمان خلون منه، فخرج من بطنها مختوناً مترهل الجلد فنشأ بمدة نشأً حسناً ونما لحمه وعظمه وعظم خلقه بسرعة ومشى على قدميه إلى سنة، وتكلم كلاماً ضعيفاً مطروف اللسان، أكله أكل غلام، ورأيته فكان طوله ستة أشبار إلى اثنين وعشرين شهراً من ولادته ، وأثغر في عقب العام المؤرخ إلى أربعة أعوام وعشرة أشهر من ولادته، وله أخ أكبر منه في السن ودونه في الخلق" [4].

---

(1) عريب القرطبي، المصدر السابق، ص 136.

(2) ابن القف ، أمين الدولة ابو الفرج بن موفق الدين يعقوب ، كتاب العمدة في الجراحة ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن ، 1356هـ ، 2/ 192

(3) الزهراوي ، المصدر السابق ، ورقة 84 .

(4) القرطبي، ابن حيان، المقتبس في أخبار بلاد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، د، ت، ص 62-63.

5- شقاق الشفة :

أما عن شقاق الشفة " ويكون ذلك من كيموس حريف فينبغي أن يؤخذ لـــه شـــمع أبيض ودهن البنفسج أو دهن ورد فيدفى على نار لينة ويطلى به، فإن أحتيج إلى ما هو أقوى منه أخذ الشمع ودهن ورد حقيقي، فإن أردت أخف من ذلك فأخلط مـــع الشـــمع ودهن الورد شيء من مرد اسنج وزعفران يسير وقد نجد الشفة يوجـــد فيهـــا بعـــض التضخم الذي عرف عن العرب باسم البرطمة وتعني الشفة الضخمة وتكون على ثلاثة أنواع :-

1- الضخامة الخلقية الناشئة من تمدد في المسافات اللمفاوية وتضخم في النسيج الضام وأكثرها ما شاهد في الشفة السفلى.

2- الضخامة المكتسبة الخنازيرية شاهد في الأطفال المصابين بنية خنازيرية في إحدى الشفتين وتنشأ من التهاب لمفاوي مزمن.

3- الضخامة المكتسبة الزهرية وشاهد في أحوال الزهري الثلاثي وعلى ذلك يمكن أن يقال للنوع الأول البرطمة الخلقية وللنوع الثاني البرطمة الخنازيريـــة وللنـــوع الثالـــث البرطمة الزهرية " [1].

ويمكن علاج شقاق الشفة بالكي أو بتعديلها جراحياً وذلك " قشر الوسط وأكشر الجلد في الجانبين واقطع اللحم الذي في الوسط الذي عنه كشطنا ما قد صلب منه وارم به ثم خط الجلد من غير أن يكون يتخلص منه شيء ويلحمه فيكون العضو يرجع إلى طولـــه لذهاب ذلك المقلص من وسط الجلد " [2] .

6- الخنثـــــــى

أما عن الخُنثى فهي حالة مرضية " تتميز بوجود الأعضاء الجنســـية الداخليـــة أو الخارجية للذكر والأنثى في شخص واحد ، فقد يكون لهذا الشخص عضو الذكر ومهبل المرأة ومبيض واحد، وخصية واحدة ، وقد يكون الشخص عقيماً أو غير عقيم ، وقـــد يكون عضو الذكر في الشخص البالغ مثل حجمه في الطفل ، والخنث من الاضطرابات التي تنتقل وراثياً حيث تنجم عند شذوذ في الكروموزمات " وقد علل ذلك الطب الحديث

---

(1) عبد الحميد، محمد، اللغة العربية والطب، مجلة المقتطف، المجلد 236، نوفمبر 1917، ص 548.

(2) محمود الحاج قاسم محمد ، تاريخ طب الأطفال، ص 132.

بإن تكون الكروموزومات الجنسية في الرجل كروموزومات تحمل صفة xx بدلاً من صفة الكروموزومات الجنسية الذكرية وهي Yx " [1].

كذلك وصفوا الخنثى بأنها علة قبيحة يولد بها المصاب ، ويرى ابن القف " أن هناك أربعة أنواع، ثلاثة خاصة بالرجال وواحد خاص بالنساء ... ويصف ابن القف الأنواع الأربعة، فيوضح أولاً الثلاثة أنواع الخاصة بالرجال، فيقول: (وأحد الثلاثة)! شيء يظهر فوق العانة يشبه الرحم عليه شعر ليس هو بنات، وثانيهما: أن يكون كذلك (مثل الأول) وموضعه بين الخصيتين، وثالثهما: أن يكون بين الخصيتين أيضاً غير أنه قد يكون نافذاً أو يخرج منه البول أما النوع الرابع والخاص بالنساء، فهو "أن يكون فوق الفرج في وسط العانة وصورته ثلاثة أجسام ناتئة واحد في الوسط طويل شبيه بالقضيب وإثنان شبيهان بالخصيتين ... ويرى (ابن القف) معالجة الأنواع الأربعة السالفة الذكر بالتدخل الجراحي، بحيث تقطع حتى يخفي أثرها ما عدا النوع الذي يخرج منه البول، فإنه لا يمكن معالجته " [2].

بينما يذكر ابن سينا في ذلك " ممن هو خنثى من لا عضو الرجال له،ولا عضو النساء ومنهم من له كلاهما، لكن أحدهما مخفي وأضعف والآخر بالخلاف،ويبول من أحدهما دون الآخر ومن كلاهما فيه سواء...وكثيراًما يعالجون بقطع العضوالمخفي" [3].

أي يتم ذلك عن طريق عملية جراحية وهي نفس الطريقة المستخدمة في الطب الحديث والتي تعرف بعملية تصحيح الجنس أي لا يتم علاج الحالة إلى بتدخل جراحي.

بينما كان الاعتقاد السائد لدى الشعوب القديمة بأن المرأة إذا أنجبت طفلاً مشوهاً فإن الشيطان قد مسها لذلك فالطفل المشوه كان يعدم بعد ولادته " وفي العصر اليوناني كان الاعتقاد السائد بين الناس أو ولادة طفل مخنث تعتبر إشارة إلى أن الشيطان قد جاء إليهم على صورة هذا المولود ، ولذلك فإنهم كانوا يعدمونه حتى يتخلصوا من وجود الشيطان معهم" [4].

---

[1] الدنشاري، المرجع السابق، ص 74.

[2] ابن القف ، المصدر السابق ، 2/ 215 .

[3] ابن سينا، المصدر السابق، 549/2.

[4] الدنشاري، المرجع السابق، ص 50.

7- خروج المقعدة :

أما عن خروج المقعدة ففيها " أربع عضل تضبط الشرج وتنفي مـــا تتلــوث بـــه المقعدة من البراز في المعي المستقيم لئلا يخرج من غير إرادة الإنسان فإن اســـترخت المقعدة وخرجت فينفع ذلك أن يؤخذ ودع محرق وقرن إيل محـــرق وقشـــور الكنـــدر وإقليمياً الفضة ومرداسنج من كل واحد جزء وتمسح المقعدة في وقت خروجها بـــدهن ورد وتكبس بهذا الدواء بعد أن تستحق وتنفل بجريدة " [1].

ويعلل البلدي خروج المقعدة في الصبيان تعليلاً صحيحاً فيقــول " قــد يعــرض خروج المقعدة ونتوئها في الصبيان كثيراً وإنما يكون ذلك لاسترخائها وضعف العضـــل الماسك لها ... وقد يكون هذا في غير الصبيان أما الورم يكون في المقعـــدة أو لغلـــط صار يلذعها ويهيجها إلى الخروج، فأما ما يعرض للصبيان فإنما يكون لضعفها وكثرة رطوبتها " [2].

وعلاج التشوهات الخلقية إذا لم يتوفى الطفل فإنه يلجأ للجراحة من أجل التخلص مما يعانيه من تشوهات، وهناك من يختار أن يبقى بما هو عليه .

---

[1] الكشكري، يعقوب، الكناشي في الطب، تحقيق علي بشري، مؤسسة عزا لدين للطباعة، بيروت، 1994م ص 470.

[2] البلدي، المصدر السابق، ص 157 .

المبحث الثاني الأمراض المكتسبة

ونظراً لكثرة الأمراض التي تصيب الأطفال في سنهم المبكرة فإن أطباء العرب والمسلمين أعطوا كل وقتهم لتشخيصها وإيجاد العلاج المفيد لها ، وقد سلكوا الأسلوب العلمي الصحيح في تصنيف هذه الأمراض ، فقاموا بتسجيل ما توصلوا إليه في كتبهم حتى يتسنى للقارئ الاطلاع عليها وتفهم ما جاء فيها فكان من بين الأمراض التي ذكرت في مؤلفاتهم الأمراض المكتسبة وهى التي يصاب بها الأطفال بعد ولادتهم.

1- بكاء الأطفال: -

فالطفل لا يستطيع التعبير عما به من مرض إلا عن طريق البكاء لذلك " إذا بكى الطفل دائما فهو لأحد أربعة أسباب ، إما لوجع في بعض أعضائه أو لاحتباس اللبن في معدته أو لشيء يؤذيه في مضجعه أو لقلة الغذاء وجوعه " [1]

كما يقول المجوسى عن أسباب البكاء عند الأطفال " وقد ينبغي أن تتفقد الطفل إذ هو بكى ويبحث عما يؤذيه بالحدس والتخمين ممن قد ارتاض في تربية الأطفال فإن الطفل لا يبكى إلا لشيء يؤذيه إذا كان ليس به استطاعه للشكوى ، والأذى ينال الطفل إما من خارج و إما من داخل ، إما من خارج فبسبب الحر و البرد أو الذباب أو البق و ما شابه ذلك فينبغي أن يزال عنه ذلك السبب و إما من داخل فبسبب الجوع و العطش واحتباس البول و البراز أو بسبب وجع في الأعضاء ، أما الجوع والعطش فينبغي أن يتعود بالغذاء و اللبن وبإسقائه الماء ، وأما احتباس البول فينبغي ان يسقى لبن بذر البطيخ مع الجلاب ... ويطلى على عانته بالماء".[2]

ويتحدث الطبري عن هذا الموضوع فيقول " إذا بكى الطفل دائما فهو لأحد أربعة أسباب ، إما لوجع في بعض أعضائه أو لاحتباس اللبن في معدته أو لشيء يؤذيه في مضجعه أو لقلة الغذاء وجوعه".[3]

فأكد ابن الجزار ذلك بقوله " فإن بكى الصبي بكاءً دائماً، فينبغي أن يحمل ويمشى به ويرد في المكان برفق ، وقد يشتاقون إلى البرودة إذا بلغت منهم الحرارة ، وقد

---

(1) الطبري ، احمد بن محمد ، المعالجات البقراطية ، مخطوط بدار الكتب ، القاهرة ، تحت رقم طب ص 23.

(2) المجوسي ، ابو الحسن على بن عباس ، كامل الصناعة الطبية ، مطبعه بولاق ، القاهرة ، 1294 هـ ، 53/1.

(3) الطبري ، المعالجات البقراطية ، ص 43.

يشتاقون إلى الحرارة إذا بلغت منهم البرودة ، وقد يضجرون من كثرة الدثار والبسط واللحف، التي تلقى عليهم أو من سؤ ما تحتهم من الفرش ، فينظر في ذلك ما سبب ذلك منهم فيعنى بإصلاحه على حسب ما يوافقهم".[1]

2 التشنج :

يخبرنا ابن سينا بأنه قد يحدث بسبب البكاء أو الحمى أو الإسهال الشديد " الصرع تشنج البدن كله ومنه يعرض للصبيان لرطوبتهم وكثرة بكائهم يشجنون أيضا في حمايتهم وإن كانت حمياتهم خفيفة...أما من جاوز سبع سنين فلا يشنج إلا لحمى صعبة جداً من التشنج ما يعرض للخوف، وأما التشنج اليابس فمنه ما يكون عقب الدواء المسهل وهو رديء جداً وكذلك عقب كل استفراغ ومنه ما يكون عقب الحميات المحرقة " .[2]

3- السعفة :

هي مرض جلدي يصيب فروة الرأس ويكثر بين الأطفال وخير من تكلم عنه هو المجوسي " وأما السعفة فهي قروح تعرض في الرأس لها خشكريشة".[3]

ويقول الرازي في ذلك " تظهر السعفة في الأطفال في الوجه والرأس ، تتولد نتيجة الدم والرطوبة في الجلد ، علامته إصابة صغيرة ينضح منها ماء ، تنتشر في الوجه والرأس ، ويصحب ذلك حكة وصراخ وسهر مما يدفع إلى تمزيق جلده ".[4]

4- نفث الدم:-

تحدث الطبري عن هذا المرض واستطاع أن يفرق بين أنواعه فعرف ما يخرج من الرئة وما يخرج من الأنف فيقول في ذلك " متى نفث الطفل الدم...فهو على وجهين إما دم ينزل من رأسه ...أو رئته فإن كل مما ينفث من الصدر لا يخفى على الطبيب الماهر ذلك لأنه يخرج بالسعال والتنحنح وإن كان مما ينزل من الرأس فعلامته أن يخرج من منخاره...وجميعاً يعتل الطفل لضعفه وضعف قوته عن احتمال ذلك " [5]

---

(1) ابن الجزار، المصدر السابق ، ص65.

(2) ابن سينا ، المصدر السابق ، 2/95-96.

(3) المجوسي ، المصدر السابق ، 1/314.

(4) الرازي ، المصدر السابق ، ص68.

(5) الطبري ، المعالجات البقراطية ، ص49.

5- القيء :

فيذكر البلدي " القيء الذي ذكره أبقراط أنه يعرض الأطفال فيما بين الولادة ونبات الأسنان وإنما يعرض ذلك ، إما لكثرة ما يتناولونه من اللبن ...وإما لرداءة اللبن وفساده في نفسه وإما لضعف معدتهم ، وان كان هذا سبب القيء في الصبيان فينبغي أن يقلل رضاعهم ويؤخر عن أوقاته...وتصلح ألبانهم وأغذيتهم وتقوى معدهم ويدام حميتهم بالماء الحار عند خلو معدهم من اللبن".[1]

6- القلاع :

فقد يحدث للأطفال بعض التقرحات في الفم أو الأسنان وهي ما يعرف عند الأطباء العرب باسم القلاع " وقد يعرض للصبيان بالدرجة الأولي، من أسنانهم قرح في الفم يسمي القلاع، وإنما يعرض لهم لأن اللبن يخرج ويلدغ اللسان، لان فيه رطوبة نابية حارة ليست باليسيرة واللثات من الطفل لا تحتمل ملاقاة اللبن لها فيحدث فيها قرح لغاية ما بينا " [2].

7- الخرخرة :

وهو التهاب يصيب الحنجرة أطلق عليه الطبري اسم الخرخرة . " مما يحدث في حلوق الأطفال الخرخرة والسبب في ذلك سببان إما ترطب الرئة بأكثر مما يجب ولا يكون ذلك متساوي الأجزاء فيقع التنفس فيما بين تلك الأجزاء فتقع الخرخرة".[3]

8- الربو:-

" فأما الربو العارض للأطفال فهو نفس متتابع شديد وجوجوة في صدورهم وفي حلوقهم عند التنفس وبلة عظيمة تكون في آلات الرئة وأنابيبها " . [4]

---

[1] البلدي ، المصدر السابق ، ص149.

[2] ابن الجزار, سياسة الصبيان , ص 108.

[3] الطبري ، المعالجات البقراطية ، ص27.

[4] عُريب ، القرطبي ، المصدر السابق ، ص75.

9- السـل :

وهو مرض معدي خطير يصيب ضحيته لمدة طويلة ويستغرق علاجه فترة زمنية طويلة قد تصل إلى عدة شهور أو سنين وأسبابه " بكتيريا عضـوية تسـمى عصـيات الدرن الرئوي " [1]

وعلاماته " السعال، الذي كثيراً ما يستبد بهم ويؤدي إلى نفـث الـدم أو السـرة، وحمى رقيقة لازمة تشتد عند الليل. ويفيض العرق منهم كل وقت، ويأخذ البـدن فـي الذبول والأطراف في الإنحناء والشعر في الانتشار وتبطل الشـهوة للطعـام ... اقبـل الأسنان لعلاج السل هم الصبيان " . [2]

10- الكـزاز :

هو أحد الأمراض التي تصيب الأطفال وسببه " بكتيريا عصوية لا هوائية تفـرز سموماً خارجية تسبب حدوث الأعراض " [3] .

ويصيب هذا المرض الأطفال عند تلوث جروحهم خاصة " عند تلوث مكان قطـع الحبل السري في الوليد بآلة ملوثة بجراثيم المرض " .[4]

كما يحدث هذا المرض " في أفواه الصبيان علة تعـرف بالاصـتكاك وهـو أن تصطك أسنانه ويبرز عيناه في سائر بدنه, شبيه بالاختلاج ولم أر طفلا حديث به هـذه العلة نجا منها ذلك هو الكزاز ولا يكاد يحدث هذا بالطفل إلا إذا كانت به جراحة خفيفة أو ظاهرة " . [5]

أما عن أعراضه كما ذكرها ابن سينا " أما علامات الكزاز ... فأن يكون الشخص كالمخنوق مختنق الوجه والعين وربما قيل إنه يضحك مع امـتلاء العنـق لا يسـتطيع الالتفات وربما لم يقدر أن يبول .. وربما بال بلا أرادة ...".[6]

---

[1] شلبي ، صافي ناز السعيد ، أمراض الطفل وتمريضه ، دار الفكر للطباعة ، الأدرن ، 2003 م ، ص 38.

[2] ابن سيناء المصدر السابق، 249/2.

[3] شلبي المرجع السابق ، ص102 .

[4] المرجع نفسه .

[5] الطبري، المعالجات البقراطية، ص 13.

[6] ابن سينا المصدر السابق، 102/2.

11- الطحال :

إن ما ذكره العرب قديماً لا يختلف كثيراً عما يعرف اليوم من أسباب تضخم الطحال "هزال الطحال يدل على جودة الأخلاط وسمنة على رداءة الأخلاط وقد تؤول أمراض الطحال إلى حميات مختلطة كما أنها قد تتولد عن تلك الأمراض قد يتولد كثيراً من الغب الغير الخالصة ومن الحميات الوباء والحميات المختلطة وأكثر أمراض الطحال خريفية ".[1]

12- الديدان :

لقد وصف الأطباء العرب الديدان وأعراضها وصفاً دقيقاً " فقالوا أنها كثيراً ما تتولد في الأطفال والصبيان وهي تهيج عند المساء ووقت النوم أكثر، ومن أعراضها الجوع والخفقان الشديد والغثيان والمغص والإسهال وانتفاخ البطن، وإذا اشتدت العلة والوجع سخطوا أو تشنجوا والتووا كأنهم مصرعون دون فقد عقولهم وربما تأذت الرئة والقلب بمجاورتها فحدث سعال يابس وخفقان في البطن، ويعرض لبعضهم يرقان . ومن علاماتها سيلان اللعاب، أما الصغار فيدل عليها حكة المقعدة ولزوم الدغدغة عندها ويعرض صراخ وتململ".[2]

13- الإسهال :

فقد عددوا أسبابه منها ظهور الأسنان أو البرد أو تعفن الحليب "هو إذا كان لون براز الطفل ليموني ذو رائحة حادة ويخرج بدون توقف ، علامة البرد والبلغم هو كون البراز ابيض ويخرج متقطع ، وإذا كان البلغم لزجاً فالخروج يأتي سريعاً " [3]

14- التهاب الورك والشري:

قد تحدث للأطفال بعض الالتهابات في منطقة الورك وهي " في تعفن أصول أفخاذهم حتى ربما يعفن ... وأكثر ما يحدث ذلك من كثرة ترطيبه بالبول وتغافل المرضعة عنه، وتقميطه وهو رطب، معالجته بان ... يسمح كلما يرطب وتذر عليه

---

(1) ابن سينا ، المصدر السابق ، 410/2 .

(2) محمود الحاج قاسم ، تاريخ طب الأطفال عند العرب ، ص 110.

(3) محمود الحاج قاسم ، الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات، ص 258.

ورق الآس المسحوق والمنخول مع الورد المسحوق فانه .. بذلك لا يحدث فيه التعفن".[1]

أما عن الشري ... " فأما الشري فهو بثر بعضه صغار وبعضه كبار مبسوطة عراض الرأس ، تتبدئ بحكة شديدة ... ويكون لونه احمر، فيهيج أكثر ذلك في النهار، ويصيب العليل معه حرارة ووهج، ويكون نبض صاحبه عظيما، فيه سرعة ... ومنه ما يكون ابيض وأكثر ما يهيج بالليل ومنه ما يكون ليس بالشديد الحمرة".[2]

ويقول ابن سينا ... " الشري بثور صغار مسطحة كالنفاخات إلى الحمرة وفي أكثر الأمر تشتد ليلاً ويشتد كربها وغمها " [3]

15- الاسترخاء :

هو عبارة عن طرف يصيب العضلات مما يجعلها تسترخي " فينظر فيه فإن كان ذلك وراثة مثل أن أبيه وأمه استرخاء فلا حيلة فيه وإن لم يكن بهما ذلك فلا شك من الأغذية الرديئة التي تتغذى بها رضعة الطفل ومن فضول مجتمعة في بدنهارطوبية" .[4]

ويقول الرازي عن..."إذا وقع الاسترخاء بعقب مرض فاقصد اسخان تلك المواضع التي هي منابت تلك الأعصاب فإن فيها إخلاطاً باردة " . [5]

16- شلل الأطفال:-

تحدث الرازي عن هذا المرض ووصف حال الطفل عندما يصاب به " يحدث الشلل في الأطفال إما في طرف واحد أو في الجسم كله ويمنع الطفل من المشي أو أي نوع من الحركة ويحدث من سبب رطوبة لطيفة تشل العصب علاج ذلك إذا لم تكن من الولادة ... أن يوضع في حمام وان تدهم مفاصل الطفل بالدهان واستعمل يومياً المعالجين".[6]

---

[1] الطبري، المعالجات البقراطية، ص 52.
[2] المجوسي ، المصدر السابق 312/1.
[3] ا بن سينا ، 280/3.
[4] الطبري ، المعالجات البقراطية ، ص14.
[5] الرازي ، المصدر السابق ، ص 7.
[6] المصدر السابق ، ص 7

17- داء الفيل :

وهو زيادة في القدم وسائر الرجل على نحو ما يعرض في عروض الدوالي فيغلظ القدم ... أما داء الفيل فخبيث قلما يبرأ ، ويجب أن يترك بحاله إن لم يؤذ فإن أدى إلى تقرح وخيفت الأكلة لم يكن إلا القطع من الأصل".[1]

18- الجدري والحصبة :

أول من فرق بينهما بعد الطبيب العربي ثابت بن قرة الحراني هو الطبيب العربي أبو بكر الرازي حيث وضع وصفاً دقيقاً لهذين المرضين مبنياً على التجارب العديدة حيث وضع لهما التشخيص التفريقي، لأن الكثيرين كان يعتقدونه مرض واحد ، وقد جاء ذلك في كتابه الجدري و الحصبة الذي ترجم إلى عدة لغات وطبع مرات عديدة وقد كانت مقدمة هذا الكتاب تتضمن السبب المباشر الذي دعى الرازي لتأليف هذا الكتاب وقد خصص الفصل الأول منه عن أسباب الجدري وشدة انتشاره، كما أوضح في الفصل الثالث من هذه المقالة الأعراض التي تظهر عند الإصابة بالجدري والحصبة ، وكان هذا العنوان (في العلامات الدالة على ثوران الجدري والحصبة) .

" فإن تولدهما يكون من قبل فساد الدم وتعفنه يعالج بالأدوية الحارة الرطبة لكيما يذوب الكيموس الفاسد ويخرج ويظهر من خارج البدن، وتحذر الأدوية الباردة لأنهما تحبس الداء داخل البدن وتجمده، والأدوية التي تخرج الجدري والحصبة بسرعة من غير خفقان ولا اضطراب مثل الماء الرازيانج وماء الكرافس المنزوعين الرغوة وبورد مربى أو سكر طبرزد وسيقون هذا الدواء في الابتداء فإنه يظهر الجدري والحصبة إلى الجلد بسهولة " [2].

والدليل على أن المرضين ليس بواحد أن الرازي يصف أعراض كل واحد على حدة فيقول " غير أن القلق والفشي والكرب في الحصبة أكثر منه في الجدري, ووجع الظهر أمضي هذه بالجدري ... غير أنه لا تكون في الحصبة من وجع الظهر ما يكون مع الجدري ولا في الجدري من الكرب والفشى ما يكون مع الحصبة " [3].

---

(1) ابن سينا ، المصدر السابق ، 116/2.

(2) ابن الجزار, زاد المسافر وقوت العاذر, 626/2 .

(3) الرازي، المصدر السابق، ص 20 .

أما عن الأوقات التي يظهر فيها المرض " وأما الأوقات التي يعتاد فيها الجدري ويكثر فأنا ذاكرها إن شاء الله تعالى, فأواخر الخريف وابتداء الربيع وإذا كان في الصيف أمطار متواترة وهبت جنائب (رياح جنوبية), كثيرة متتابعة, وإذا كان الريح دفيناً جنوبياً وأما إذا كان الصيف قوي الحرارة واللبس وكان الخريف حاراً يابساً, وأبطأ المطر جداً فإن الحصبة تسرع إلى المستعيدين لها ".[1]

19- البهــق :

وهو أحد الأمراض الجلدية ويقسمه الأطباء العرب إلى " ثلاثة أصناف أغبر وأسود وأبيض ، والأغبر إما أن تكون معه حكة وتعلوه نخالة كنخالة الحنطة، وإما أن يكون مستوياً مع سطح الجلد، والأسود إما أن يكون ابتداؤه من تلقاء نفسه إما أن يكون قد انتقل من الصنف الأغبر، والأبيض إما أن يكون عن بلغم غليظ مالح وإما أن يكون عن بلغم غليظ لزج غير مالح، وسبب أصناف البهق والبرص على الجملة ضعف القوة الهاضمة إما عن قلة المادة أو رداءتها أو فساد مزاج " [2].

"إن البهقين في الجلد، وان كان غور فقليل جداً والبرص نافذ في الجلد واللحم وإلى العظم " [3].

20-البــرص :

ويسمي بذلك بوضوحه وبياضه ... "وهو عسير البرء وسبب كونه ضعف القوة الهاضمة، والفرق بين البرص الذي يمكن برءه والذي لا يبرأ أن تعمد إلى إبرة فتغرزها في موضع البرص ثم تخرجها فإن خرج منه دم جوهري احمر نقي فهو الذي يرجي له البرء إذا عولج، وأما إن خرج منه دم بلغمائي ابيض رقيق فاعلم أن العلة قد لصقت في العظم ورسخت فيه، فهذا يتعذر برءه".[4]

---

[1] الرازي ، المصدر السابق ، ص 18.

[2] ابن زهر، أبو مروان عبد المالك الأندلسي الاشبيلي، التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق مشيل خوري، مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة، دمشق، 1983م، 341/1, ص 52 .

[3] ابن سينا ، المصدر السابق ، 281/3 .

[4] ابن زهر ، المصدر السابق ، 341/1.

" وإذا دلك موضع البرص دلكا جيداً بخرقة خشنة فاحمر سريعاً دل ذلك على أن العلة حديثة وان علاجها هين، وان لم يحمر الموضع البتة دل ذلك على أنه تقادم ولـــم يعد يقبل العلاج، وموضع البرص عديم الإحساس بوخز الإبرة ".[1]

وقد يحدث بالطفل برص في وقت الرضاع ولا يكون مولوداً معـــه فينظـــر إلـــى الأبوين والجدين وان لم يكن بهم ذلك ولا شيء منه، طمع فـــي برئـــه وأصـــلح لـــبن المرضعة وأحميت المرضعة من الأطعمة الغليظة ... فانه ربما هلك، وأمـــا إذا كبـــر الطفل فلا طمع في برئه وقد حدث به في حال الطفولة ".[2]

وعلاج هذه الأمراض يعطي للطفل عن طريق الفم أو عن طريق الأم لأن الأطباء العرب كانوا على علم بأن الدواء ينتقل إلى الطفل عن طريق حليب أمه لذلك يقول ابن سينا لمنع الرضاعة عن الأم إذا كانت تأخذ دواء حار " وكذلك إذا أحوجت الضـــرورة سقيها دواء له قوة وكيفية غالبة ".[3] أو عن طريق فتحة الشرج " وهي استعمال الشرج لإعطاء الأدوية. وهذه احدي الطرق التي نستعملها اليوم ومن خلالهـــا يقـــوم القولـــون بامتصاص بعض الأدوية. وهي طريقة سليمة وتستعمل عند عـــدم اســـتطاعة الطبيـــب إدخال الأدوية عن طريق الفم".[4]

كما لوحظ على الأطباء العرب استعمال"الأوزان الصغيرة جداولاشك بان استعمال مثل هذه الأوزان الصغيرة دليل على حرصهم ودقتهم في وصف العلاجات للأطفال".[5]

كما روعي عندهم بأن تكون علاجات الأطفال عذبة الطعـــم حتـــى لا يرفضـــون أخذها " فإذا أردن علاجهم من السعال العارض لهم فينبغي ألا تقاربهم الأدوية القويـــة جداً، لان أبدانهم لا تقوى على ذلك لضعف في قوتها ورخاوة لحمها، ولكن ينبغي لنا أن نعالجهم بالأدوية التي تشبه الأغذية وتكون عذبة الطعم لئلا يكرهها الصبي قبل منفعتـــه بها".[6]

---

(1) الخطابي، محمد العربي، الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، دار القرب الإسلامي، بيروت، 1988م، 202/1.

(2) الطبري، المعالجات البقراطية ، ص 53.

(3) ابن سينا ، المصدر السابق ، 1 / 151

(4) خالد عزب، المرجع السابق ، ص 2

(5) محمود الحاج قاسم ، تاريخ طب الأطفال عند العرب، ص 146.

(6) ابن الجزار، سياسة الصبيان ، ص 111.

وقد قدم الأطباء العرب بعض النصائح من أجل تفادى هـذه الأمـراض، فمنهـا التأكيد على استخدام الرضاعة الطبيعية لأن " التجارب الحديثة أثبتت ضرورة أعطـاء حليب الأم حتى في حالات الإسهال وذلك لأحتواء حليب الأم علـى بعـض عناصـر المناعة التي تزيد من مقاومة الطفل للأمراض ومنها الإسهال " [1].

وما جاء في القران الكريم خير دليل على ذلك قال تعالي "وَالْوَالِـدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ"[2].

فإذا حدث ما يعيق الأم عن إرضاع طفلها تختار إمرأة مناسبة لإرضاع هذا الطفل وهذا ما حدث للرسول (صلى الله عليه وسلم) عندما أرضعته حليمة السـعدية، ومـن الوسائل الأخرى التي عرفها الأطباء العرب للمحافظة على سلامة الطفل العناية بـه " تنويمة في بيت معتدل الهواء ليس ببارد ولا حار ويجب أن يكون البيت إلى الظل مائلاً لا يسطع فيه شعاع غالب ويجب أن يكون رأسه اعلي من سائر جسده ويحذر أن يلوي مرقده شيئا من عنقه وأطرافه وصلبه"[3].

" انه ينبغي أن نبتدئ من تدبيره عند خروجه، فيقطع من سرته أربعة أصـابع ... وتربط سرته وتفتل فتلاً رقيقاً وتوضع عليها خرقة قد غمست في زيت ... فإذا وقعـت سرته بعد ثلاثة أيام أو أربعة فينبغي أن تذر عليه رماد الودع المحرق ورماد عرقـوب عجل محرق أو رصاص محرق قد سحق بالشراب ثم يطلي على الموضع"[4].

كما اهتموا بتنظيف الطفل وغسله حتى يتجنب الأوساخ والأمراض ... " ويبـادر إلى تمليح بدنه بماء الملح الرقيق لتصلب بشرته ويقوي جلده وأصلح الأملاح ما خالطه شيء من ساذج وقسط وسماق وصعتر ولا يملح انفه، والسبب في أثارنا تصلب بدنه انه في أول الأمر يتأذي من كل ملاق يستخشن ويستبرده، وذلك لرقة بشرته وحرارته فكل شيء عنده بارد وصلب وإن احتجنا أن نكرر تمليحه وذلـك إذا كـان كثيـر الوسـخ والرطوبة فعلنا ثم نغسله بماء فاتر"[5].

---

[1] محمود العاج قاسم، تاريخ طب الأطفال عند العرب، ص 91.
[2] سورة البقرة ، الآية 233.
[3] ابن سينا، المصدر السابق، 150/1.
[4] ابن الجزار، سياسة الصبيان، 2/ 60 – 61.
[5] ابن سيناء المصدر السابق ، 151/1.

وما قدمه أطباء العصر الحديث عن هذه الأمراض من معلومات ما هي إلا امتداد عما جاء في كتب الأطباء العرب إلى جانب ما توصلوا إليه بالتقنية الحديثــة جعلــتهم يصفون بعض الأمراض بشكل أدق.

المبحث الثالث علاج أمراض الأطفال بالجراحة

لقد كانت جراحة الأطفال من أهم المواضيع التي تفنن فيها الأطباء العرب خاصة أبو القاسم الزهراوي الذي لقب بأبو الجراحة حيث شرح العمليات الجراحية شرحاً دقيقاً فنجده قد وضع للأطفال آلات جراحية صغيرة خاصة بهم حيث يصف ذلك في كتابه عندما يتحدث عن تلك الآلات بأشكالها المختلفة فمثلاً عندما يصف المحاجم يقول " وعلى حسب الأمراض وسن مستعمليها فإن محاجم الصبيان والنحاف غير محاجم الرجال وثقال الأجسام " . [1]

وتجده أحيانا يشرح عملية جراحية يقوم بها للكبار والصغار على حدٍ سواء، كبط الخرجات، وقلع الأسنان، وعلاج اللحم النابت في الأنف والأذن وغير ذلك من الأمراض مثله مثل باقي الأطباء العرب الذين مارسوا الجراحة، ومما لا شك فيه أنهم عند إجراء العملية الجراحية كانوا يستخدمون مختلف الآلات التي كانت من ابتكارهم، فكان الطبيب يضع علامة على المكان المراد إجراء الجراحة عليه بالمداد، وهذا دليلاً على الدقة التي وصلوا إليها في إجراء العمليات، وما يذكره الزهراوي عند قيامه بإجراء العمليات الجراحية خير دليل على ذلك، فعلى سبيل المثال عندما يحدثنا عن استخدامه للمكواة النقطة " تستعمل في كي أوجاع الأذنين وتدار أثناء الكي حول الأذنين بعيداً بعض الشيء عن أصلها بعد وضع علامة بالمداد على الموضع المراد كيه " [2].

وهذا دليل على الدقة التي توصل إليها الأطباء العرب ثم يقوم بتخدير المريض وذلك عن طريق استخدام الإسفنج المخدر "وكانت توضع هذه الأسفنجة المخدرة في مزيج من الحشيش والأفيون و (الزؤان) و (ست الحسن) ثم تجفف في الشمس ولدي الاستعمال ترطب وتوضع على انف المريض " فتمتص الأنسجة المخاطية المواد المخدرة وينام المريض نوماً عميقاً يحرره من أوجاع العملية الجراحية".[3]

1- الماء المتجمع في رؤوس الصبيان:-

تستخدم المباضع في علاج هذا المرض فيصف الزهراوي ذلك " وهذه الرطوبة تجتمع بين الجلد والعظم وإما أن تجتمع تحت العظم على الصفاف والعمل في ذلك إن

---

(1) الزهراوي, المصدر السابق, الورقة 172.

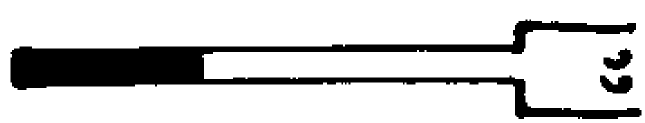
(2) المصدر نفسه، الورقة 17.

(3) زيغريد هونكة ، المرجع السابق ، ص 79.

كانت الرطوبة فيما بين الجلد والعظم وكان الورم صغيراً فينبغي أن يشق في وسط الرأس شقاً واحداً بالعرض ويكون طول الشق نحو عرضه حتى تسيل الرطوبة وإذا كانت الرطوبة أزيد والورم أعظم فاجعلها في شقين متقاطعين، وان كانت الرطوبة تحت العظم وعلامته أن ترى خياطات الرأس مفتوحة من كل جهة والماء ينخفض إذا عصرته بيدك إلى داخل فينبغي أن تشق في وسط الرأس ثلاث شقوق وبعد الشق تخرج الرطوبة كلها ثم تشد الشقوق بالخرق والرفايد ثم تطله من فوق بالشراب والزيت إلى اليوم الخامس ثم تحل الرباط وتعالج الجرح بالمراهم"[1].

ويتحدث ابن سينا عن هذا المرض فيقول " إذا كان في رؤوسهم ماء وأكثر ما يكون هذا في الصبيان فيجب أن يتعرف هل هو كثير وهل هو مندفع من خارج إلى داخل إذا قهر فان كان كذلك فلا يعالج وان كان قليلاً ومستمسكاً بين الجلد والقعف فاستعمل إما شقاً واحداً في العرض وإما إن كان كثيراً شقين متقاطعين أو ثلاثة شقوق متقاطعة أو كان أكثر وتفرغ ما فيه ثم تشد وتربط " [2] .

وأما ابن القف فقد تحدث عن هذا المرض وأسبابه " وسبب اجتماع هذا، إما شدة ضغط القابلة للرأس عندما تروم تسويته وتعديله، وإما إنه عند خروجه يسقط على الأرض على رأسه فمالت إليه رطوبات بدن الطفل لضعفه وقبوله وإما لضربة تقع فيه من عروقه ويجتمع ما فيه في المواضع المذكورة ويستحيل الدم هناك إلى مادة فجة ... واعلم أن الذي يرجي برؤه بعمل العديد النوع الأول والثاني وأما النوع الثالث فلا للجرائحي أن يقدم على معالجته"[3]



شكل (1)

مبضع يستخدم لعلاج الماء الذي تجمع في رؤوس الصبيان[4]

---

[1] الزهراوي، المصدر السابق، الورقة 70.

[2] ابن سينا، المصدر السابق، 52/2.

[3] ابن القف، المصدر السابق، 189/2.

[4] الزهراوي، المصدر السابق، الورقة 70.

2- الشترة :

" هي انقلاب احد الجفنين أو تقلصهما ويكون ذلك على ضربين طبيعي أو عرضي فالطبيعي إما أن يكون الجفن منقلباً حتى لا يغطي العين، وإما أن يكون متقلصاً فتسمى العين حينئذٍ أرضية، والعرضي إما أن يكون عن تشمير العين على غير ما ينبغي أو من جرح تقادم أو قرحة أو لحم نابت بالأدوية الحارة والزنجار، فلا علاج له إلا بالحديد (أي بالجراحة) "[1].

وعلاجها " أن تأخذ إبرة فيها خيط مثني وتغرزها في اللحم وتنفذها من المآف الأيمن حتى تصبر الخيط في طرفي اللحم ثم تمد اللحم إلى فوق بالإبرة وتقطعه بمبضع عريض، فإن رجع شكل الجفن على ما ينبغي، وإلا فتأخذ مروداً وتضعه على موضع الشق وتقلب به الجفن وتشق شقين في الجانب الداخل من الجفن وتكون أطراف الشقين من زاويتي القطع حتى تلتقي فتكون منها زاوية، ثم تنزع ذلك اللحم بقدر ما يكون الجانب الحاد منه أسفل ما يلي الجفن، ثم تجمع الأجزاء المتفرقة بخياطتين تخيطه بخيط صوف ثم تعالجه بما ذكرنا من الأدوية المرخية حتى يبرأ..." [2].

كما تحدث الزهراوي في موضع آخر عن علاج العين فقال " هناك من الناس من يلتحم الجفن الأعلى ببياض العين فيمنعها من سهولة الحركة ويعوقها عند إقفالها فينبغي أن تدخل مروداً تحت الجفن وتدفعه إلى فوق أو تمده بصنارة ثم تقطع الالتحام بمصبغ لطيف حتى لا تؤذي العين" [3].



شكل (2)

مبضع صغير يستخدم في علاج الشترة [4]

---

[1] الخطابي، المرجع السابق, 163/1 .

[2] محمود الحاج قاسم، تاريخ طب الأطفال عند العرب، ص 136.

[3] الزهراوي، المصدر السابق، الورقة 96 .

[4] المصدر نفسه ، الورقة 90 .



شكل (3)

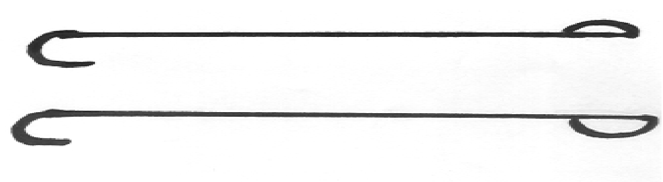
هذه صنارة بسيطة ذات مخطافين[1]

4- تحرير اللسان المعقود :

وهو ما يعرض تحت اللسان ويمنع الكلام "وقد يكون هذا الرباط الذي يعرض تحت اللسان إما طبيعياً يولد به الإنسان ، وإما أن يكون من جرح قد اندمل. والعمل فيه أن تفتح فم العليل ورأسه في حجرك وتدع لسانه ثم تقطع ذلك الرباط العصبي حتى ينطلق اللسان من إمتساكه ... واحذر أن يكون الشق في عمق اللحم فيقطع شرياناً هناك فيعرض النزف يتمضمض في أثر القطع بماء الورد أو الخل والماء البارد ، ثم ضع تحت اللسان فتيلة من كتان يمسكها العليل كل ليلة، لئلا تلتحم ثانية فان حدث نزف فضع على المكان زاجاً مسحوقاً فان غلبك الدم فأكو الموضع ..." [2].

كما قد يحدث تحت اللسان ورم اسمه الضفدع " انه قد ينبت تحت اللسان جسم شبيه بالضفدع التي قد جمعت أطرافها يمنع اللسان من حركته الخاصة به، وذلك

لانصباب مادة غليظة إلى تحت اللسان، ثم جمودها لدوام حركة اللسان فيتحلل اللطيف منها ويبقى الكثيف".[3]



شكل (4)

صنارة صغيرة لعلاج الورم المتولد تحت اللسان[4]

---

[1] الزهراوي ، المصدر السابق ، الورقة 148 .

[2] المصدر نفسه ، الورقة 297 .

[3] ابن القف ، المصدر السابق، 198/2 .

[4] الزهراوي ، المصدر السابق, الورقة 147 .

وقد وصف الزهراوي العملية الجراحية التي تنفع لهذا المرض " أن تفتح فم العليل بإزاء الشمس وتنظر إلى الورم فان رأيته محمر اللون أو اسود صلباً لا تجد له حساً فلا تعرض له فإنه سرطان، وإن كان مائلاً إلى البياض ففيه رطوبة فالق فيه الصنارة وشقه بمبضع لطيف وخلصه من كل جهة فان غلبك الدم في حين عملك فضع عليــه زاجــاً مسحوقاً حتى ينقطع الدم ثم عد إلى عملك حتى تخرجه بكامله، ثم يمضــمض بالخــل والملح، ثم تعالجه بسائر العلاج الموافق "[1].

5- انسداد الأذن: -

ويقول الزهراوي في هذا المرض " قد يخرج الأطفال من بطون أمهاتهم ومسمع آذانهم غير مثقوب ... وقد يعرض أيضاً لبعض الناس سد في مجرى الأذن ... وعــن جرح أو لحم نابت فيها وهذا السد يكون في عمق الأذن لا يدركه البصر وقد يعــرض إلى خارج الثقب قليلاً ويدركه البصر ... فان رأيت الســد ظــاهراً فَأفتحــه بمبضــع لطيف "[2] .



شكل (5)

صورة لمبضع يستخدم لعلاج سدة الأذن[3]

6- المقعدة الغير مثقوبة: -

" وفي علاج المقعدة غير المثقوبة ، قد يتولد كثير من الصبيان ومقاعــدهم غيــر مثقوبة، قد سدها صفاف رقيق، ينبغي للقابلة أن تثقب ذلــك الصــفاف بإصــبعها، وإلا فتبطه بمبضع حاد وتحذر العضلة لا تمسها ثم يوضع عليها صوفة مغموسة في الشراب والزيت وإن خشيت أن ينسد فاجعل في الثقب أنبوبة رصاص أياماً كثيرة وتنزع متــى

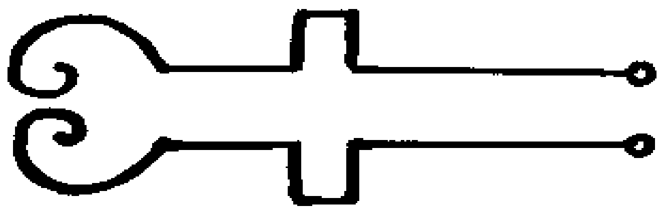
[1] الزهراوي ، المصدر السابق , الورقة 124.

[2] المصدر نفسه ، الورقتان 83-84.

[3] المصدر نفسه ، الورقتان 83 - 84

أراد الطفل البراز وقد يعرض سدة المقعدة أيضاً من إندمال جـــرح أو ورم فينبغـــي أن يشتى ذلك الاندمال ثم يعالج بما ذكرنا من العلاج والرصاص" [1].

وقد يستخدم هذا المحقن الصغير في علاج بعض أمراض الكبار، وهذا ما اخبرنا به الزهراوي "وإن كان في المقعدة بواسير وأورام مؤلمة فليكن المحقن لطيفاً جداً أملس من المحاقن التي يحقن بها الصبيان" [2].



شكل (6) صورة لمحقن صغير يستخدم في علاج المقعدة [3]

7- الأطفال الذين يولدون وكمرتهم غير مثقوبة أو يكون الثقب ضيقا أو في غير محلة :

يولد بعض الأطفال ومجري البول فيهم مسدوداً أو يكون الثقب ضيق أو في غير موضعه " قد يخرج بعض الصبيان من بطن أمه وكمرته غير مثقوبة فينبغي أن يبـــادر بثقبه من ساعة يولد بمبضع رقيق جداً ... ثم تضع في الثقـــب مســـماراً رقيقـــاً مـــن الرصاص وتربطه وتمسكه ثلاثة أيام أو أربعة فمتى أراد البول نحي عنه وبال ثـــم رده ... والذي يكون ثقبه ضيقاً فيعالج بالرصاص كما قلنا ... والذين يكون منهم الثقب فـــي غير موضعه وذلك أن منهم من يولد والثقب عند نهاية الكمرة فلا يقدر أن يبـــول إلـــى قدام حتى يرفع الإحليل بيده إلى فوق ولا يولد له من قبـــل أن المنـــي لا يقـــدر علـــى الوصول إلى الرحم على استقامة وهي علة قبيحة جداً " [4].

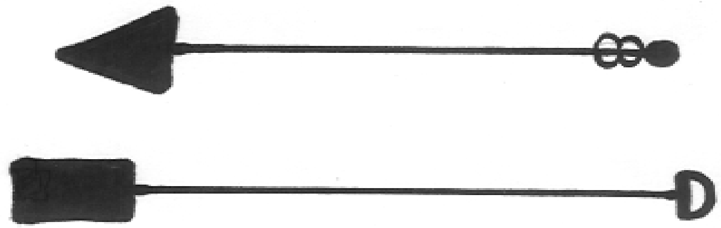
---

[1] الزهراوي المصدر السابق ، ص 501 .

[2] المصدر نفسه ، الورقتان 224 و 225.

[3] المصدر نفسه ، الورقة 225 .

[4] المصدر نفسه, الورقة 389 .



شكل (7)

صورة لمسامير صغيرة الحجم

تستخدم في علاج الأطفال وعادة ما تصنع من الرصاص[1]

8- الحصى المتولد في الصبيان:

لقد مارس الأطباء العرب عملية استئصال الحصى المتولد في المثانة بمهارة وعرفوا أسباب الإصابة به " واعلم أن حصاة المثانة تكثر في البلاد الشمالية وخصوصاً الصبيان".[2]

ويقول ابن الجزار عن الحصى المتولد في المثانة " وتولد الحصى مرض خاص للصبيان الذين في الدرجة الثانية ... فتجتمع في بدنه أخلاط كثيرة فينحدر من أعلاها شيء في البول إلى المثانة فتصبح مادة تولد الحصى في المثانة ... لأن عنق المثانة منه تكون ضيقة فيعوق المادة الغليظة من النفوذ ... وقد يتبع المتولد في مثانات الصبيان إعراض لازمة منها عسر البول ، وشدة الوجع ويجد الصبي حكة في إحليله، ويقوم من أدنى سبب وربما كان قائماً أبداً ... واعلم انه لا يتولد الحصى في الجوارى كما يتولد في الغلمان، وإنما ذلك لأن المادة المولدة لا تحدث في الجواري، وإنما صارت المادة التي يتولد منها الحصى لا تجتمع في الجواري لأربعة أسباب – إحداهما إن رقبة المثانة فيهن قصيرة، والثاني أنها واسعة المجري، و الرابع أنهن اقل شرباً للماء من الغلمان".[3]

---

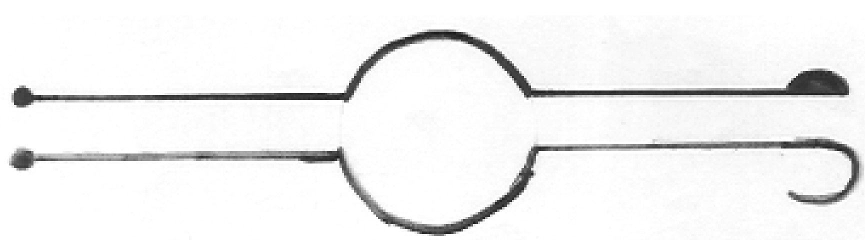
(1) الزهراوي ، المصدر السابق ، الورقة 146 .

(2) ابن سينا، المصدر السابق, 509/2 .

(3) ابن الجزار، سياسة الصبيان، ص 130 – 131.

وقد ذكر الزهراوي أنواع الحصى المتولد في المثانة " واعلم أن أنواع الحصى كثيرة منها صغار ومنها كبار و منش و حرش و طوال و مدورة و ذو شعب فاعرف أصنافها لتستدل بذلك على ما تريد فان غلبك الدم فذر في الموضع الزاج المسحوق وامسكه ساعة حتى ينقطع الدم ثم ارجع إلى عملك حتى تخرج الحصاة واعمل أن تعد مع نفسك من الآلات التي ذكرت في إخراج الحصاة من الرجال لتستعين بها في عملك فإن غلبك نزف الدم وعلمت بنبض الدم أنه من شريان انقطع فضع الذرور على الموضع وشده بالرفايد شداً محكماً واتركه ولا تعالجه واترك الحصاة ولا تخرجها فربما هلكت العليلة ثم عالج الجرح فإذا سكن حدة الم بعد أيام وتعفن فارجع إلى عملك حتى تخرج الحصاة إن شاء الله".[1]

وقد عالج الزهراوي هذا المرض " ويسهل برء الصبيان منها إلى أن يبلغوا أربع عشرة سنة ... ثم يصف العملية الجراحية لإخراج الحصاة مؤكداً بأن الشق فقط يكون على حصاة المثانة أو قناة مجرى البول ومن وصفه يتضح لنا أنه كان يستخرج حصاة المثانة عن طريق الشق على العجان أو ما نسميه نحن سلسل البول ونجده يحذر من أن يكون القطع كبيراً وإلا أدى إلى سلسل البول ونصح في حالة ما إذا كانت الحصوة كبيرة بتكسيرها بالكلاليب وإخراجها قطعاً، وهذا أول وصف في الجراحة لعملية تفتيت الحصوة".[2]



شكل (8)

الكلاليب التي تستخدم في تكسير الحصى[3]

---

[1] الزهراوي ، المصدر السابق, الورقة 179.

[2] حسين، محمد كامل، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، القاهرة، (د،ت)، ص 123 – 124.

[3] الزهراوي ، المصدر السابق، الورقة 117.

9- التحام الأصابع:-

" وأما الالتحام الذي يعرض للأصابع بعضها ببعض فكثيراً ما يعرض ذلك مما يولد به الإنسان ويكون عند اندمال جرح أو حرق نار ونحو ذلك. فينبغي ان تشق ذلك الالتحام حتى ترجع الأصابع على هيئتها الطبيعية ثم تضع بينها فتلا أو خرقاً مشربة في دهن الورد لئلا يلتحم سريعاً " [1].

10- العرق المدني:-

هو أحد الأمراض التي وصفها الأطباء العرب فقال الرازي فيه " العرق المدني قد يكون في البلاد الحارة وبشرب المياه الرديئة ... ويحدث في البلاد اللطيفة الهواء الحارة وفي الأبدان الرطبة المترفة إذا انتقلت إليها ... ويتولد في الهند ومصر ويعرض في الأعضاء العظمية مثل المعصمين و الساقين و الفخذين، وأما في الصبيان فقد يعرض في الجنين، وكونها تحت الجلد ويخرج منه طرف العرق فإن مد عرضت عنه أوجاع شديدة وخاصة إن انقطع". [2]

11- داء الخنازير:

" سمي بهذا الاسم لأنه يعتري الخنازير إلا أنها تكون في الإنسان أصلب، منها ما ينفجر كالخراج ومنها ما يتقرح " [3].

" الخنازير تكون في الصبيان أكثر منها في سائر الإنسان" [4]

كما ميز الأطباء العرب بين أنواع الخنازير وما تحويه من خرجات مختلفة " واسلم الخنازير ما تعرض للصبيان وأعسرها ما تعرض للشباب" [5].

---

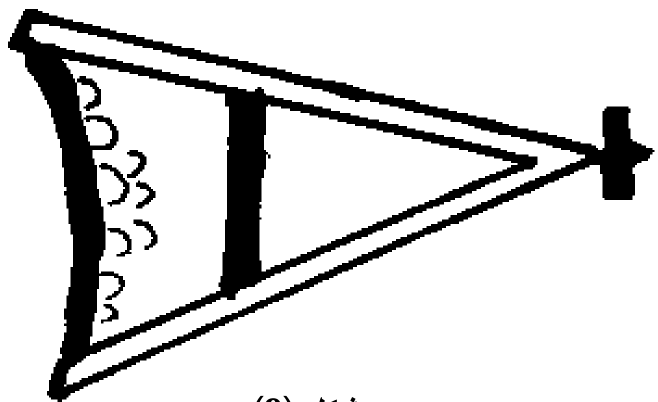
(1) الزهراوي ، المصدر السابق , الورقة ، 593 .

(2) الرازي , المصدر السابق , 293/11.

(3) محمود، سامي ، تذكرة داود للعلاج بالأعشاب، المركز العربي للنشر، الإسكندرية، 1995م, ص 252.

(4) الرازي، المصدر السابق ، 123/2 .

(5) ابن سينا، المصدر السابق ، 141/32.



شكل (9)

مكواة مجوفة لكي الخنازير[1]

12- علة البقر:-

هو دود يتولد تحت الجلد وكثيراً ما يعرض للبقر لذلك عرف بهذا الاسم وهي تسمى بالعرق المدني نسبة إلى المدينة المنورة لأنها كانت منتشرة بها لاستخدام أهلها مياه الآبار الارتوازية للسقي والري طول الأنثى 120 سم والذكر 3 سم " وهذا المرض يسمي في بعض البلدان عندنا علة البقر من اجل إنها كثيراً ما يعرض للبقر وهي دودة صغيرة واحدة تتولد بين الجلد واللحم وتدب في الجسم كله صاعدةً وهابطةً تتبين للمس عند دبيبها من عضو إلى عضو حتى تخرق حيث ما خرقت في الجلد موضعاً وتخرج وتكونها من عفونة بعض الأخلاط ... وإنما يتوقع من أذيتها أنها إذا دبت في الجسم وارتفعت إلى الرأس وبلغت العين فربما فتحت فيها وخرجت فأبطلت العين ويعرض ذلك كثيراً فإذا أردت علاجها وإخراجها فإنما يكون ذلك عند دبيبها وظهورها للمس فينبغي أن تشد ما فوقها وتحتها برباط شداً جيداً ثم تشق عليها وإخراجها، فان غاصت في اللحم ولم تجدها فاحمل على الموضع الكي بالنار حتى تحرقها " [2].

ومن هنا يتضح لي مدى مهارة العرب فيما توصلوا إليه في هذا المجال فهم من قام بتصنيع هذه الآلات واختيار المادة المناسبة في تصنيعها وكيف تحفظ هذه الآلات في صناديق خاصة وكيفية تعقيمها حتى لا يصاب المريض بأذى وتحديد حجم وشكل كل آلة بما يتناسب مع نوع المرض ، وهذا التطور كان النبراس الذي أضاءت به أوروبا عصور ظلمتها ، وما أجمل أن تكون البداية عربية لمثل هذا التخصص الدقيق.

---

[1] الشطشاط ، تاريخ الجراحة ، 203/1.

[2] الزهراوي ، المصدر السابق ، الورقة 605.

الفصل الخامس

انتقال طب الأطفال إلى أوروبا

المبحث الأول : اثر طب الأطفال العربي على أوروبا

المبحث الثاني : ما ذكره الأوربيون عن طـــب الأطفـــال العربي

المبحث الأول أثر طب الأطفال العربي على أوروبا

لقد بلغت الحضارة العربية الإسلامية مكانة مرموقة فى العالم وذلك بفضل الدين الإسلامي فعندما قامت الفتوحات الإسلامية من اجل نشر الدين الإسلامي انتقلت الحضارة الإسلامية تدريجياً مع الفتوحات دون أن تفرض نفسها ، فقد اقبل عليها الأوربيين لما فيها من تقدم تحتويه من إبداعات في كافة المجالات العلمية خاصة الطب لأنهم كانوا محرومين من البحث في الأمور الطبية بسبب منع الكنيسة لذلك " فان الأوربيين لم يعرفوا الكثير عن الطب والجراحة لأن سيطرة رجال الكنيسة منعتهم من البحث في الأمور الطبية فقد اعتبروا تعليم الطب من المحرمات وأن المرض حسب رأيهم عقاب من الله لا ينبغي للإنسان أن يصرفه عمن استحقه ، وظل الطب محجوزاً عليه وطرق الطب في غاية الوحشية والقسوة بالإضافة إلى أساليب الشعوذة والدجل "[1]

في الوقت الذي شجع فيه الخلفاء المسلمين عملية العلم والبحث العلمي وعندما بدأ الغرب الأوروبي يفيق من غفوته في أواخر العصور الوسطى ارتكز في انطلاقته ، على كل ما قدمته الحضارة العربية الإسلامية في مختلف العلوم ومن بينها على وجه الخصوص علم الطب " فقد ترجمة المؤلفات العربية العلمية إلى اللغة اللاتينية التي كانت خلال العصور الوسطى ، لغة العلم ولغة الكنسية أيضا "[2]

والنظرة الإسلامية للعلوم والطب والتسامح الديني الكبير أدت إلى انفتاح الذهن الأوربي ومحاولة خروجه من قيود الكنيسة في الأمور العلمية والطبية ، لذلك اقبل طلاب الطب الأوربيون على حضارتنا العربية لأخذ كل ما يحتاجونه فتوغلت الحضارة العربية الإسلامية إلى عقولهم وأفكارهم " فسارعوا في الاندماج فيها والاستفادة من خيراتها فحصل اللقاء بين الحضارة العربية الناشئة التي اجتذبها البرق وأخذ منها كل مأخذ " [3]

حتى أن الطلاب الأوربيين قدموا إلى " قرطبة واشبيليا وغرناطة والدراسة أو عن طرق الذين عاشوا في كنف المسلمين مع بقائهم على الدين المسيحي أو عن المسلمين الذين عاشوا في الممالك النصرانية " [4]

---

[1] باركر ، ارنست ، الحروب الصلبية ، ورد ضمن كتاب تراث الإسلام لسير توماس ارلوند ، تعريب جـرجس فـتح الله ، دار الطليعة ، بيروت ، 1978 م ، ص 100 .

[2] فرج الهوني ، المرجع السابق ، ص 261 .

[3] باركر ، المرجع السابق ، 237 .

[4] شلبي ، أحمد ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1985م ، 4 / 104 .

وقد كانت طليطله " من المراكز العلمية الهامة وتدفق إليها طلاب العلوم من غرب أوربا والمدن الأندلسية الأخرى لتعلم العلوم والدراسات الإسلامية " [1]

" ولما كان الملوك النور مانديون وخلفائهم يحكمون صقلية ويحكمون في الوقت نفسه ايطاليا الجنوبية فقد أصبحت ممتلكاتهم جسرا تعبر عليه الثقافة العربية إلى شبه الجزيرة الايطالية ومنها إلى أوروبا الوسطى " [2]

وبعد خروج المسلمين من الأندلس ظلت " اللغة العربية الفصحى لغة الثقافة للأسبانيين كذلك ، وإلى جانبها اللاتينية الفصحى التي كان مجال استعمالها ضيقاً خاصاً بعد أن انشأ الفونسو العاشر ملك قشتالة عدداً من مؤسسات التعليم العالي ، وشجع الترجمة من العربية إلي اللاتينية ، وأحياناً إلي اللغة العربية القشتالية " [3]

ومما ساعد الأوربيين على الاندماج الأخذ من هذه الحضارة حركة الترجمة والنقل التي ساعدت على نقل الكثير من الكتب الطبية العربية إلى اللغة اللاتينية فسهل على الأوربيين فهمها واستيعابها وأخذ ما فيها من معلومات طبية تفيدهم فاشتهر العديد من المترجمين الذين ترجموا لصالح جامعة (سالرنو) منهم (قسطنطين الأفريقي) الذي أتيحت له الفرصة أثناء رحلته إلى (سالرنو) فحصلت اتصالات بينهم وبين أمير البلاد (جيزولفو) وأخيه اللذان كانا من الأطباء ، فدار الحديث بين الطب العربي الإسلامي وما يتمتع به من كنوز طبية عظيمة ووعدهم (قسطنطين) بأن يزودهم في سفراته القادمة بتلك الكنوز ، وبالفعل عندما رجع إلى (سالرنو) مرة ثانية حمل معه العديد من المخطوطات الطبية العربية الإسلامية ، وانكب على دراستها وترجمتها ، فنال إعجاب القوم كبر مقامه وأصبح يشار إليه بالبنان " [4]

كما انتشرت الكتب المترجمة في القرون الوسطى أثرت في الثقافة الأوربية خاصة بعد انتشار الطباعة " أوائل عهد النهضة إذا كانت الكتب العلمية والطبية المترجمة من اللغة العربية إلى اللاتينية أول ما طبع فقد طبع القانون في الطب لابن سينا من ترجمة جيرارد الكرمونى طبعات متعددة في مدن مختلفة مما يدل على انتشاره الواسع والحاجة إليه فقد طبع في ستراسبورج سنة 1473 ، 1480، وفى ميلانو سنة 1473

---

[1] شلبي ، المرجع السابق ، 4 / 104 .

[2] الشطشاط ، المرجع السابق ، 51/1 .

[3] الجليلي ، محمود ، التأثير الطب العربي في الحضارة الأوربية في عصر النهضة Google ص 3 .

[4] بنعبدالله ، عبدالعزيز ، الطب والأطباء بالمغرب ، الرباط ، 1960م ، ص 20 .

وفي بادوا سنة 1479، 1476 وفي البندقية سنة 482 بعض اللوحات المصورة وطبع بالحروف الغوطية في البندقية سنة 1507. وأعاد الطبيب المتعرب اندرياس الباكوس 1522- 1450 ترجمته من الأصل الغربية إلى اللاتينية وقد طبع بعد وفاته في البندقية سنة 1527 ، 1544 وأعيد طبعة سنة 1555 مع بعض التعليقات لابن اخ المترجم بولص الباكوس وبندكتس رينيوس مع شرح عدد من المصطلحات فيه وتاريخ حياة ابن سينا وطبع في بازل سنة 1556 وطبع باللغة العبرانية سنة 1608، 1491 وطبع الأصل العربي في روما سنة 1593 م بالحروف العربية ومعه بعض تأليف ابن سينا في علم المنطق والعلم الطبيعي وعلم الكلام مما يثير إلى وجود عدد كبير من الأطباء الذين يعرفون اللغة العربية في أوربا آنذاك " [1]

مما ساعد الطلاب الأوربيون على دراسة الطب وفإذا أراد أي إنسان أن يحصل على إجازة في الطب وجب عليه أن يدرس العلوم الطبية مدة خمس سنوات ، ثم سنة يمارس فيها الطالب مهنة الطب في المستشفى ، وتضاف سنة أخرى لتعليم التشريح البشرى ، وذلك للطلبة الذين يرغبون في التخصص في الجراحة ، ثم يمنح الخريج درجة علمية في الطلب .

هذا بعد أن وصل الطب العربي الإسلامي إلى مركز الصدارة " في مونبلية طيلة (القرنين السابع والثامن الهجريين / الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين) فكان الأساتذة يشرحون مؤلفات ابن سينا الرازي وكان أساتذتهم يطلق عليهم اسم المستعربين لأنهم كانوا يدرسون الكتب العربية " [2]

فكان من بين الذين لهم دور في نقل الكنوز العربية إلى أوروبا " جيرارد الكرمونى الذي ترجم ما يربوا على ثمانين مخطوطة عربية في الطب إلى اللاتينية ، ولعل الاسم الذي أدى دوراً بارزاً في شهرة هذه المدرسة هو الطبيب الشهير (غي دوشولياك) صاحب كتاب الجراحة الكبرى الذي ظل يدرس في جامعات أوربا حتى (القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي) ، وفي هذا المؤلف يحس القارئ بالأثر العربي الواضح ، فبين كل صفحة وأخرى لابد وأن يذكر اسم طبيب ،

---

[1] الجليلي ، المرجع السابق ، ص 3 .

[2] زلزل،بشارة ، الطب القديم والحديث،ورد ضمن كتاب دعوة الأطباء لابن بطلان،المطبعة الخديوية،الإسكندرية،1901م،ص04 .

عربي ولعل الاسم الأكثر تداولا في هذا الكتاب هو اسم الجراح العربي ابو القاسم الزهراوي الذي ذكره أكثر من مائتي مرة " [1]

وبانتشار الطب العربي الإسلامي في أوربا أصبح للأطباء العرب مكانة مميزة لدى الأوربيين وأصبحت كتب الطب العربي الإسلامي تدرس في جامعاتهم وعلى رأس هذه الكتب كتاب " أبو القاسم الزهراوي الذي ترجم إلى لغتهم فمثلا ترجم إلى اللغة الاسبانية على يد Alfonzo Rodriguesdetudela (الفونسورودر جيوس دى توديلا) وطبعت هذه النسخة في اسبانيا سنه 922هـ / 1516م" [2]

وقد أصبح هذا الكتاب متداولاً على نطاق واسع في أوروبا يعتمـده ..."الطالـب مرجعاً أساسياً في دراسته، ويعتمده الأستاذ مرجعاً أساسياً في تدريسه، ويعتمده الطبيب في معالجته مصدراً أساسياً لمعرفة أسباب الأمراض وعلاماتها وأعراضـها ومعرفـة الأدوية الصالحة لها، وقد ساعد على ذلك حجم الكتاب المتوسـط ويسـر الأخـذ بـه ووضوح المنهج الذي اتبعه ابن الجزار فيه في التقسيم والتبويب" [3].

وقد قام قسطنطين الأفريقي بترجمة هذا الكتاب إلى اللاتينية ..."في القرن الحادي عشر الميلادي في إيطاليا بعنوان Viaticum وقد ادعى المترجم الكتاب لنفسـه، وأكـد ذلك في مقدمة الكتاب بقوله "لقد رأيت أن أؤكد نسبة هذا الكتاب إلي لأن أناسـاً ممـن يحسدون غيرهم لما ينجزونه من عمل يلجأون بكل غدر إلى انتحال كتب غيرهم التـي تقع تحت أيديهم وادعائها لأنفسهم" [4].

وقد بقى ذلك الانتساب قائماً حتى ..."أواسط القرن الماضي حيث قام المستشـرق الفرنسي شارل دارنبر بتصحيح الوضع انطلاقاً من مقارنات قام بهـا بـين الترجمـة اللاتينية والترجمة اليونانية ونص زاد المسافر العربي" [5].

ويكفى أن نعرف إن المؤلفات العربية الإسلامية وفى مختلف المجالات ظلت " العمد والمجمع الذي يرجع إليه الأوربيون في جامعاتهم عدة قرون ، فمؤلفات الرازي ،

---

[1] حجازي ، عبدالرحيم ، الطب الإسلامي عامل أساسي في خروج اوروبا من عصور الظلام ، اعمال وابحاث المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي المنعقد في الكويت من 12 الى 16 يناير ، 1981 م ، ص 112 .

[2] حياك ، المرجع السابق ، ص 2 .

[3] بن مراد ، المرجع السابق ص 203.

[4] Lucein leclere ; Histoire V2 . p362 عن كتاب الجراحة ، علي الشطشاط

[5]Lucein , ibid . 2 /203 عن كتاب الجراحة ، علي الشطشاط .

وابن سينا ، والزهراوي ، والتي انتقلت إلى أوربا ظلت تدرس في جامعاتهم إلى (القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) " [1]

حتى قيل " إنه لولا لعمال العلماء العرب لاضطر علماء النهضة الأوربية أن يبدءوا من حيث بدء هؤلاء ولتأخر سير النهضة الأوربية عدة قرون" [2]

كما توجد العديد من المخطوطات العربية بمكتبة الاوسكوريال توفر للباحث أو القارئ المتهم الكثير من مصادر المعلومات والتي هي في بعض الأحيان فريدة من نوعها تشفى غليل هؤلاء الذين يدفعهم حب الاستطلاع أو تجذبهم قضايا مهمة وحيوية في مختلف ميادين المعرفة وتبلغ مخطوطاتها نحو عشر آلافي بلغات متعددة وبالعربية منها حوالي ألفين " [3]

ورغم أن بعض الكتاب الغربيين تعمدوا التقليل من قيمة العرب ودورهم في نشر الحضارة بسبب الروح الاستعمارية التي دفعتهم إلى إثارة الشكوك حول الحضارة الإسلامية " حتى ضنوا أن الحضارة الأوروبية هي نقطة البداية لكل حضارة وتقدم "[4]

لذلك حاولت توضيح الاقدمية التاريخية للأطباء العرب ولعلى مؤلفاتهم خير دليل على ذلك ، وقد وجد من يرد عليهم من أبناء عمومتهم فقد كتب عدد من المستشرقين يشيدوا بفضل هذه الحضارة دون تفنيد بل قدموا الأدلة والبراهين على فضل هذه الحضارة وما كتبه الدكتور كامبل خير دليل على ذلك طبيب إنكليزي ، عمل أولاً في الجيش الهندي ثم التحق في أوائل العشرينيات من هذا القرن بالجيش البريطاني برتبة رئيس وقد شغفت كامبل بدراسة تاريخ الطب العربي وعلومه وأعمال أطبائه منذ حياته الأولى صار يتابع ما يكتب عنه لا كقسم من تأريخ كما يقول ، بل أيضاً لما فيه من إبداع وتطوير على ما عرفه اليونانيون وقد دون قرآته وآراءه بهذا الخصوص بكتاب أسماه الطب العربي ، وطبعه بجزئين فى لندن سنة 1926م ضمن الجزء الأول منه أثنى عشر فصلاً في مكانة الطب العربي في القرون الوسطى ، مع الإشارة الواضحة إلى حالة أوربا اللاتينية في تلك الفترة وما وصلت إليه من تردد وتخلف في الطب والصحة عامة فخصص الفصل الثالث لظهور الإسلام وتتابع الخلفاء على ولاية

---

[1] منتصر ، عبدالعليم ، اثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية في العلوم والطبيعة ، الهيئة المصرية العلمية للتأليف والنشر ، القاهرة ، 1970م ، ص254

[2] المرجع نفسه ، ص 255 .

[3] الاندلسي ، ابو الوليد ، المخطوطات العربية بمكتبة الاسكوريال ، Google 2007/1/3 ص 1 .

[4] فرج الهوني ، المرجع السابق ، ص 263 .

المسلمين في المشرق والمغرب ، والفصل الرابع للمؤلفين في الطب العربي بأوربا اللاتينية . أما الفصل الثامن فقد جعله لحركة الترجمة التي قام بها الأسبان والايطاليون وغيرهما من الأوربيين في نقل الكتب العربية . وأفراد الفصل العاشر لما فعلته كتب العري في أوربا ومدارسها .

وجعل الفصلين الآخرين من الكتاب عن الثورة الفكرية بأوربا إلى أنها أخذت مادتها من الأفكار العربية . أما الجزء الثاني من كتاب الطب العربي فقد كرسه كامبل للمخطوطات اليونانية ومنقلاتها إلى العربية والسريانية ، وما ترجم من هاتين اللغتين إلى اللاتينية والعبرية .

وليس " لدينا معلومات عما إذا كان لهذا المؤلف أعمال أخرى في الطب العربي ، بل لا نعرف عن ترجمة حياته أكثر مما نعرف عن كتابه الذي نتكلم عنه . " والكتاب هذا مصدر في تأريخ الطب العربي مما لاتتطرق إليه التراثيات العربية ، مثال ذلك ما كتبه عن قسطنطين الأفريقي وما سويه المارديني والاسفنجة المنومة وغيرها " [1]

وإذا كانت العلوم قد اضمحلت في غرب أوروبا في أوائل العصور الوسطى فإنها ازدهرت في الشرق الإسلامي ، ولم يكن كل العلماء الذين أنجبتهم الحضارة الإسلامية من العرب ، لأن كثيراً منهم كانوا فرنسا ويهوداً مستعربين ، ولكنهم درسوا وكتبوا باللغة العربية التي أضحت اللغة العالمية السائدة من حدود الهند والصين شرقا إلى اسبانيا غرباً " [2]

ومن هنا أدرك الأوربيون أهمية العلماء العرب المسلمين ، فكانت الجامعات الإسلامية في المغرب العربي معقد أمالهم وكان العلماء العرب المسلمون في تلك الجامعات يرحبون بضيوفهم تلاميذهم ، أخذوا ينقلون هذه الدفاتر العلمية ويترجمون الكتب العربية إلى اللاتينية حتى امتلأت مكتباتهم بالكتب العربية التي أضاءت لهم طريق نهضتهم ، فنجد منهم من اعترف بفضل العرب المسلمين عليهم ، ومنهم من أنكر ذلك الفضل .

---

[1] السامرائي ، المرجع السابق ، ص 562 - 563 .

[2] Dampier(w.c).Ahistory of science ndits Relation wilh philos. phy and Religion Campridge1942.p82

المبحث الثاني ما ذكره الأوربيون عن طب الأطفال العربي

عندما قام الأوربيون بنقل كتب الطب العربي إلى أوروبا لم يقسموا هذه الكتب حسب الاختصاصات أو المواضيع الطبية الموجودة فيها ، وإنما نقل إلى أوروبا دفعة واحدة بكل مجالاتها الطبية ، وهناك اقبل الدارسون للطب عليها واخذوا منها ما يريدون من معلومات طبية في كل الاختصاصات كطب العيون والجراحة والأطفال ... الخ .

فكان من بين الكتب التي ترجمت ونقلت إلى أوربا كتاب في الجدري والحصبة لأبى بكر الرازي " لقد نال الكتاب شهرة عظيمة في أوربا فترجم إلى اللاتينية وغيرها من اللغات عدة مرات " فكان هذا الكتاب بحق آية من نوعه نشر في أوربا أربعين مرة ما بين 1498م - 1866م" [1]

وهذا دليل على أثره العظيم على الطب في أوربا ، ومن أهم هذه الطباعات " طبع بالنص العربي مع ترجمة لاتينية عملها تشايننج (Johnchanning) في لندن سنة 1180هـ/1776م" [2]

كما ترجمت رسالة قام بوضعها الرازي عن طب الأطفال إلى العبرية ثم ترجمت إلى اللاتينية قبل ظهور الطباعة في مدرسة جيرارد كريمونا (1187/1114) من قبل سيمون ، أول كتاب طبع في طب الأطفال كان كتاب (بيكالاردوس سنة 1472م) الذي اعتمد اعتماداً كلياً على رسالة الرازي هذه ، كما أنه من الحقائق المؤكدة بأن جميع كتاب الأطفال من القرن العاشر حتى السابع عشر ساروا بكتاباتهم على غرار النسخة اللاتينية من رسالة الرازي " [3]

ولو لم يكن للرازي مكانه عند الأوربيين لما وجدنا " أن جامعة برنستون الأمريكية أطلقت اسمه على اكبر أجنحتها تخليداً لذكراه واعترافا بفضله العلمي " [4]

ولو نظرنا لهذا التاريخ لوجدنا بأن الأطباء العرب قد سبقوهم بمئات السنين في دراسة طب الأطفال كما قام قسطنطين الإفريقي سنة (1020 – 1087م) بترجمة الكتب العربية فكان من بين الكتب التي قام بترجمتها كتاب كامل الصناعة الطبية لعلي بن العباس الماجوسي وكتاب ابن الجزار ، ويأخذ البعض عليه عدم نزاهته حيث

---

[1] هونكة ، المرجع السابق ، ص 25 .

[2] الشطشاط ، المرجع السابق ، 805/2 .

[3] محمود الحاج قاسم ، تاريخ طب الأطفال ، ص 161 .

[4] الهامشي ، رحيم كاظم وعواطف محمد شنقارو ، الحضارة العربية الإسلامية دراسة في تاريخ النظم ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة (د . ت .) ص 190 .

كان ينقل من الكتب العربية وينسبها لنفسه وعلى الرغم من ذلك فإن اثر كتابة بقي لفترة طويلة من الزمن في أوروبا مما حدا بالكثيرين تسميته برائد الطب العربي في أوروبا(1)

وهذا مما جعل بعض الغربيون يدعون بأنهم " أول من كتب في اختصاص طب الأطفال وأورد له المؤلفات المستقلة ، لما لذلك من أهمية ولاختلاف أمراض الأطفـــال عن أمراض الكبار ، وهذا الإدعاء مجافي للحقيقة " (2) فظل هذا الاعتقاد في أذهـــانهم متناسين ما خلقه العربي من كتب طبية سبقتهم في هذا المجـــال " إذا كـــان الغربيـــون يفخرون بأن أول إنتاج كتب في طب الأطفال من قبل أطباء بادوا بعد اختراع الطباعـــة سنة 877هــ / 1472م إلا أن معظم ما يحويه هذا الكراس مقتبس من الأطباء العـــرب كما يعترف بذلك جالس سنجر في كتابه مختصر تاريخ الطب ، وان ابن الجزار سبقهم بعدة قرون في تأليف أول كتاب في علم طب الأطفال " (3)

وهذا دليل على تقدم العربي في هذا المجال ، خاصة أن مؤلفاته بعض الأطبـــاء الانجليز تضمنت " اقتباسات كثيرة من الرازي والزهراوي ، فأصبح الطـــب المتعـــرب مسيطرا على انجلترا ، واستمر الأطباء فيها يتداولون الكتب العربية من سنة 1350م – 1500 م وبعد ذلك لسنوات حيث يصبح تداول الكتب ميسورا بعد انتشـــار الطباعـــة ، وبعد النهضة الأوروبية استمرت إعادة طبع الكتب الطبية العربية من أمثال قانون ابـــن سينا وكتاب الزهراوي والرازي في القرن السابع عشر في أوربا " (4)

فأصبحت كتب ابن سينا هي " المراجع المعول عليها في كليـــات الطـــب فـــي أوروبا حتى القرن السابع عشر " (5)

إلا أن بعض الأوروبيين أنكر فضل العرب عليهم " علـــى ســـبيل المثـــال رأي مؤلف تاريخ طب الأطفال اكساجين الذي قام عن الطب العربي أن العرب لم يتحفونـــا بشيء يذكر في هذا الميدان بغض النظر عن بعض الوصف الرائع لـــبعض الأمـــراض مثل الحصبة والجدري " (6)

---

(1) محمود الحاج قاسم ، طب عند العرب والمسلمين ، ص 389 .

(2) خالد عزب ، المرجع السابق ، ص 1 .

(3) بدون مؤلف ، موسوعة الطفل ، ص 1 .

(4) محمود الحاج قاسم ، الطب عن العرب والمسلمين ، ص 389 .

(5) الهاشمي ، المرجع السابق ، ص 190 .

(6) نبليك ، راينر ، بعض الملاحظات حول كتاب سياسة الصبيان لابن الجزار ، أبحاث الندوة الطبية العالمية حول الطفل في الطب العربي 15 – 20 مارس جامعة الفاتح ، ليبيا ، 1982م ، ص 107 .

ولو تمعن دارس الطب العربي لهذا القول للاحظ بأن الإشارة إلى مرض الحصبة والجدري ليس بالأمر السهل فلا زال الاهتمام بهذين المرضين والتطعيمات مستمرة ضد هذين المرضين حتى وقتنا الحالي ، وبما أن الأطباء العرب لم يكونوا أصحاب فضل عليهم كما قالوا فلماذا ينقلون الكتب العربية ويترجمونها إلى لغاتهم " وكدليل على التأثير الفاعل للثقافة العربية في ايطاليا في تلك الحقبة أنشأت مدرسة لتعليم اللغة الايطالية وكان تسامح الحكام المسلمين واضحا في كل مكان حلوا فيه عاملا مباشرا في ازدهار الثقافة كالفنون والعلوم فيها حيث شملت لغات العالم العلمية الثلاث في ذلك الزمن وهي اللاتينية واليونانية والعربية ، وتم نقل المؤلفات من لغة إلى أخرى وبذلك أصبحت صقلية خير نموذج لامتزاج الثقافات وصاحبة مدنية لاتينية ويونانية فريدة " (1)

كما كانت بعض الأمور الطبية تؤخذ عن العرب بطريق المخالطة فعندما زار السفير الإنجليزي منطقة الاسيتانا واسمه مونتاعنى ، قامت زوجته بمخالطة نساء الشرق وفهمت منهن أشياء كثيرة تطعيم الأطفال من أجل وقايتهم من الأمراض وإليكم ما قالته هذه السيدة عن هذا الاكتشافات في رسالة أنفذتها إلى أعضاء عائلتها ، " أما عن الأمراض فإني سأقول لك شيئ يورث فيك رغبتاً لتكون في القسطنطنية فتكاً ذرعياً لا خوف من خطره في اسطنبول بواسطة التطعيم والتطعيم هو صناعة بعض نساء متقدمات في السن قد خصصنا لهذه العملية التي يعملها في الخريف بعد مرور الحر الشديد وبعدما أسهبت في وصف العملية تكلمت عن قلة الوفيات بهذا الداء بواسطة العملية ، وعن فوائدها الطبية إلى أن قالت أن حبي للوطن يسوقني لأن اتخذ كل التدابير وابذل جل الاهتمام لنشر هذه الطريقة في انجلترا وبالفعل في 18 مارس سنة 1718م لقحت ابنها وعمره ثلاث سنوات في قرية من قرى اسطنبول وحين عودتها الي انجلترا نشرت كتابات جمة أقنعت بها الأمهات ونساء البلاد بعملية التطعيم وكانت نتيجة كتابتهم إن الحكومة أذنت بالتطعيم " (2)

ورغم أخذ الأوربيون عن العرب في مجال الطب إلا انه وقعوا في أخطاء خاصة يتكون الجنين وهذا دليل على أنهم مقتبسين غير متفهمين لما ينقلونه وهذا ما لا يحصل للعرب عندما نقلوا من الحضارات السابقة وطورها وقدموها بطابعها الجديد ،

---

(1) راينر ، المرجع السابق ، ص 385 – 386 .

(2) غنيمة ، يوسف رزق الله ، النساء والطب ، المقتطف ، 1 يوليو تموز 1912م ، 1 ص 335 .

حيث كانوا يعتقدوا أن الجنين عبارة عن إنسان صغير ، فلم يعرفوا الأطوار الجنينية وظلوا ينشرون بحوثهم على هذا الأساس " إن التخلق الإنساني ليس إلا زيادة في الحجم لصورة واحدة تتسع أبعادها بمرور وقت الحمل "[1]

" وفى عام 1677م استعمل كل من هام ولوفينهوك مجهراً أكثر تطوراً من الذي وضع من قبل واكتشف الحيوان المنوي وظنا إنه يحتوى على إنسان صغير جداً "[2]

ومن يطلع علي كتب العرب يتضح له مدى الجهل الذي كان يعاني منه الأوروبيون فنظرية النطفة والمضغة والعلقة التي ذكرت في القرآن الكريم كانت غائبة عنهم ، رغم اكتشافهم للمجهر وتطور الكتولوجيا لديهم والعرب الذين لم يكن لديهم مجهر عندما تحدثوا عن الأطوار الجنينية بكل دقة والخطأ الأخرى عندما كان الفريق من العلماء يظن بأن الإنسان يخلق خلقاً تاماً في بويضة الأنثى و فريق أخر يظن إن الإنسان يخلق في الحيوان المنوي " ولم ينتهي الجدل بين الفريقين إلا قرابة عام 1775م عندما اثبت (سبالا نزاتي) أهمية كل من الحيوان المنوي ، والبويضة في عملية التخلق البشري بعد أن أظهرت تجاربه في التلقيح الصناعي أن الحيوان المنوي هو العامل المخصب للبويضة "[3]

لم يصل الأوروبيين إلي أن الحيوان المنوي و البويضة هما الاثنان مسئولان عن تكوين الجنين إلا في عصور متأخرة عندما ذكر " شليدن وشوان 1830م أن جسم الإنسان مكون من خلايا ، وهذا المفهوم أدى إلى إدراك أن الجنين تأتى من خلية واحدة وهى البويضة المخصبة. "[4]

إلا أن القرآن الكريم والرسول عليه الصلاة والسلام سبقوهم في إثبات ذلك بعدة قرون فعندما سأل يهودي الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا " يا محمد مم خلق الإنسان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا يهودي من كل يخلق من نطفة الرجل ونطفة المرأة "[5]

كما أشار الرسول (عليه الصلاة و السلام) إلى الموروثات والصبغيات " عن عبد الله أبن بوريدة (رضى الله عنه) إن رجلاً من الأنصار ولدت له امرأته غلاماً

---

(1) الأغر ، المرجع السابق ، ص 33 .

(2) المرجع نفسه ، ص 33 .

(3) المرجع نفسه ، ص 37 .

(4) بارسوا،مور،كتاب الإنسان النامي ، المؤتمر الطبي الإسلامي في الإعجاز الطبي في القرآن ، 1985/9/25م ، القاهرة،ص12 .

(5) أخرجه أحمد ، ح 20 .

اسوداً ، فأخذ بيد امرأته ، فأتى بها رسول الله (عليه الصلاة والسلام) فقالت والذي بعثك بالحق لقد تزوجني بكراً ، وما أقعدت مقعداً أحداً، فقال رسول الله(عليه الصلاة والسلام) صدقت إذا كان حين الولد اضطربت العروق كلها ليس منها عرف إلا يسأل أن يجعل الشبه له " [(1)]

بينما لم تصل أوربا إلى نظرية الصبغيات في وقت متأخر على يد العالم " فلمنج سنة 1878م ثم ظهر العالم بوفيرى فاكتشف الخصائص الوراثية المختلفة التي تحملها الصبغيات سنة 1902م " [(2)]

هكذا استمر تأثير الطب العربي الإسلامي في أوربا " حوالي 500 سنة ، ففي فيينا بالنمسا بقى إلى سنة 927هـ / 1520م) وفرنك فورت في ألمانيا إلى سنة (894 هـ / 1488 م) ، واستمر هذا التأثير إلى (القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي) ، حيث ظهرت مبادئ العلوم الجديدة " [(3)]

لذلك لم يستفيد من الحضارة العربية الإسلامية إلا المتنورين من علماء أوروبا ، الذين وقفوا على دقائق الفكر العربي الإسلامي وانطلقوا ينظرون إليه من جديد على أسس أكثر دقة مستخدمين النظريات التي توصلوا إليها فقدموا نهضة أوروبية ، بنيت على أساس الحضارة العربية الإسلامية. ولا أنكر بأن هؤلاء المتنورين استطاعوا أن يقدموا حضارة أوروبية أصبحت فيما بعد المعتمد عليه في دراسة الطب الحديث .

[(1)] الترمذي ، المصدر السابق ، ح 22 .

[(2)] الأغر ، المرجع السابق ، ص 530 .

[(3)] مايرهوف ، ماكس ، الجراح ، اعداد وتحرير ، إبراهيم زكي خورشيد وآخرون ، دائرة المعارف الإسلامية ، طهران،د.ت،504/4 .

الخاتمة

عندما يطَّلِع أي شخص على كتب الطب العربي الإسلامي يجد أنها تحتوي على ذخائر علمية قيمة في جميع فروع الطب، وكلما تمعنا في هذه الفروع توصلنا إلى نتائج طبية قيمة لا فرق بينها وبين ما توصل إليه الطب الحديث إلا في المعدات والتقنيات الحديثة التي يستدعيها التطور الزمني خاصة وأن المعلومات الطبية واحدة ، فأي مريض يخضع للفحص ثم التشخيص ثم يوصف له العلاج، وهذا ما يعتمد عليه الأطباء العرب قديماً وحديثاً .

والطب العربي موضوع قام بدراسته العديد من المؤرخين ولازال موضوع دراسة للعديد منهم ، فهو طب ظهر وتطور ولمعت فيه أسماء عربية كثيرة، وظهر فيه الطب النبوي والعلاج بالأعشاب وغير ذلك ، ولكن الذي يحتاج للدراسة الشاملة والوافية هو فروع هذا الطب، كالأمراض الجلدية والأسنان وغير ذلك، فكان طب الأطفال من بين هذه الفروع التي تحتاج للدراسة .

لذلك قمت بالاطلاع على كل ما يخص هذا الفرع فاستنتجت عند دراستي لهذا الموضوع أنه في بداية الأمر كان مقترن بطب النساء، وأنه مهمل بعض الشيء وكان الأطفال لا يشكلون أي أهمية في المجتمع العربي آنذاك ثم انصب اهتمام الأطباء العرب على هذا الموضوع فأفردوا له فصولاً داخل مؤلفاتهم فأشاروا إلى الأمراض التي تصيب الأطفال وطرق علاجها، وأحياناً يشيرون إلى وسائل التربية للأطفال أمثال بن سينا في كتابه القانون في الطب حتى وصل الأمر بهم أن أفردوا مؤلفات بأكملها تخص الطفل ككتاب ابن الجزار سياسة الصبيان.

ولكن ما لاحظته أن الأطباء العرب في جميع مؤلفاتهم يهتمون بالناحية الطبية فقط دونن أن يُعَرِّفُوا بهذا المخلوق الصغير وما مدى أهمية هذه المرحلة العمرية من سن الإنسان سواء كان من الناحية التربوية أو الوقاية التي تخص الأطفال.

كما استنتجت أن الأحاديث النبوية هي التي اختصت بالنواحي التربوية والطبية والوقائية ، ولو طبقت هذه الأحاديث وذلك منذ المرحلة الأولى وهي اختيار الزوج للزوجة لتجنبنا الكثير مما نعانيه الآن، فمسألة اختيار الزوجة يعالج أمرين خاصين بالطفل الأول من الناحية التربوية، فعندما تكون الأم صالحة فمن الطبيعي أن يكون

الابن صالحاً ، ومن الناحية الطبية التخلص من بعض الأمراض الوراثية والتشوهات الخلقية وهذا ما نعنيه .

لذلك أجد أن أهم نتيجة لهذه الدراسة هي ربط طب الأطفال بالدين الإسلامي وذلك من خلال تطبيق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ولعل كل من يطلع على الفصل الثاني من هذه الأطروحة يصل إلى هذه النتيجة، كما أكد القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم على الرضاعة الطبيعية وتحديد مدتها دليل على أهمية الرضاعة بالنسبة للطفل والأم ، فهي تحمي الطفل من بعض الأمراض كما تزرع بعض الصفات الوراثية فيه، وهذا ما ذكره الرسول عند حديثه عن الاختيار الجيد للمرضعة إذا لم تستطع أمه إرضاعه لأسباب معينة، وطبياً أثبت علماء الطب الحديث بأن رحم المرأة يبدأ بالرجوع لوضعه الطبيعي بعد الولادة عندما تقوم الأم بإرضاع طفلها طبيعياً، كما تقيها من أمراض السرطان، لذلك شجعوا النساء على إرضاع أطفالهن طبيعياً لمصلحة الطرفين، ولا ننسى بأن ارتباط الطفل بأمه يزداد إذا رضع منها طبيعياً وتكون العلاقة بينهما أحن وأعمق من الناحية النفسية.

وعند الاطلاع على المعلومات الطبية التي توصل إليها الاطباء القدامي نجد انها ليست بالكثيرة مقارنة بما توصل اليها الاطباء العرب ومدا مهارتهم ونجاحهم في مجال طب الاطفال .

فأشرت إلى أهم الأطباء العرب المسلمين الذين تبحروا في هذا المجال، وقد اخترت هؤلاء دون غيرهم لأنهم أصحاب مؤلفات ذات صلة وثيقة بطب الأطفال، أما باقي الأطباء العرب فقد جعلوا من هذا الفرع فصولاً داخل مؤلفاتهم يستعين بها كل باحث في هذا المجال لما تحتويه من معلومات قيمة.

ولعل الأمراض وطرق علاجها على رأس هذه المعلومات، وأهم ما في تلك النتائج التي توصلت إليها عندما تحدثت مع أطباء العصر الحديث واطلعت على بعض المعلومات الحديثة الخاصة بطب الأطفال فذهلت لتشابه تلك الأمراض وطرق علاجها خاصةً التي تعالج بالجراحة، فهي تكاد لا تختلف كثيراً عما توصل له العرب المسلمون وما يقوم به الأطباء حديثاً، وأتمنى أن يفرد بحثاً كاملاً عن هذه الأمراض في المؤلفات العربية.

ومن المؤكد أن الأوروبيين يقومون بعلاج بعض هذه الأمراض بنفس الطريقة لأن الطب الحديث يقوم بدراسة الطب بصفة عامة وطب الأطفال بصفة خاصة بكتب ذات لغة أجنبية، وعندما يقومون بالعلاج تجد أن الطريقة لا تختلف عما وصفه الأطباء العرب باستثناء كما أشرت سابقاً التطور الحديث في وصف العلاج ، وهذا دليل على وصول طب الأطفال العربي إلى أوروبا، ولو اطلع أي شخص على هذه الأطروحة لوجد ذلك خاصة عندما يشاهد الآلات الجراحية التي لا تختلف عن الآلات الحديثة التي يعالج بها الأطفال وأعظم ما توصل إليه العرب في هذا المجال أنهم جعلوا للأطفال آلاتهم الخاصة بهم وهي آلات صغيرة ولطيفة كما يصفها أبو القاسم الزهراوي .

أما فيما يخص أثر الطب العربي على أوروبا فقد تأكد لي بأن الطب العربي كان نواة التقدم للطب الأوروبي الحديث الذي وصل إلينا، فأصبح هو المصدر الأساسي لمعلوماتنا الطبية متناسين فضل العرب على الرغم من وجود مؤلفاتهم كمصدر علمي لكل من يدرس الطب ، و لا ننكر فضل الأوروبيون بما قاموا به من تطوير للطب العربي حتى يسهل علينا تطبيقه بما يتناسب مع تطورات الحياة، ومن هنا يجب علينا معرفة مدى أهمية طب الأطفال والعناية به كأحد فروع الطب العربي.

كما أن العرب لم يكونوا مجرد ناقلين للحضارات السابقة وما قدموه من مؤلفات تحوي معلومات طبية قيمة لا تختلف في بعض الأحيان عما قدمه الطب الحديث .

التأكيد على التجارب التي كانت سر نجاح العرب الذين اعتمدوا على التجربة في علاجهم والدليل على نجاحهم أن ما وصفوه في علاج بعض الأمراض لا يختلف عما قدمه الطب الحديث خاصة بنصحهم عدم اعطاء الام المرضع أي علاج ينتقل الى الطفل عن طريق الحليب وهذا ما ينصح به اطباء العصر الحديث فللمرضع علاج خاص بها واستطاع الاطباء العرب المسلمين التفريق بين الامراض في اعراضها وطرق علاجها فحظى الطفل بمكانه مهمة عندهم فعلاج الاطفال يختلف عن الكبار من حيث المقياس والكمية .

توصل الاطباء العرب المسلمين بأن الوقاية خير من العلاج لذلك قدموا نصائح للام من اجل معرفة التعامل مع طفلها من اللحظة الاولى بعد الولادة لكي تتجنب الكثير من العواقب كطريقة ارضاعه واستحمامه ولفه .

وما قدمه اطباء العصر الحديث في طب الاطفال ما هو الامتداد لما وضحه اطباء العرب المسلمون .

ورغم امكانية اطباءنا العرب البسيطة الا انهم قدموا لنا تراث طبي قــيم فعلينـــا المحافظة عليه واثراءه كرمز شكر لجهودهم ترحمن عليهم والتعويل عما فيه من نفائس

وأخيراً أتمنى من خلال هذا البحث أن أكون قد قدمت ما يفيد القارئ العربي فـــي هذا المجال وأن تكون هذه الأطروحة أحد مراجع الحضارة العربية الإســـلامية لـــنلمس وعن قرب مدى التطور الذي وصل إليه العرب في هذا المجال ودون تفنيد، فالحقيقـــة واضحة وجلية أمام كل قارئ يهتم بدراسة الطب العربي.

فادعوا الله أن أكون قد وفقت في هذا العمل وأن يكون علماً نافعـــاً ينتفـــع بـــه ، والله ولي التوفيق.

الباحثـــــــــــة

مصادر ومراجع البحث

أولاً – القرآن الكريم:

مصحف الجماهيرية بالرسم العثماني ، جمعية الدعوة الإسلامية ، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى ، 2002م .

ثانياً – المخطوطات:

الزهراوي أبو القاسم خلف بن عباس (ت حوالي 403هـ/ 1012م.
التصريف لمن عجز عن التأليف المجلد السابع المقالة الثلاثون مخطوط تحت رقم (17) في مكتبة بانكيبوو في باتنا في الهند، يرجع تاريخ نسخها 1189م.

الطبري أحمد بن محمد
المعالجات البقراطية، مخطوط بدار الكتب الوطنية، القاهرة.

القرطبي عريب بن سعيد الكاتب (ت. 370هـ / 980م) .
خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولدين، مكتبة فراريس، الجزائر .

ثالثاً – المصادر المطبوعة :–

ابن أبي أصبيعة موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم (ت. 668 هـ/ 1269م).
عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الثقافة، بيروت، 1979م.

ابن البيطار ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي (ت .646 هـ/ 1248م).
الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، القاهرة، 1290 هـ.

ابن الجزار أبو جعفر أحمد بن إبراهيم القيرواني (ت. حوالي 360 هـ/ 970م).
سياسة الصبيان وتدبيرهم، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، مطبعة المنار، تونس، 1968م.

ابن جلجل أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي (ت. 384 هـ/ 994م).
طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.

ابن حجر أحمد ابن علي الكناني العسقلاني (ت. 852 هـ/ 1448م).
تهذيب التهذيب، تحقيق محمد عوامة، دار القلم، دمشق، 1991م.

ابن حنبل أحمد بن محمد (ت.241 هـ/ 855 م).
المسند، دار الفكر، بيروت، 1313هـ.

ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد المغربي (ت. 808 هـ/ 1405م).
العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1959م.

ابن زُهر أبو مروان عبد الملك بن ابي العلاء الأندلسي الأشبيلي (ت. 557 هـ/ 1162م).
التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق ميشيل خوري، مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة، دمشق، 1983م.

ابن سينا أبو علي الحسين بن عبد الله (ت. 428 هـ/ 1036م).
القانون في الطب، مطبعة بولاق، القاهرة، 1988م.

ابن عذارى أبو عبد الله أحمد بن محمد المراكشي (ت. بعد 713هـ/ 1313م).
البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1967م.

ابن القف الكركي أمين الدولة أبو الفرج موفق الدين يعقوب بن اسحاق ، (ت. 685 هـ/ 1286م).
كتاب العمدة في الجراحة، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، 1356هـ.

ابن قيم الجوزية شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت. 750 هـ/ 1349م).
مفاتيح دار السعادة، تحقيق طه الرؤوف السعدي، مكتبة الصفا، القاهرة، 2002 م.

ابن كثير عماد الدين أبوالفداء الحافظ إسماعيل القرشي (ت. 774 هـ/ 1372م).
- تفسير القرآن الكريم، دار الفكر، بيروت، 1994م.
- البداية والنهاية، دار التقوى، القاهرة، 1999م.

ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت. 273 هـ/ 886م).
سنن الحافظ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1952م.

ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقـي الطرابلسـي (ت.711 هـ/ 1311م).

لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1993م.

ابن التديم ابو الفرج محمد بن اسحاق (ت . 438 هـ / 1046 م)

الفهرست ، بيروت ، 1978م .

ابن هشام عبدالملك بن هشام بن ايوب البصري (ت . 213 هـ / 228 م) .

السيرة النبوية، تحقيق محمد فهمي السرجاني ، دار التوفيقية ، (د.ت).

الألوسي أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود شكري (ت . 1342 هـ / 1923م) ..

روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1985م.

البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم.(ت 256 هـ / 870م) .

الجامع الصحيح، مطابع الشعب، القاهرة، 1958م.

البقاعي برهان الدين أبين الحسن إبراهيم بن عمر.(ت 885 هـ / 1480 م)

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دائرة المعارف العثمانية ، إستنطبول ، الطبعة الأولى(د ، ت) .

البلدي أبو جعفر أحمد بن محمد.(ت . 380 هـ / 990م) .

تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم، تحقيق محمود الحاج قاسم، وزارة الثقافة، بغداد، 1980م.

البيهقي أبو الحسن علي بن زيد ظهير الدين (ت . 565 هـ / 1169م)،

تاريخ حكماء الإسلام، دمشق، 1979 م.

الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة.(ت . 279هـ / 892م) .

سنن الترمذي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).

الجوهري إسماعيل بن حماد العباسي .(ت . 398 هـ / 1007 م) .

الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م.

الرازي　أبو بكر محمد بن زكريا (ت. 320 هـ/ 932م).
الحاوي، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ،حيدر اباد الدكن – الهند ، 1955م.

الرازي　محمد بن أبي بكر بن عبد القادر.(ت . بعد 666هـ / 1267م) .
مختار الصحاح، عني بتربية محمود خاطر، دار المعارف، القاهرة، 1976م.

الزبيدي　محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضي الحسيني. الواسطى (ت . 1205 هـ / 1790م) .
تاج العروس، تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت، 1994م.

طاش كبري زاده　أحمد بن مصطفى. (ت . 968هـ / 1560م) .
مفتاح السعادة ومصباح السيادة، القاهرة، 1968م.

الطبراني　أبو القاسم سليمان بن أحمد اللخمي.(ت . 360 هـ / 918م) .
المعجم الوسيط، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، 1985م.

الطبري　أبو جعفر محمد بن جرير (ت. 310 هـ/ 922م).
تاريخ الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1983م.

العجلوني　إسماعيل بن محمد.(1162هـ / 1749م) .
كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، (د. ت).

الغزالي　أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد .(ت 505 هـ / 1111م) .
المستصفى في علم الأصول، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م.

الفيروز آبادي　مجد الدين محمد بن يعقوب.(ت . 817هـ / 1414م) .
القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م.

القرطبي　بن حيان . (ت . 469هـ / 1076م) .
المقتبس في أخبار بلاد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، (د. ت).

القرطبي　أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت 453هـ / 1061م) .
الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1985م.

القزويني　زكريا بن محمد بن محمود.(ت 682هـ / 1283م) .

عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، نشر المكتبة الإسلامية (بدون مكان ، بدون تاريخ) .

القشيري أبو الحسين مسلم بن الحجاج. (ت 261هـ / 875م) .
صحيح مسلم، تحقيق محمود فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، 1983م.

القفطي جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت 646 هـ / 1248 م).
تاريخ الحكماء، ليبزك، 1903م.

الكشكري يعقوب.
الكناش في الطب، تحقيق علي بشرى، مؤسسة عز الدين للطباعة، بيروت، 1994م.

المجوسي أبو الحسن علي بن عباس (ت. خلال ق 4 هـ/ 10م).
كامل الصناعة الطبية، مطبعة بولاق، القاهرة، 1294 هـ.

النسائي الحافظ أبي عبد الرحمن بن شعيب.(ت 303 هـ / 915م) .
سنن النسائي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1964م.

ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله البغدادي (ت. 626 هـ/ 1230م).
معجم الأدباء، دار المأمون، القاهرة، 1939م.

رابعاً – المراجع:-

ابن مراد إبراهيم.
بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م.

أبو الرب صلاح الدين.
الطب والصيدلة عبر العصور، الأهلية للنشر والتوزيع، 1991م.

ابن عاشور محمد طاهر .
التحرير والتنوير، دار حسنون، تونس، 1977م.

أحمد يوسف الحاج.
موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، مطبعة بن حجر، دمشق، 2003م.

أبجار فيرجينيا وجون بيك
التشوهات الخلقية الولادية، ترجمة عمر محمد المصراتي، منشورات جامعة عمر المختار، البيضاء ، 2001 م.

الأغر كريم نجيب.
إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، دار المعرفة، بيروت، 2005ف.

البابا محمد زهير.
تاريخ وتشريع وآداب الصيدلة، مطبعة طربين، دمشق، 1979م.

البار محمد علي.
خلق الإنسان بين الطب والقرآن، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، 1995م .

باركر أرنست.
الحروب الصليبية، ورد ضمن كتاب تراث الإسلام لسير توماس ارنولد ، تعريب جرجس فتح الله، دار الطليعة، بيروت، 1978م.

باشا أحمد فؤاد.
التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة، دار المعارف، القاهرة، 1984م.

بنعبد الله عبد العزيز.
الطب والأطباء بالمغرب، الرباط، 1960م.

التنير علي .
الرضاعة الطبيعية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 1982م.

الجزائري أبو بكر جابر.
عقيدة المؤمن، نشر وتوزيع مكتبة الجديد، تونس، 1985م .

جنيد موفق شريف .
علم الجنين ، منشورات جامعة عمر المختار ، البيضاء ، 1998م .

حسين محمد كامل . واخرون .
طب الرازي ، دراسة وتحليل لكتاب الرازي، دار الشرق، القاهرة ، 1977م.
الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، القاهرة، (د. ت).

الخطابي محمد العربي.

الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.

الخطيب حنيفة.
الطب عند العرب، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1988م.

خليل ياسين.
الطب والصيدلة عند العرب، منشورات جامعة بغداد، بغداد، 1979م.

دائرة المعارف الإسلامية
أصدرها الانجليزية والفرنسية والألمانية كبار المستشرقين في العالم ، ويشرف على تحريرها تحت رعاية الاتحاد الدولي للمجامع العلمية كل من هوتسما وفنسنك وجب وبروفنسال وشادة وباسيه وهارتمان وأرنولد وباور ولويس وبلاوشاخت - اعداد وتحرير : إبراهيم زكي خورشيد وأحمد الشنتناوي وعبدالحميد يونس (طهران ، بدون تاريخ) .

درنيقة محمد أحمد.
القرآن والعلم، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 2002م.

الدنشاري عز الدين سعيد.
أمراض وتشوهات المواليد الأسباب والتشخيص والعلاج، دار المريخ، الرياض، 1995م.

رضا محمد رشيد.
الوحي المحمدي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1979م.

روم، لاندو الإسلام والعرب، ترجمة منير بعلبكي، بيروت، 1962 م.

رياض نجيب.
الطب المصري القديم، دار الكرنك للنشر، القاهرة، (د. ت).

زلزل بشارة .
الطب القديم والحديث، ورد ضمن كتاب دعوة الأطباء لابن بطلان، المطبعة الخديوية، الإسكندرية، 1901م.

السامرائي خليل إبراهيم.
دراسات في تاريخ الفكر العربي، جامعة الموصل، 1983م.

السامرائي كمال.
مختصر تاريخ الطب، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1984م.

السويفي مختار.
أم الحضارات ملامح عامة لأول حضارة صنعها الإنسان، الـــدار المصـــرية اللبنانية، القاهرة، 2003 م.
الشطشاط علي حسين.
تاريخ الجراحة في الطب العربي من القرن 3-7 هــ/ 9-13م، منشـــورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1999م.
الشطي أحمد شوكت.
تاريخ الطب وآدابه وأعلامه، منشورات وزارة الثقافـــة مطبعـــة طـــربيين ، دمشق ، 1967م.
العرب والطب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1970م.
شلبي أحمد.
موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصـــرية، القاهرة، 1978م.
شلبي صافي ناز السعيد.
أمراض الطفل وتمريضه، دار الفكر للطباعة، الأردن، 2003م.
الصابوني محمد علي.
صفوة التفسير، دار القلم، بيروت، 1986م.
طاهر سعيد ناصر.
القرآن والعلوم، مطابع النعمان، كربلاء، 1965م.
عبد الحميد محمد.
الفراعنة والطب الحديث، دار المعارف، القاهرة، 1979م.
العزاوي عبدالرحمن حسين .
تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، دار الخليج ، عمان ، 2006م .
عطية الله أحمد
دائرة المعارف الحديثة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1951م.
العقاد عباس محمود.
أثر العرب في الحضارة الأوروبية، دار الهلال، القاهرة، 1969م.

العمري عبد الله.
تأريخ العلم عند العرب، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 1990م.
غربال محمد شفيق.
الموسوعة العربية الميسرة، الدار القومية للطباعة، القاهرة، 1965م.
فروخ عمر.
تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم للملايين، بيروت، 1970م.
القاسمي جاسم بن محمد.
تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1999م.
القرني أحمد حسين .
قصة الطب عند العرب ، الموصل ، 1974م.
كمال حسن.
كتاب الطب المصري القديم، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، القاهرة، 1964م.
ماير هوف ماكس.
الجراح ، تعريب إبراهيم زكى خورشيد وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، طهران، المجلد الرابع، (د. ت).
محمد محمود الحاج قاسم.
الموجز لما أضافه العرب في الطب والعلوم المتعلقة به، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، 1974م .
الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، 1987م.
تاريخ طب الأطفال عند العرب، مركز إحياء التراث العلمي العربي، بغداد، 1989م.
محمد شريف محمد .
موسوعة النظم والحضارة الإسلامية الفكر الإسلامي منابعه وأثاره ، ترجمة أحمد شلبي ، دار الاتحاد العربي ، القاهرة ، 1962م .

محمود سامي .
تذكرة داود للعلاج بالأعشاب، المركز العربي للنشر، الإسكندرية، 1990م.
مرحبا محمد عبد الرحمن.
الجامع في تاريخ العلوم عند العرب، منشورات عويدات، بيروت، 1980م.
منتصر عبد الحليم.
أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية في العلوم والطبيعة، الهيئة المصرية العامة للتأليف، القاهرة، 1970م.
موسى جلال محمد
منهج البحث العلمي عند العرب، بيروت، 1972 م.
موسى كمال
أبو بكر الرازي في مرآة الغرب، مطبعة الهلال ، 1958 م.
الهاشمي رحيم كاظم وعواطف محمد العربي ، الحضارة العربية الإسلامية دراسة في تاريخ النظم ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، (د . ت)
هونكة زيغريد.
شمس العرب تسطع على الغرب، تعريب فاروق بيضون وكمال دسوقي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1969م.
الهوني فرج محمد.
تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، مصراتة، 1986م.
خامساً – الدوريات والمجلات العلمية:-
البابا محمد زهير.
علم الجنين بين اليونان والعرب، أبحاث الندوة العالمية حول الطفل في الطب العربي، جامعة الفاتح ، المنعقدة خلال المدة 15-20 مارس 1982م.
البار محمد علي.
التارات السبع من الطين إلى الجنين ، الندوة العلمية للشباب الإسلامي، الرياض، 1420 هـ.
بارسو مور.
كتاب الإنسان النامي، المؤتمر الطبي الإسلامي في الإعجاز الطبي في القرآن، القاهرة، 25-9-1985م.

حجازي عبد الرحيم.
الطب الإسلامي عامل أساسي في خروج أوروبا من عصور الظلام، أعمال أبحاث المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي المنعقد في الكويت، من 12-16 ينار 1981م.

دوغروماجي، إحسان
ابن سينا بعض الحقائق عن حياته وأعماله، أبحاث وأعمال المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي المنعقد بالكويت خلال الفترة من 12 إلى 16 يناير 1981 م.

شلشل ، إسماعيل سرور
الطب العربي في نظر العلماء والمؤرخين دراسة نقدية، مجلة تايخ العرب والعالم، السنة الخامسة، العددان 59 و 60، دار النشر العربية، بيروت، 1983 م.

شمبل شبلي أفندي.
في الطب اليوناني قبل أبقراط ، مجلة المقتطف ، المجلد الرابع عشر.

عبد الحميد محمد .
اللغة العربية والطب ، مجلة المقتطف، نوفمبر، الجزء السابع والثلاثون، 1917م.

عوض هنري أمين.
لمحة عين علاج الطفل في العصر الإسلامي بمصر، الندوة العالمية حول الطفل في الطب العربي، 20-25 جمادي الأول، جامعة الفاتح، طرابلس، 1982م.

غنيمة يوسف رزق الله.
النساء والطب، مجلة المقتطف، يوليو، الجزء الواحد والأربعون، 1912م.

قنواتي جورج شحاته.
الطبيب أحمد بن محمد البلدي وكتابه في تدبير الحبالى والأطفال، الندوة العالمية عن الطفل في الطب العربي، 15-20 مارس، جامعة الفاتح، طرابلس، 1982م.

نبليك راينر.

بعض الملاحظات حول كتاب سياسة الصبيان لابن الجزار، أبحاث الندوة الطبية العالمية حول الطفل في الطب العربي، 15-20 مارس، جامعة الفاتح، طرابلس، 1982م.

نوفل ، سيد

ابن سينا الطبيب الأديب، مجلة الهلال، العدد الثاني، مطبعة الهلال، القاهرة، 1973 م.

سادساً – الإنترنت

الأسرار كاتم.

نجوم الطب في الإسلام، منتديات الزاحف الدولي، 4-3-2008ف.

الأندلسي أبو الوليد.

المخطوطات العربية بمكتبة الأسكوريال، www.google.com.

الجليلي محمود.

تأثير الطب العربي في الحضارة الأوروبية في عصر النهضة، www.google.com .

حايك سيمون.

أبو القاسم الزهراوي، أشهر طبيب جراح في القرون الوسطى، www.google.com.

الطب الأندلسي نظرياته وتطبيقاته، www.arabats.com.

عزب خالد.

طب الأطفال في التراث الإسلامي ، www.google.com .

موسوعة الطفل، دليل الأردن للدردشة التجاري .

سابعاً المراجع الأجنبية

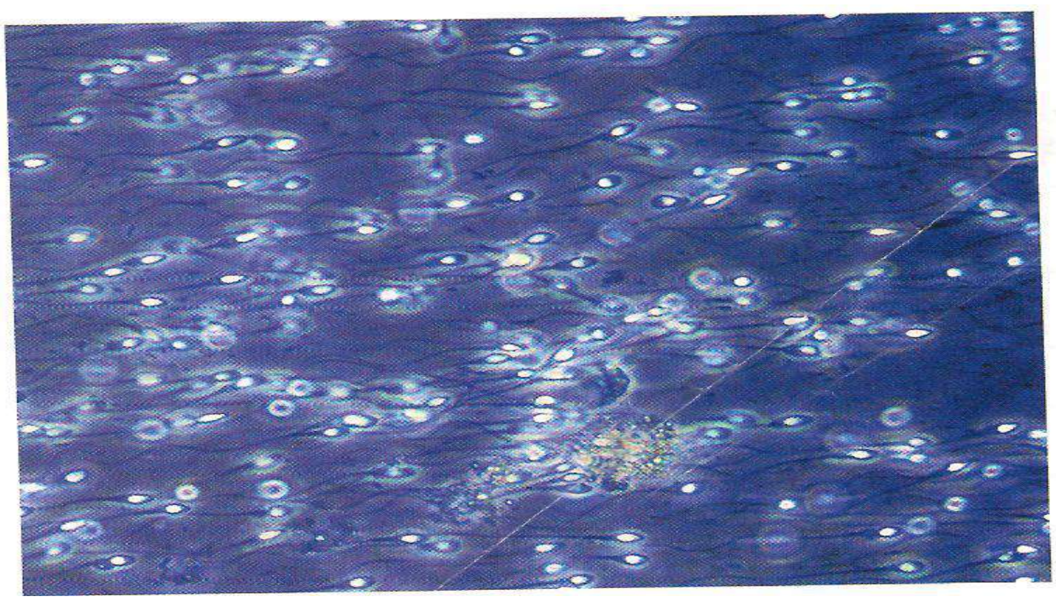
Dampier (w.c)
Ahistoruof science and its Relation wilh philos . ophu and Religion Campridga 1942
Leclerc Lucien Histoire de la medicine arab,could net writer file dat Paris 1976 عن كتاب تاريخ الجراحة لعلي الشطشاط

الملاحـــــق



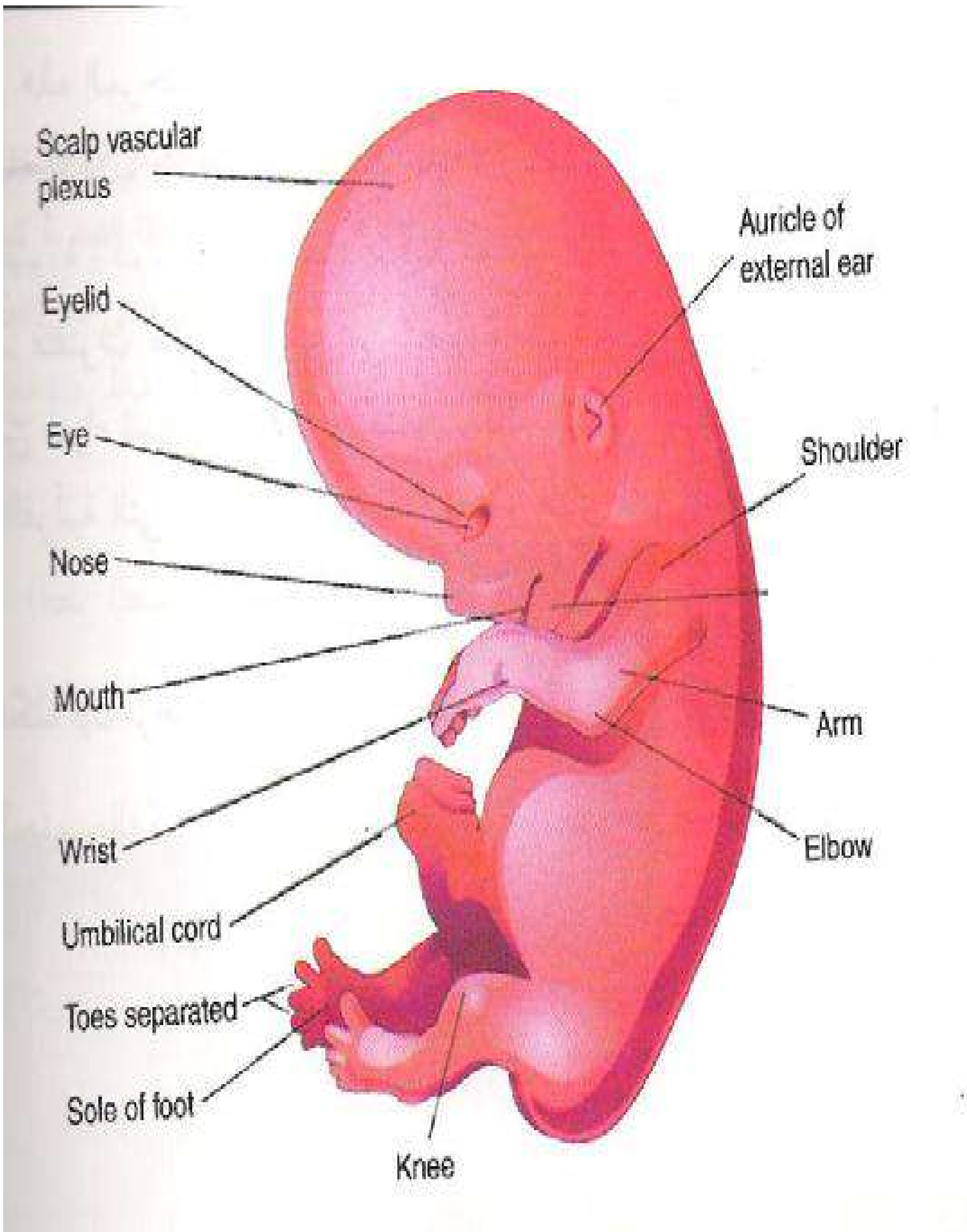
ملحق رقم (1)

صورة تبين النطفة داخل قناة فالوب عن الاغر ، المرجع السابق ، ص 105



ملحق رقم (2)

مني الرجل الذي يحتوي على الكثير من الحيوانات المنوية عن الاغر ، المرجع نفسه ، ص 110



ملحق رقم (3)

رسم لجنين في أسبوعه الثامن يبين أن سائر أعضائه قد تخلقت،
وأن هيئته صارت هيئة إنسان عن الاغر ، المرجع السابق ، ص 322